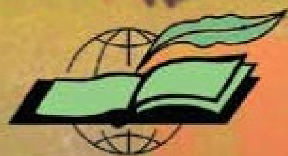
٧٦

آفاق الثقافة والتراث - السنة التاسعة عشرة : العدد السادس والسبعون - محرم ١٤٣٣ هـ - ديسمبر (كانون الأول) ٢٠١١ م - مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث



مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة التاسعة عشرة : العدد السادس والسبعون - محرم ١٤٣٣ هـ - ديسمبر (كانون الأول) ٢٠١١ م

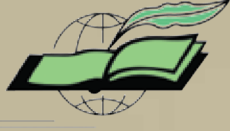
الورقة الأولى من إجازة قصاب زادة (ت بعد ١٣٠٢ هـ) إلى سليمان الأكيني.
تاريخ النسخ (١٣٢٢ هـ)



First page from Ijazat Qassab Zadat (died after 1302 A.H.) to Sulaiman Al Akini.
Copied in 1322 A.H.

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية



تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية
بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
دبي - ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولة الإمارات العربية المتحدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة التاسعة عشرة : العدد السادس والسبعون - محرم ١٤٣٣ هـ - ديسمبر (كانون الأول) ٢٠١١ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ - ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليل
أولريخ الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيئة التحرير

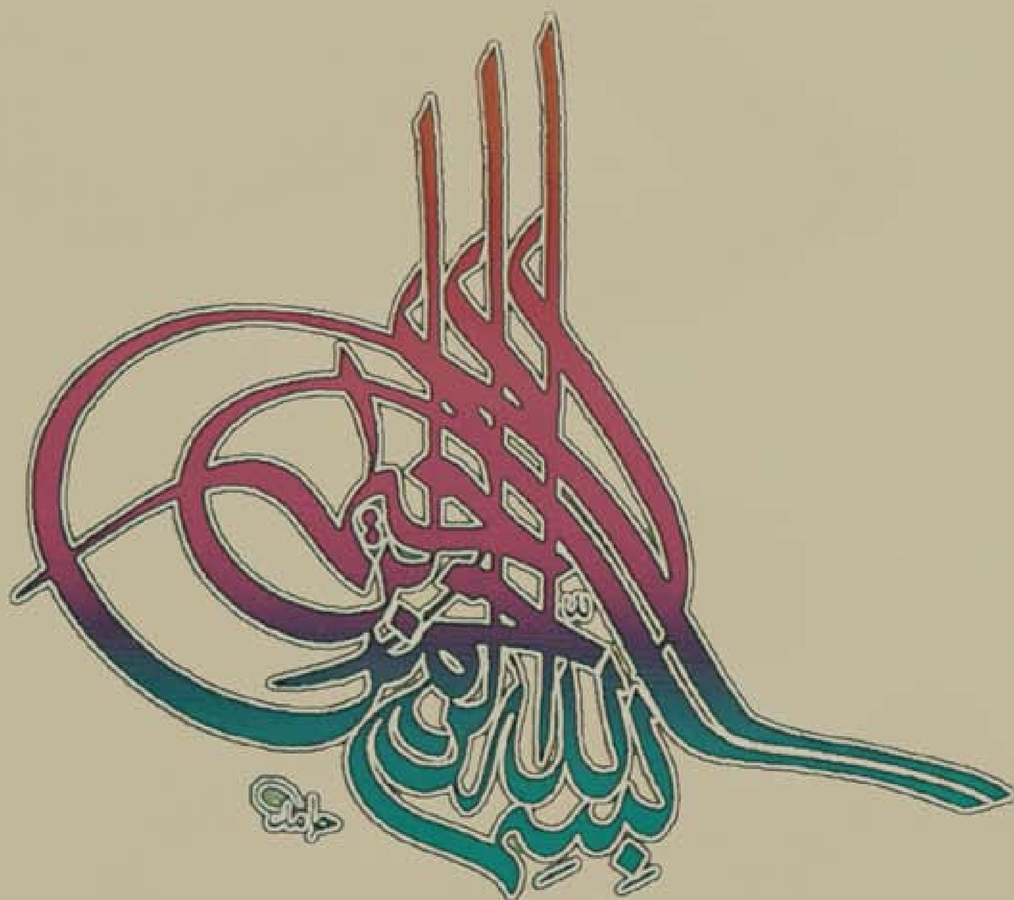
الاشتراك السنوي

	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها
ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــرس



مكتبة كلية الطب النظامية الحكومية
بحيدرآباد – ولاية أندر برادتش - الهند

تقع كلية الطب النظامية الحكومية - وهي من أشهر الكليات الطبية المتخصصة في الطب اليوناني في قارة أسيا - في منطقة تشار منار مقابل مسجد مكة الشهير بحيدرآباد بولاية أندربرادتش بالهند، والكلية متخصصة في الطب اليوناني، ويسمونه أيضاً بالطب الإسلامي. ويطلق عليه عندنا الطب البديل، أي: البديل عن الطب المعاصر.

كما يوجد بالكلية مستشفى يعمل بنفس النظام، وهو في الوقت نفسه موقعاً لتدريب الطلبة الأطباء الذين يدرسون بالكلية، وإن كانت حالة ذلك المستشفى وتجهيزاته متواضعة، إلا أنها تؤدي جزءاً من المهمة.

كما توجد بالكلية مكتبة يرتادها طلبة الكلية والأساتذة الذين يعملون بها، وهي مكتبة قيِّمةٌ في تخصص الكلية، وغنية بالأوعية العلمية، حيث توجد بها مخطوطات قيِّمةٌ في العلوم الطبية والصيدلانية وصناعة الأدوية وغيرها، إلى جانب نوادر المطبوعات. ومن بين تلك النوادر المطبوعة التي اطلعنا عليها كتاب ابن سينا المعروف بـ «القانون في الطب» حيث إنه طبع سنة ١٥٩٦م، وطبعت معه كتب أخرى لابن سينا.

وبعد زيارات متعددة، ومباحثات ومناقشات كثيرة وطويلة، تم الاتفاق مع إدارة الكلية على تصوير المخطوطات الموجودة بالمكتبة، وقد كان عددها وقتئذ ٣٠٠ عنوان في ١٥٠ مجلد، وبعد تقديم رسالة التزام من المركز بما تم الاتفاق عليه، باشر فريق المركز عملية التصوير (الرقمنة) على هذا الأساس، وأثناء سريان عملية التصوير ونتيجة للتعامل اليومي مع مسؤولي المكتبة والاختلاط بهم؛ جعل بعضهم يفضي إلى فريق التصوير بأن هناك قبو تحت قاعة المكتبة ترمى فيه الأوراق الباقية من الكتب التالفة، وكذا الكتب التالفة (الدشت) إلى جانب الأشياء التالفة في الكلية، مثل الأجهزة المكسرة وغير الصالحة للاستعمال؛ فقام فريق التصوير على الفور بإطلاعنا على هذا الأمر، وقمنا مباشرة بالاتصال بمديرة الكلية وشرحنا لها الأمر وطلبنا منها الأذن بدخول القبو مع وجود مراقبة من عمال الكلية، وقدمنا لها التزاماً بأنه إذا ما وجدنا شيئاً من المخطوطات فإننا سنقوم بتنظيفها وترتيبها وردها إلى أصولها ثم تصويرها وتعود الأصول المعثور عليها في القبو إلى مكتبة الكلية، فوافقت على ذلك وباشرنا عملية التنقيب في القبو، فكانت النتيجة مدهشة ومذهلة، حيث تمكنا من إخراج ٢٧٠ مخطوط سليم بعد الفرز والترتيب ولمّ شمل بعض المخطوطات، ليصبح رصيد المكتبة في النهاية ٥٧٠ عنوان مخطوط، منها أكثر من ٣٣٠ في العلوم الطبية، وإليكم بعض هذه العناوين:

١ - القانون في الطب/ لأبي علي بن سينا
٢ - ميزان الأطباء/ تقي الدين
٣ - خواص آدمية/محمد قاسم
٤ - شرح قانو نجه/ محمد أرزاني
٥ - طب أكبر/حكيم أرزاني
٦ - صحت الأمراض /بير محمد
٧ - شرح القانون/ علي كيلاني
٨ - مفرح القلوب/ أرزاني
٩ - الشفاء / لأبي علي بن سينا
١٠ - تخصيص المجريات /حكيم شيخ
١١ - وسيلة الشفاء/ محمد باقر
١٢ - طبي خزانة شاهي بيجابور
١٣ - طب داراشكوهي / مسيح الزمان
١٤ - طب فريدي قرابادين شفائي
١٥ - قرابادين معصومي / معصوم بن كريم
١٦ - شرح أسباب / نفيس بن عوض
١٧ - نسخة واجب الحفظه/ محمد أكبر
١٨ - طب أرونكك شاهي
١٩ - علاج الأطفال/ سيد فضل علي
٢٠ - تشريح أعضاء داكتري
٢١ - سر العلاج / كليم بدايت الله
٢٢ - منتخب الأطباء / خير الله
٢٣ - داكتري براكشن/ ملك حكيم محمد حسين
٢٤ - طبابت حيدر آباد/ فلمنكك بيادر
٢٥ - تذكرة الشيخ داؤد الأنطاكي في الطب
٢٦ - معدن الشفاء / سكندرشاهي
٢٧ - رسالة حكيم رضا علي
٢٨ - معالجات وطب شهابي
٢٩ - طب أكبر/ محمد أكبر
٣٠ - مفردات تحفة المؤمنين رايف
٣١ - بياض نسخة جات / قرابادين
٣٢ - بياض نسخة جات/ حاجي محمد مكي
٣٣ - قرابادين/ قاموس الأدوية
٣٤ - عجالة النافع / حكيم شريف خان
٣٥ - جامع مركبات داكتري
٣٦ - رسالة طاعون / سيد محمد قاسم
٣٧ - منتخب الأدوية / محمد قمر الدين
٣٨ - المعالجات البقراطية
٣٩ - مفردات سيحائي
٤٠ - تاريخ حكماء يونان
٤١ - مخزن المفردات
٤٢ - رسالة أقسام الأمراض
٤٣ - طب أحمدي
٤٤ - طب حسيني
٤٥ - جراحي (كتاب في علم الجراحة)
٤٦ - رسالة جذام/ رسالة داء الأسد
٤٧ - خواص الأدوية
٤٨ - جامع القوانين
٤٩ - معالجات جراحي
٥٠ - منتخب دستور الأطباء
٥١ - دستور العلاج
٥٢ - كتاب في علاج الفرس
٥٣ - مختصر صناعة الطب.
٥٤ - حدود الأمراض.

والذي يمكن قوله هنا: إنه - بعد الله جلت قدرته - ولولا تعاون مديرة الكلية معنا والأذن لنا بدخول القبو لما تمكنا من إنقاذ ما تم إنقاذه ولظل هذا الجزء من التراث في القبو طي النسيان.

إن الوضع السالف الذكر الذي كان فيه جزء من تراثنا العلمي المهم في طريقه إلى الزوال، ولا يزال في أماكن كثيرة، كذلك يتطلب منا وقفة جادة ومن العاملين في قطاع التراث والثقافة بوجه خاص.

والله الموفق لما يحب ويرضى

الدكتور عز الدين بن زغيبة
مدير التحرير

مكتبة كلية الطب النظامية الحكومية بحيدرآباد - ولاية أندر برادتش - الهند

النكات الحسان على معاني القرآن لأبي حيـان
هو
نكت المعاني على آياتِ المثاني لعليّ بن فَضَّال القيرواني

د. نوال عبد الرزاق سلطان
دبي – الإمارات العربية المتحدة.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد: فمنذ سنوات عديدة... عندما كنت أحقق كتاب «نكت المعاني على آيات المثاني» لعلي بن فضال المجاشعي القيرواني، وفي أثناء تحقيقي له، عثر أحد الأخوة من الأساتذة الكرام على مخطوط باسم «النكات الحسان على معاني القرآن» المنسوب إلى أبي حيان الأندلسي وكان هذا الأخ الفاضل يفتش عن مخطوط لأبي حيان في إعراب القرآن الكريم ليقوم بدراسته وتحقيقه، وقد سر أيما سرور عندما وصله المخطوط من مكتبة كوبريلي بتركيا، ولكن بعد التمحيص والتدقيق فيه عرف أنه نسب خطأً لأبي حيان، وما هو إلا نكت المعاني على آيات المثاني الذي أقوم بتحقيقه، فأهداني النسخة -مشكورًا- لمعرفته بما أقوم به، واتخذتها نسخة ثالثة مع الأصل ونسخة شستربتي الناقصة المنسوبة إلى قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني (ت٥٣٥هـ) [١].

ثم تم الحصول على نسخة أخرى باسم النكات الحسان ووجدت بفضل الله ﷻ هذه النسخة في مكتبة «نور عثمانية» التي آلت فيما بعد إلى المكتبة السليمانية، فأصبح عندي أربع نسخ حققت الكتاب عليها.

وفي هذا البحث سوف أعرف بأبي حيان الأندلسي الذي نسب إليه المخطوط، ثم أعرف بالمخطوطين المنتحلين، وأعرض المقدمة المنتحلة، وبعد ذلك أعرف بصاحب المخطوط الحقيقي وهو علي بن فضال المجاشعي، وأعرض المقدمة الأصلية، ثم أعرض صور المخطوطات الأربع. والله ﷻ ولي التوفيق.

التعريف بأبي حيان الأندلسي[٢]:

الإمام أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف ابن علي بن يوسف بن حيان النَفَزِي[٣] الغرناطي الأندلسي الجياني[٤]، ولد بغرناطة (سنة٦٥٤هـ)

ونشأ بها وترعرع، فنسب إليها، أثنى عليه السيوطي فقال: «نحوي عصره، ولغويه، ومقرئه، ومفسره، ومحدثه، ومؤرخه، وأديبه»[٥]، وكان شيخ الديار المصرية، والشامية، ورئيسها في علم العربية، قصده الطلاب من الأمصار، وقرؤوا عليه، وانتفعوا به.

وفي سنة (٦٧٨هـ) أو (٦٧٩هـ) غادر بلاد الأندلس، وعبر البحر إلى إفريقية، فدخل فاس، وطاف بسبتة، وبجاية، وتونس، ومدن المغرب العربي، وشمال إفريقية، واتجه بعد ذلك إلى مصر، وألقى عصا الترحال في القاهرة، واتخذها موطنًا له، وتوفي فيها سنة (٧٤٥هـ)، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر[٦]. عرف بحسن دينه وعقيدته وكان مالكيًا، ثم أصبح ظاهريًا، وانتقل إلى مذهب الشافعية في مصر.

عاش إحدى وتسعين سنة حافلة بالدرس والتدريس والتصنيف، فقد طلب العلم منذ نعومة أظفاره، وأخذه عن أكابر العلماء، كما أفاد الطلبة وهم كثر، وأفادوا بدورهم الناس، وتصدروا للإقراء في حياته، وخلف لنا ثروة طائلة تربو على خمسين مؤلفًا في التفسير، وعلوم القرآن، والقراءات، واللغة، والأدب، والشعر، والنحو، والتصريف، والتاريخ، والتراجم، فهو صاحب تفسير البحر المحيط، والنهر الماد، وارتشاف الضرب من لسان العرب، والتذييل والتكميل شرح كتاب التسهيل، والتذكرة، وله كتاب سماه: «النضار»[٧] ذكر فيه اشتغاله بالعلم، وشيوخه، ورحلته عن غرناطة، ومصنفاته، وغير ذلك.

وقد أحصى له الصفدي[٨] أربعة وخمسين مصنفًا. ولن نفصل في ذكر شيوخه، وطلابه، ومصنفاته، فقد كفتنا مؤونة ذلك الأستاذة الدكتورة خديجة الحديثي في كتابها: «أبو حيان النحوي»[٩].

ولكن ما يعنينا هو كتابه «النكت الحسان شرح غاية الإحسان»، و«غاية الإحسان» كتاب له في النحو، شرحه في كتابه «النكت الحسان»، وعندما سُرق المخطوط وأُهدي إلى السلطان انتُحِل له هذا العنوان: «النكات الحسان على معاني القرآن»، وذلك من باب التعمية وتقارب العنوانين، وهو كما أسلفنا «نكت المعاني على آيات المثاني»، أو «نكت معاني القرآن العظيم» كما في نهاية المخطوط حيث لم يطرأ عليه أي تغيير إلا حذف اسم الناسخ من الصفحة الأخيرة، وتاريخ النسخ، مع ما أسلفنا من حذف المنتحل أو المزور مقدمة ابن فضال ووضع مقدمة أخرى، كما وضع ورقة على صفحة المخطوط ليخفي سرقته، وأهداها إلى خزانة السلطان: «أبي الفتح محمود شاه[١٠] بن لطيف شاه بن مظفر شاه»[١١]. وكتب على الغلاف (الورقة الأولى): برسم خزانة السلطان الأعظم، مالك رقاب الأمم، ظل الله في الأَرَضين، ناصر الدولة والملة والدنيا والدين، أبي الفتح محمود شاه بن لطيف شاه، خلد الله ملكه، خدمة العبد الفقير قطب الدين بن برخوردار[١٢] عفا الله عنهما.

ومن الجدير بالذكر أن ابن فضال أملى النكت في نيسابور بحدود سنة (٤٧٠هـ)، وبعد خمسة قرون على وجه التقريب سرقت، وزورت، وأهديت إلى السلطان، لتكون في خزانته خمسة قرون أخرى تقريبًا، والناس ينسبونها إلى أبي حيان، بل وينسخون عنها، وسوف نتحدث بعد قليل عن مخطوطة أخرى منسوخة عنها ومنسوبة إلى أبي حيان، والله المستعان، وإليه المشتكى.

النكات الحسان على معاني القرآن لأبي حيان هو نكت المعاني لعلي بن فضال المجاشعي

وقد شملت المقدمة المصنوعة صفحتين وستة أسطر، وبعدها بدأ كتاب ابن فضال من قوله: «وقد اختلف العلماء في المكي والمدني ...»، وانتهى الكتاب بـ: «وهذا آخر نكت القرآن العظيم».

وعدد أوراق هذه النسخة (٩٤) ورقة، وفي كل صفحة (٢٧) سطرًا، عدا الصفحتين المصنوعتين، ففي كل واحدة منهما (١٧) سطرًا، ولم يوجد فيها تعقيبة. وقد مر معنا أن المزور قدم لها بمقدمة وجيزة وحذف مقدمة ابن فضال، ثم وضع ورقة على صفحة الكتاب الأصل، ومصدرها كوبريلي – تركيا-، وقد نسبها مفهرس المكتبة (٤٢٢/٢ – ٤٢٣) إلى أبي حيان[١٣]، وهو وهم منه؛ لأنه جاء بعدها في المخطوط من٩٤ب – ٩٥ب قصيدة منسوبة لأبي حيان في مدح الكشاف للزمخشري، فنسبها إليه. ورمزنا لها بـ(ك) وقد ألحقنا خمس صور من هذه النسخة بالبحث، الأولى منها لصفحة الإهداء، والثلاث للمقدمة المصنوعة، والأخيرة لنهاية المخطوط، وفيها يظهر العنوان الأصلي للكتاب.

ومن الجدير بالذكر أيضًا أننا عثرنا على نسخة أخرى كذلك هي نسخة (نور عثمانية) بتركيا، وعلى الورقة الأولى ختم مكتبة (نور عثمانية) وهي مزورة مثل نسخة كوبريلي السابقة، وفيها المقدمة المصنوعة نفسها، وهي أيضًا موسومة بـ(النكات الحسان على معاني القرآن)، والنسخة وقفها السلطان عثمان خان بن السلطان مصطفى خان، وفيها سقط كثير، بسبب انتقال النظر، وتقع النسخة في (١٢٨) ورقة، عدد أسطر كل صفحة (٢٥) سطرًا، رقمها (٦٠٥)، إلا أنها مؤرخة، فتاريخ نسخها (١١٥٦هـ)، وفيها تعقيبة. رمزنا لها بـ(ن)، وألحقنا بالبحث أربع صور منها، صورة لصفحة الوقف، والصفحة الأولى والثانية وتبدو فيهما المقدمة المنتحلة، والأخيرة لنهاية المخطوط.

وسنعرض المقدمة المنتحلة، ثم نعرف بصاحب الكتاب الأصلي، ومن ثم نعرض مقدمة نكت المعاني على آيات المثاني، ونلحق بالبحث خمس صور لنسخة الأصل، وهي نسخة طوبقبو سراي بتركيا، وتقع في (١٢١) ورقة، وفي كل صفحة (٢٧) سطرًا. والنسخة تامة، مؤرخة بتاريخ: (٢٩) من جمادى الآخرة سنة (٦٠٦هـ). رقمها (١٧٤٤/١١٥)، ورمزنا لها بـ(الأصل).

وهذه هي المقدمة المصنوعة:



الصفحة الأولى من نسخة كبريلي (ك) وفيها عنوان الكتاب المزور



الصفحة الأولى من (ن)
وفيها العنوان

بســـم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أظهر من حقائق التنزيل دلائل الإعجاز، وأبهر بأسرار البلاغة من كتابه العزيز فصحاء العرب وبلغاء الحجاز، وأودع معاني آياته من البيان البديع ما حيّر مدارك أهل الامتياز، والصلاة والسلام على أنبيائه ورسله ذوي الهداية والاصطفا، خصوصًا نبينا محمد المصطفى، المنزل عليه من القرآن ما هو شفا، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى وبدور الوفا، أما بعد:

فهذه نكات شريفة، ومعانٍ رائقة لطيفة، علقتها على سور القرآن، وتوخيت فيها الإيجاز بحسب الإمكان، وأودعتها[١٤] من لطائف النفائس، ما يحلى به صدور المجالس، ويصلح أن يكون عقدًا لجيدِ المدارس، شعر[١٥]

ينسى بها الراكبُ العجلانُ حاجتَه
ويصبحُ الحاسدُ الغضبانُ يطريها

وسميتها بـ"النكات الحسان على معاني القرآن"، وخدمت بها خزانة مولانا السلطان، سيد سلاطين الزمان، خليفة الله في بلاده، وظله الممدود في عباده، من أنا غرس نعمته ونعمة آبائه[١٦]، لم أزل غارقًا في بحر عطائه، هُمامٌ، كتَّب الكتاتيب، وجنَّد الجنود، وعقد الألوية والبنود، وتفرَّع من دوحة عز وسناء، لم يزل أصلها ثابت، وفرعها في السماء، ورقاه السعد متون المنابر والأسرَّة، وعلا إلى أن داس بأخمصه نجوم المجرة، فخضعت له هنالك رؤوس أمراء الممالك، واقتسم بسيفه وسعده أعمار أعدائه، فمنهم من قهر بسطوته، ومنهم من هلك بدائه:

ملكٌ إذا نطقتْ علاه بمجدِهِ
خرسَ الملوكُ وأذعنَ العظماءُ
للناسِ إجماعٌ على تفضيلِهِ
حتى استوى العلماءُ والجُهلاءُ
في الله يسري جودُهُ وجنودُهُ
وعديدُهُ، والعزمُ، والآراءُ
هذا أمينُ اللهِ بين عبادِهِ
وبلادِهِ، إن عُددَ الأُمناءُ
لا تسألنَّ عن الزمان فإنه
من راحتيْهِ يدورُ حيث يشاء
والدهرُ والأيامُ في تصريفِهِ
والناسُ، والخضراءُ، والغبراءُ
نزلتْ ملائكةُ السماءِ بنصرِهِ
وأطاعهُ الإصباحُ والإمساءُ[١٧]

النكات الحسان على معاني القرآن لأبي حيان هو نكت المعاني لعلي بن فضال المجاشعي

الرايات الأعلى السلطان ناصر الدنيا والدين، أبي الفتح محمود شاه بن لطيف شاه بن مظفر شاه، خلد الله سلطنته القاهرة، وأبقى أيام دولته الزاهرة، وجمع له بين خيري الدنيا والآخرة.

والمسؤول من خدام دولته العالية، أدام الله أيام ملكه ولياليه، أن يقابل هذا التأليف بالقبول، و يسبل عليه ذيل لطفه المسبول، فالدعاء لخلود ملكه مبذول، وهو بظهر الغيب مستجاب ومقبول، تقبل الله هذا المسؤول[١٨]:

آمينَ آمينَ لا أرضى بواحدةٍ

حتى أضيفَ إليها ألفَ آمينا

السورة[١٩] عبارة عن طائفة من القرآن منزلة[٢٠] أقلها ثلاث آيات، وهذا التعريف باتفاق الحنفية والشافعية، وهو ينكر عليهم في جعل البسملة جزءًا من السورة[٢١] تكون مع البسملة ثلاث آيات.

والواو من السورة إن كانت أصلية كان اشتقاقها من سور المدينة، وإن كانت مبدلة من الهمزة، فاشتقاقها من السؤر، بمعنى البقية[٢٢] أو القطعة، وفائدة تقسيم القرآن سورًا أن تنويع الخبر[٢٣] أحسن من كونه بيانًا واحدًا، وأنشط للقارئ، وأسهل للحافظ، إذ للمتعلم في طي كل قطعة نشاط، وفي الانتقال إلى غيرها نوع انبساط، ولهذه المصلحة جعلت المسافات البعيدة منقسمة إلى فراسخ وأميال[٢٤].

(قلت: قد اختلفت العلماء في المكي والمدني اختلافًا كثيرًا فنقتصر على ما رواه مجاهد...[٢٥]).

وبعد إلقاء الضوء على مقدمة المخطوط الذي نسب لأبي حيان الأندلسي، لابد من التعريف بصاحب المخطوط الحقيقي، وبكتابه النكت، ثم نعرض المقدمة الحقيقية لهذا الكتاب،التي حذفت من المخطوطات الثلاث، ونرفقها بصور خمس عنها وبالله التوفيق.

أما صاحب الكتاب فهو علي بن فضال المجاشعي، الفرزدقي، القيرواني[٢٦]، من أعيان القرن الخامس الهجري، ونترك القلم لياقوت الحموي فقد ساق لنا نسبه فقال:

هو علي بن فضال بن علي بن غالب بن جابر ابن عبد الرحمن بن محمد بن عمرو بن عيسى بن حسن بن زمعة بن هميم[٢٧] بن غالب بن صعصعة ابن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، التميمي، ينتهي نسبه إلى الشاعر الفرزدق «همام بن غالب»، وكنيته أبوالحسن، لذلك يلقب بالمجاشعي تارة، وبالفرزدقي تارة أخرى، وبالقيرواني تارة ثالثة لأنها مسقط رأسه، ويلقب أحيانًا بابن مجاشع.

وفي مدينة القيروان[٢٨] المدينة العربية الإسلامية العريقة، التي أنشأها عقبة بن نافع[٢٩] رضي الله عنه، ووضع فيها الجند الفاتحين وأسرهم، ولد علي بن فضال المجاشعي، ولم تذكر المصادر سنة ولادته، ونقدر أن تكون في مطلع القرن الخامس الهجري. وعلى ربوع القيروان، وفي مدارج سفوحها نشأ، ودرج، وقضى المرحلة الأولى من عمره، وقد أغفلت لنا المصادر - كذلك- نشأته الأولى، إلا أننا استطعنا رسم ملامحها من خلال ذكره لوالده (فضال بن علي بن غالب)، وعم والده (إبراهيم بن غالب)، إذ يقول: «حدثني أبي عن عمه إبراهيم ابن غالب[٣٠]»، فقد نشأ إذًا في بيئة علمية صالحة، فوالده وعم والده من أهل العلم ومن أهل الحديث.

وقد أخذ الفقه عن والده فكان مالكي المذهب على عادة علماء المغاربة، وقد ذكر ذلك بعض من ترجم له فقال: المجاشعي القيرواني المالكي.

ثم انطوت هذه الحقبة من عمره، وقد أغفلت كتب التراجم هذه الحقبة وطوتها من تاريخ هذا العالم. ومرت على القيروان سنوات عجاف، وحدثت الفتنة، وربما كان ابن فضال ممن اكتوى بنارها، مما سبب ارتحال الكثيرين عن القيروان. ولا يستبعد أن يكون ابن فضال واحدًا منهم، فهاجر مع من هاجر، أو هاجر قبل ذلك، وهو الغالب.

وقد وهم كثيرون ممن ترجموا له فقالوا: ولد بهجر، مستندين إلى من قال: «هجر مسقط رأسه»، فظنوا أنه ولد بهجر، يقول العماد الأصفهاني: «قرأت في مؤلف السمعاني: أنه هجر مسقط رأسه، ورفض مألوف نفسه، وطفق يدرج بسيط الأرض، ذات الطول والعرض»[٣١]. فالحقيقة أنه ترك مسقط رأسه» القيروان» وطوف في البلاد كما سنرى، وأخذ عن عالم قرطبة مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، ثم رحل إلى مصر، وأخذ عن إبراهيم الحوفي (ت٤٣٠هـ)، ثم دخل العراق، والشام، وغزنة، ونيسابور، وفي نيسابور وغزنة ألف كتبًا عدة بأسماء أكابرها وأعيانها.

ثم دخل ابن فضال العراق، وأقام ببغداد، وذاع صيته فيها، وأخذ عنه علماؤها، وحدث عن جماعة من شيوخ المغرب، وقصده طلاب العلم، وكثر طلابه، وكان إمامًا في النحو، والعربية، والتفسير، وأقرأ بها مدةً اللغةَ والنحوَ، يدرس في دار العلم، لكن لم تذكر لنا المصادر بدقة متى درس فيها على وجه التحديد، هل قبل سفره إلى الشام، وبلخ[٣٢]، وغزنة[٣٣]، ونيسابور[٣٤]، أو بعد عودته إلى بغداد؟

فقد روت لنا كتب الأدب والتراجم أن ابن باقيا البغدادي[٣٥] دخل دار العلم[٣٦] في بغداد في يوم بارد، فوجد ابن فضال يدرس النحو، وكان ابن باقيا معروفًا بدعابته وتهكمه فقال فيه شعرًا . يقول صاحب معجم الأدباء: قال السلفي[٣٧]: قال الرئيس أبو المظفر[٣٨]: أنشدني أبو القاسم ابن باقيا في ابن فضال المجاشعي المغربي قال: ودخلت دار العلم ببغداد وهو يدرس شيئًا من النحو في يوم بارد فقلت[٣٩]:

اليوم يومٌ قارسٌ بارد ... كأنه نحوُ ابنِ فضالِ

لا تقربوا النحوَ ولا شعرَهُ ... فيعتري الفالجُ في الحالِ

ونراه بعد ذلك يحث الخطى، ويغذ السير قاصدًا «نظام الملك» وزير السلطان «ألب أرسلان[٤٠]»، وكان من جلة الوزراء، فيلقاه ابن فضال وقد قصده من مكة المكرمة – حرسها الله – عند «مناز جرد» في إرمينية سنة ثلاث وستين وأربعمئة، فيمدحه بقصيدة عصماء سنوردها مع أخواتها لتنتظم معهن عقدًا فريدًا يزين به جيد الزمان مخلدًا ذكرى نظام الملك[٤١] الوزير أبي علي الحسن بن علي بن إسحق الطوسي، وكان صاحب اليد الطولى على ابن فضال في حياته في غزنة، ونيسابور. ولنظام الملك فضل في بناء المدارس النظامية التي نسبت له في بغداد[٤٢]، ونيسابور، وطوس، وغيرها من الحواضر الإسلامية، والذي أدرَّ على طلبتها الصلات، وعمر دور الكتب، وابتاع لها الكتب، فكانت سوق العلم في أيامه قائمة، وكان يقرأ النحو، ويملي الحديث، وكان أشعريًا، وتفقه بمذهب الشافعي، وبعد صيته[٤٣]، ولقي ابن

النكات الحسان على معاني القرآن لأبي حيان هو نكت المعاني لعلي بن فضال المجاشعي

فضال عنده استحسانًا، إذ كان نظام الملك يجل العلماء، وكان مجلسه عامرًا بالقراء والفقهاء. ودخل ابن فضال معه نيسابور، وأوكل له مرافقة ابنه الأمير محمد «جمال الملك»، فذهب معه إلى بلخ، كما دخل غزنة بعد ذلك، ولقي حفاوة وتكريمًا وقبولا عند رؤسائها وعلمائها وأهلها، فعلم وصنف عدة مصنفات باسم أكابرها، سنأتي على ذكرهم عند ذكر مصنفاته، وعقد حلقات العلم ومجالس التعليم وأفاد الطلاب. ثم عاد إلى نيسابور ثانية سنة سبعين، ونترك الحديث لتلميذه عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي النيسابوري[٤٤] صاحب سياق تاريخ نيسابور يحدثنا عن شيخه في هذه المرحلة، لأنه أول من ترجم له إذ إنه لازمه هذه الحقبة من مسيرة حياته. يقول عبد الغافر» ورد نيسابور في سني نيف وستين وأربعمئة، وخرج إلى بلخ في صحبة الأمير جمال الملك بن نظام الملك ومنادمته، ثم راح إلى غزنة، وصحب بها كبار تلك الدولة مثل الوزير عبد الحميد وأقرانه، وأقام بها مدة... وعاد إلى نيسابور سنة سبعين وأربعمئة، فأنزله إمام الحرمين عند عميد خراسان أبي سعد محمد بن منصور[٤٥]، وأجرى عليه ما يحتاج إليه في نفقته، وقرأ عليه إمام الحرمين سائر تصانيفه، وشاع ذكره، وقرأت أنا عليه شيئًا، وأنشدتُ كثيرًا من أشعاره»[٤٦]. وكان لابن فضال مجالس علمية في نيسابور يحضرها أهل العلم يدرس فيها النحو وعلوم العربية والتفسير والسير، وينشد فيها أشعاره، ويقرئُ تصانيفه، ويحمله الإمام أبو المعالي الجويني كل يوم إلى منزله ليقرأ عليه كتاب «إكسير الذهب في صناعة الأدب» الذي صنفه له بناء على طلبه.

عودته إلى العراق ووفاته:

ثم عاد المجاشعي إلى العراق، وألقى عصا الترحال في بغداد، وقيل: إنه لم يعد يدرس النحو، وإنما عكف على التأليف، فألف كتاب: الدول (في التاريخ وهو ثلاثون مجلدًا، ولم يكمله. يقول ياقوت[٤٧]: رأيت بالوقف السلجوقي في بغداد منه ثلاثين مجلدًا ويعوزه شيءٌ آخر. ثم يقول عبد الغافر بعد ذلك: «وما لبث إلى أن جاءنا نعيه سنة تسع وسبعين وأربعمئة، ولم يخلف في وقته مثله». ودفن ابن فضال – رحمه الله تعالى– في بغداد في «باب أبزر»[٤٨].

وخلف لنا علي بن فضال سبعة عشر مصنفًا[٤٩] في النحو والأدب والبلاغة والعروض والتفسير والتاريخ والتراجم، طبع منها خمسة؛ مصنفان منها منسوبان لغيره، نصَحِّح نسبة أولهما وهو النكت في هذا البحث، وصححتُ نسبة الآخر وهو معاني الحروف المنسوب للرماني خطأً إنما هو «العوامل والهوامل»، أو «شرح معاني الحروف». في بحث مستقل. كما نسب له البغدادي – وسار عليه بعده بعض من حقق كتبه – : كتاب «سر السرور» وليس له، وإنما للقاضي أبي العلاء «محمد بن محمود الغزنوي النيسابوري»[٥٠] ذكر فيه شعراء أوانه. يقول صاحب الخريدة: «قرأت في مذيل السمعاني بخطه، يقول: رأيت اسمها– أي الشاعرة – في سر السرور للقاضي أبي العلاء النيسابوري»، ومرة أخرى يقول: «قرأت في كتاب السمعاني: ذكر صديقنا أبو العلاء القاضي في كتاب سر السرور»[٥١]. وورد ذكر ياقوت الحموي له، يقول: وفي سر السرور لابن فضال، فوهم من حقق كتبه، وظن أن الكتاب لابن فضال فنسبه إليه.

وسنقتصر على ذكر كتبه المطبوعة:

١- الإشارة إلى تحسين العبارة[٥٢]: كتاب لطيف جامع شامل لأهم أبواب النحو وقواعد الإعراب والكتابة، صنفه لناصح الدولة «أبي محمد عبد الصمد بن علي الفَنْدُوَرَجي»[٥٣]، ليخدم به خزانة كتبه[٥٤]. وقد صنفه بعد كتابه الإكسير، ففي الإشارةِ إشارةٌ إلى كتاب الإكسير.

٢- شرح عيون الإعراب[٥٥]: وعيون الإعراب صنفه أبو محمد، عبيد الله بن أحمد الفزاري[٥٦]، قاضي القضاة بشيراز (ت٣٥٠هـ من تلاميذ أبي علي الفارسي، صاحب كتاب «صناعة الإعراب» والكتاب المذكور، وكانت صداقة حميمة تربط بين ابن فضال وحفيد الفزاري الشيخ العميد أبي منصور نصر بن عال بن علي بن عبيد الله، فرغب في شرح كتاب جده، وأجاب طلبته، يقول: «فبادرت إلى ما آثر، وامتثلت ما أمر»[٥٧].

٣- شرح معاني الحروف: ذكره جل من ترجم له، لكن بعض المصادر تقول: شرح معاني الحروف (للرماني). وعدت إلى أقدم ترجمة بقلم تلميذه عبد الغافر فلم يذكر: شرح معاني الحروف (للرماني)، وكذلك معظم المصادر القديمة، وكان أول من ذكر ذلك البغدادي صاحب «إيضاح المكنون» و«هدية العارفين»[٥٨]، فتيقنت أنه واهم، ثم تابعه من بعده من المصنفين، وسار هذا الوهم على كل المحققين المعاصرين الذين يحققون كتب الرماني، أو كتب ابن فضال إذ يقولون: شرح (ابن فضال) معاني الحروف للرماني، وحقيقة الأمر أن هذه المخطوطة هي ضمن مجموع[٥٩] فيه: «الحروف» للرماني، وقد حُقق هذا الكتاب منذ ثمانية وثلاثين عامًا[٦٠]، وعندما قرأته بدقة وجدت فيه أقوال ابن فضال، وأدلة كثيرة أخرى تؤكد عدم صحة نسبته للرماني، وزاد يقيني بذلك من خلال قراءتي لمؤلفاته، وتحقيقي لكتابه النكت، وقدر الله - تعالى- لي أن أطلع على مقال الفاضل أ. د.صالح بن حسين العايد: «التحفة الوفية في حروف العربية» للصفاقسي،[٦١] إذ ذكر المحقق الدكتور في الحاشية أن معاني الحروف المطبوع ليس لعلي بن عيسى الرماني إنما هو «العوامل والهوامل» لعلي بن فضال المجاشعي.

- العوامل والهوامل[٦٢]،أو: الهوامل والعوامل: لم يذكره عبد الغافر وإنما قال: شرح معاني الحروف، وما ندري حقيقة هل هو الكتاب المذكور آنفًا الذي حقق منسوبًا للرماني؟ أو هو كتاب آخر؟!! لكن معظم من ترجم له بعد ذلك يعدهما كتابين، وقد كثر ذكرهما في كتب أبي حيان الأندلسي؛ كالتذييل والتكميل[٦٣]، وتذكرة النحاة[٦٤]، وارتشاف الضرب[٦٥]، والنكت الحسان[٦٦]، وأقوال لابن فضال في منهج السالك، والبحر المحيط، والنهر الماد[٦٧]، وهي بلا عزو للكتاب المذكور لكنها فيه. وفي كتب السيوطي؛ كهمع الهوامع، والأشباه والنظائر، فقد قال فيه[٦٨]: (قال ابن مجاشع في «معاني الحروف»)، والقول نفسه نراه في معاني الحروف المنسوب للرماني، ويقول في همع الهوامع[٦٩]: (قال ابن فضال في» الهوامل والعوامل»)، ثم نجد الكلام نفسه في معاني الحروف المنسوب للرماني، وذكره في البغية: «العوامل والهوامل»[٧٠]، والأقوال متعددة لا نستطيع الجزم بها، صحيح أن عبد الغافر لم يذكره، وهو القائل: «أجاز لي بمسموعاته ومصنفاته ومروياته» فهو على خُبر بها، لكنه يقول بعد سرد مصنفاته: «وغير ذلك من الكتب المحتوية على الفوائد». فربما

هذا الكتاب لم يذكره ابن فضال له في ذلك الوقت. وقد عقدتُ مقارنة دقيقة في بحث مستقل بين نكت القرآن وبين معاني الحروف المنسوب للرماني، فوجدت الكلام مطابقًا لما توصلت إليه[٧١]، مما لا يدع شكًا ولا ريبًا أنه لابن فضال، وأنهما كتاب واحد لأنه شرحَ معاني الحروف من خلال تسميته: هذا حرف عامل، وهذا حرف هامل، ويقول أحيانًا: هذا من العوامل، وهذا من الهوامل، فاشتهر بالعوامل والهوامل. والله أعلى وأعلم.

٤- المقدمة في النحو[٧٢]: درج العلماء على تصنيف المختصرات في النحو وسموها: «المقدمات»، وقد صنف ابن فضال هذه المقدمة للقاضي الإمام الزاهد، لكن لم يذكر اسمه يقول: «هذه مقدمة في النحو تصلح للمتحفظين، وتليق بالمتذاكرين، خدمت بها حضرة القاضي الإمام الزاهد، أودعتها عشرة من الفصول تؤدي كل منها إلى معرفة الأصول»[٧٣].

٥- نكت القرآن[٧٤]: وهو «نكت المعاني على آيات المثاني» وقد أملاه في نيسابور، يقول عبد الغافر في ترجمة «أبي محمد البكري» في سياقه: «عبد الله بن عمر بن الحسين، الشريف البكري، أبو محمد، شاب، فاضل، نبيل، يتوارد على أبي الحسين الشاماتي، وحضر معنا مجلس الاستفادة من الإمام أبي الحسن علي بن فضال المجاشعي، النحوي، القادم علينا سنة سبعين وأربعمئة، وسمع من تصانيفه: «نكت القرآن» واستنسخها، ثم توفي[٧٥]».

وهذه هي المقدمة الأصلية، وفيها يظهر اسم المؤلف الحقيقي، نضعها بين أيدي القراء الكرام. والحمد لله ﷻ أولًا وآخرًا


الصفحة الأولى من نسخة جستربيتي (ب)


الصفحة الأولى من الأصل

[١/ب] بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسِّرْ وأعنْ وصلِّ على محمدٍ نبيك.

قال الشيخ الإمام الجليل أبو الحسن علي بن فضّال المجُاشعي النحوي رحمه الله: أما بعد حمد

اللّه تعالى كما يجب له، والصلاة على من ختم أنبياءه ورسله، واتبع هديَه وسبلَه، وامتثل قولَه وعمله، فإن اللّه، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، أحلَّ الشيخ الأجَل السيد قوام الملك أبا علي الحسن بن عبد الملك(٧٦)، حرس اللّه للعلم والعلماء مهجته، وفسح للفضل والفضلاء مدته، محَلًا شمخت أرومتُه، ومنحه منصبًا رسخت جرثومتُه، وضَّاءً إلى علائق أعلاق الكرم والعلاء، مضَّاءً على أسنى خلائق ذوي الأعراق والسناء، وأظله أغصان دوحة زكت أعراقها، واخضرت أوراقها، ثم أثمرت أطيب ثمرة، وكأنها من خير شجرة، فما زال ينمي على أهدى طريقة، وأسنى خليقة، إلى أن ضمه محتده في قطريه، واحتمله سؤدده بين حصنيه، فهو يتيمة المجد، وواسطة العقد، إليه يفزع في المشكلات، وعليه يُعول في دَرْءِ المندبات، وأمتع اللّه ببقائه العلم وأهله، ولا سلبهم ذراه وظله، فهو الذابُّ عن الدين، والحامي حوزة المسلمين، سناؤه قد حاز سناء الشمس، وعلاؤه قد جاز على الإنس، فكل نهاية أول قدره، وكل غاية أسفل فخره، بحزمه يحزم الحزم، وبفهمه يفهم الفهم، وبرأيه تقلُّ الخطوب، ويستدفع الأمر العصيب.

وإني لما رأيت عنايته بالقرآن ومعانيه، ورغبته في دقائق إعرابه ومبانيه، أحببت أن أخدم حضرته بكتاب يجمع فنونه، ويحتوي عيونه، ويستوعب(٧٧) جميع معانيه، وما يحتاج إليه الناظر فيه، من نحو: علم تلاوته، ومبادئه، ومقاطعه، ووقوفه، ومدّاته، وهمزاته، وتشديداته، وحروف المد واللين، وعلم أجزائه، ووجوه قراءاته، ومعرفة المتلو من القراءات، والشاذ، وما يجوز منها في الصلاة وما لا يجوز، وعلم حروفه وكلماته، وعدد آياته، والاختلاف فيه، وعلم تفسيره وتأويله، ومعانيه، وجهاته، وإعرابه، ولغاته، وغوامضه، ومشكلاته، ونظائره، ومتشابهاته، وإشاراته، وعلم مكيه، ومدنيه، وجحيفه، وطائفيه، وحديبيه، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي. وعلم جمعه وتفريقه، وبيانه وتأليفه، وعلم نزوله وشؤونه وأقاصيصه وفنونه، وأسماء من نزل فيه، والأسباب التي من أجلها نزل، وما نزل من القرآن ليلاً، وما نزل نهارًا، وما نزل مجملاً وما نزل مفصَّلاً، وما نزل مجتمعًا، وما نزل منفردًا، وعلم خاصه وعامه، ومطلقه ومقيده [٢/أ] وحظره وإباحته، وخاص أريد به عام، وعام أريد به خاص، وعام يدخله الخصوص، وخاص يدخله العموم، وعلم مقدمه ومؤخره، وقلبه وإبداله، وحذفه وإضماره واختصاره، وحقيقته ومجازه، وعلم ناسخه ومنسوخه، وأمره ونهيه، ووعده ووعظه، ووعيده وزجره، وأمثاله، وعلم أحكامه، وحدوده، وفرائضه، وواجباته، وحلاله، وحرامه، وفضائله، وجائزه، ومتعذره، وعلم طُوَلِه ومئيه ومثانيه ومفصَّلِه، وما أوتي رسول اللّه ﷺ من القرآن بدل التوراة، وما أنزل بدل الإنجيل، وما أوتي بدل الزبور، وما خص به، وفرق ما بين التأويل والتفسير، ومعاني القرآن والفرقان والكتاب والإمام، والمثاني والسورة والآية، وعلم ظاهره، وباطنه، ومطلعه، ومقطعه، والمفروضات الظاهرات، والمفروضات الباطنات، والمنهيات الظاهرات، والمنهيات الباطنات، وأسراره، ورموزه، وعلم إعجازه ونظمه، وهو على عشرة أوجه: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والتواصل، والتجانس، والتضمين، والتصريف، والمبالغة، وحسن البيان، وعلم جواباته، وما المفصول منها، وما الموصول، وما المضمر، وما

النكات الحسان على معاني القرآن لأبي حيان هو نكت المعاني لعلي بن فضال المجاشعي

المظهر، وما سئل عنه فأجيب، وما سئل عنه فلم يجب، وما نزل من غير سؤال، وسؤال المؤمنين، وسؤال الكافرين، وترك الجواب، إلى غير ذلك مما يكثر تعداده، ويصعب إيراده.

ورأيت أني متى فعلت ذلك انتهت بي مدد الحياة قبل انتهائه، وانجدفت[٧٨] أسنان البقاء قبل فنائه، فرأيت أن أختصر ولا أكثر، وأقتصر ولا أقصّر، وأعتمد على نُبَذٍ معجزٍ، في كتابٍ موجزٍ، مما يتذاكر فيه العلماء، ويستدعيه منهم الأكابر والرؤساء، ورجوت أن يحسن لديه موقعه، وتلطف عنده موضعه، فإن أصبت فبحسن نيته، ويمن نقيبته، وإن أخطأت فما لا يخلو منه بشر، ولا يسلم منه مبرز مقتدر، لا سيما لمن ارتجل من غير نسخة تقدمت، أو مسودة رسمت، وما كان على هذه الصفة فالعذر فيه واضح، ووجه الحقّ عنده لائح.

وقصدت في هذا الكتاب إلى أشد ما في القرآن إشكالًا في معنى وإعراب، وربما ذكرت المعنى وحده، وربما ذكرت الإعراب وحده، وربما ذكرتهما جميعًا، وربما شرحت الكلمة الواحدة من جميع الآية على قدر ما أرى الموضع محتملاً.

وجميع أغراض القرآن ثلاثة: التوحيد، والإخبار، والديانات. وعلى تأوّل قول النبي ﷺ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١] تعدل ثلث القرآن، وذلك أن ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ كلها توحيد، فهي ثلث هذه الثلاثة التي ذكرناها، وهذا ذكر لنا عن محمد بن جرير الطبري.

وقال علي بن عيسى [٢/ب]: أغراض القرآن: الإعلام، والتنبيه، والأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، ووصف الجنة والنار، وتعليم الإقرار بأسماء الله وصفاته، وتعليم الاعتراف بإنعامه، والاحتجاج على المخالفين، والرد على الملحدين، والبيان عن الرغبة والرهبة، والخير والشر، والحسن والقبح، ونعت الحكمة، وفضل المعرفة، ومدح الأبرار، وذم الفجار، والتسلية، والتحسير، والتزكية، والتقريع، والبيان عن كريم الأخلاق، وشريف الآداب.وما بدأنا به أولى لأن هذه القسمة متداخلة وتلك أسلم منها.

وقد اختلف العلماء في المكي والمدني اختلافًا كثيرًا، فاقتصرنا على ما رواه أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني[٧٩].

والحمد لله أولًا وآخرًا.

الحواشي

١- حقق باسم: إعراب القرآن لقوام السنة الأصبهاني، وقد حققته: د. فائزة عمر المؤيد منسوبًا له، وقد اعترضها بعض الصعوبات منها أن علي بن فضال (ت٤٧٩هـ) يروي عن شيخه مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) فيقول: «سمعتُ أبا محمد مكيَّ بن أبي طالب بعضَ شيوخنا»، واضطرت لتغيير السند، إذ لا بد من واسطة بين شيخها وشيخ ابن فضال، فقالت: «وسمع أبا محمد مكي بن أبي طالب بعضُ شيوخنا»، ونشرته في الرياض ١٩٩٥م، على (نسخة شستر بيتي الناقصة. ينظر: ق١، ق٢١ من النسخة المذكورة). وقد رد ما زعمته: أ. د. حاتم صالح الضامن في مقاله في مجلة العرب ج١- ج٢ – س٢٠٠٧م. وينظر إعراب القرآن ٣١ من المطبوع وينظر ما كتبه د. عبد الهادي حميتو في مجلة الحكمة ع/١٦ – س١٤١٩هـ – نظرات في إعراب القرآن ص٤٩٣. ثم استفاد من ذلك وأعاد تحقيقه د. إبراهيم الحاج علي على نسخة تركيا التامة بعنوان: نكت المعاني على آيات المثاني بالإضافة إلى نسخة شستربتي الناقصة. وحققه د. عبد الله عبد القادر الطويل على نسخ شستربتي الناقصة، ونال به الدكتوراه من الجامعة المستنصرية. ونشره في بيروت ٢٠٠٧م. وحققتُه بفضل الله تعالى على أربع نسخ خطية، ثلاث منها المنسوبة لغيره، وقد صحّحت نسبتها إليه،

واحدة تامة تحمل العنوان الأصلي، وسينشر قريبًا بإذن الله ﷻ.

٢- ترجمته في: مستفاد الرحلة والاغتراب ١٤٠ – ١٤٢، والمختصر في أخبار البشر ١٤٢/٤، وطبقات القراء ٨٦٧/٢ – ٨٦٨، والعبر ١٣٥/٤، وأعيان العصر ٣٢٥/٥ – ٣٥٣، ونكت الهميان ٢٨٠ – ٢٨٦، والوافي بالوفيات ٢٦٧/٥ – ٢٨٣، و١٩٦/٦ (قسم الألقاب)، وفوات الوفيات ٧١/٤ – ٧٩، وذيل التذكرة ٢٣ – ٢٩، وذيول العبر ٢٤٣ - ٢٤٤، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٧٦/٩ – ٣٠٧، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٢١٨-٢٢٠، والبداية والنهاية ٢١٣/١٤، والإحاطة في أخبار غرناطة ٤٣/٣ – ٦٠، والكتيبة الكامنة ٨١ – ٨٦، وتذكرة النبيه ٦٨/٣ – ٦٩ (حوادث وتراجم ٧٤١ – ٧٧٠)، ووفيات ابن قنفذ ٣٤٩، والبلغة ٢٥٠ – ٢٥٢، وتعريف ذوي العلا ٣٠ – ٣٥، وغاية النهاية ٢٤٩/٢ – ٢٥٠، وتوضيح المشتبه ١٤٩/٢ – ١٥٠، وطبقات ابن قاضي شهبة ٨٨/٣ – ٩٢، وطبقات النحاة واللغويين له (المحمدون) ٢٨٩ – ٢٩٢، والدرر الكامنة ٥٨/٦ – ٦٥ (حيدر آباد)، و٧٠/٥-٧٦ (دار الكتب الحديثة)، والمنهل الصافي ١١/ ١٦١ – ١٦٩، والدليل الشافي على المنهل الصافي ٧١٥/٢، والذيل التام ٧٠/١ – ٧٢، وبغية الوعاة ٢٦٦/١ – ٢٧٠، وتحفة الأديب ٢٣١/١ – ٢٦٤، وحسن المحاضرة ٥٣٤/١ – ٥٣٦، وطبقات المفسرين للداودي ٢٨٦/٢، ودرة الحجال ١٢٢/٢ – ١٢٤، ونفح الطيب ٥٣٥/٢ – ٥٨٤، وشذرات الذهب ٢٥١/٨ – ٢٥٤، والبدر الطالع ٨٤٣/٢ – ٨٤٦، وجلاء العينين ٢٦ – ٢٧، وهدية العارفين ٢/ ١٥٢ – ١٥٣، وبروكلمان ٤٥١/٦ - ٤٥٤، والرسالة المستطرفة ٧٥، والأعلام ١٥٢/٧، ومعجم المؤلفين ١٣٠/١٢-١٣١، ومعجم المفسرين ٦٥٥، والموسوعة العربية العالمية ٦١٣ – ٦١٤، وأبو حيان النحوي د. خديجة الحديثي، ومقدمة ديوانه للدكتورة أيضًا، ومقدمة كتابه التذييل والتكميل للأستاذ الدكتور حسن هنداوي. ومقدمات كتبه الأخرى.

٣- نسبة إلى قبيلة نفزة البربرية (لب اللباب ٣٩٢).

٤- ويجوز أن نقول: الحياني بالحاء المهملة نسبة إلى جده لأبيه حيان (توضيح المشتبه ١٤٩/٢ – ١٥٠، ولب اللباب ١٤٢)، وأما من قال: الجبائي، فغير صحيح.

٥- تحفة الأديب ٢٣١/١.

٦- الوافي بالوفيات ٢٨١/٥، وفوات الوفيات ٧٢/٤، والإحاطة ٦/٣، والبلغة ٢٥٢، وتعريف ذوي العلا ٣.

٧- تحفة الأديب ٢٣٦/١.

٨- أعيان العصر ٣٤٦/٥ -٣٤٧، والبلغة ٢٥١.

٩- طبعته في بغداد، ط١ - ١٩٦٦م.

١٠- السلطان الشهيد السعيد محمود شاه الصغير قام بالملك سنة أربع وأربعين وتسع مئة، وهو خاتمة سلاطين كجرات، قتل من قبل بعض خدمه سنة (٩٦١هـ)، ترجمته في: النور السافر٣٣٩، والمنح الرحمانية ١٤٧، وشذرات الذهب ١٠/ ٤٧٤، ونزهة الخواطر ٤٢٤/٤/١ – ٤٢٦.

١١- السلطان العظيم، الحليم، مظفر شاه أحمد بن محمود شاه، صاحب كجرات، ولد سنة (٨٧٥هـ). كان عادلًا، فاضلًا، حسن الخط، وكتب بيده عدة مصاحف، أرسل منها مصحفًا إلى المدينة الشريفة، وقال صاحب نزهة الخواطر: ومن مآثره الحسنة بالحرمين مصحفان بخطه، تسلم الملك سنة (٩١٧هـ)، عمر البلاد، وأسس المساجد، والمدارس، وكان محبًا لأهل العلم، اخذ عن الإيجي، وغيره، وكان عابدًا، زاهدًا، وخرجت روحه وهو ساجد سنة (٩٣٢هـ). ترجمته في: النور السافر٢٥٦، وشذرات الذهب ٢٥٥/١٠، ونزهة الخواطر٤٣١/٤/١ – ٤٣٥.

١٢- لم يتبين لنا هل هذا هو اسم المنتحل أو الناسخ؟ و(برخوردار): هم طائفة تسكن في سبستان، وبلوجستان، وينتسبون إلى أحد أجدادهم المعروف بـ: برخوردار، ومعناه: السعيد في حياته، أو بمعنى ولد الشخص. وأما (خوردار): فمعناه: المعتني بذاته، أو المتزن، أو الغيور. («فيروز اللغات» قاموس أردو).

١٣- ينظر بروكلمان ١١/٢، والذيل ١٣٦/٢.

١٤- وخدمت بها في (ن).

١٥- البيت لابن نباتة السعدي في ديوانه ٤٨١/١، وفيه: لها. وهو له في اليتيمة في ترجمته، وفي: من غاب عنه المطرب ٣٤، والمثل السائر٣٢٩/٢

١٦- نلاحظ أنه استقى العبارات نفسها من ابن فضال في مقدمة النكت المهداة إلى قوام الملك أبي علي الحسن ابن عبد الملك.

١٧- هذه الأبيات مقتبسة من شعر محمد بن هانئ الأندلسي. ديوانه ١٥ – ٢٢، مع اختلاف يسير في الرواية.

١٨- البيت بلا عزو في إعتاب الكتاب، أورده ابن الأبار في ترجمة أبي جعفر أحمد بن عطية الحفصي ٢٢٤، وكذلك في نفح الطيب ١٧٥/١، وأورده ابن معصوم في ترجمة حنيف الدين بن عبد الرحمن المرشدي في سلافة العصر ١٨٩/١

١٩- من هنا بدأ المزور ببعض العبارات ليربط بين

النكات الحسان على معاني القرآن لأبي حيان هو نكت المعاني لعلي بن فضال المجاشعي

مقدمته المنتحلة وبين كتاب النكت وهي ستة أسطر في المخطوط.

٢٠- مترجمة في (ن). وهو خطأ وتحريف من الناسخ.

٢١- من كل سورة في (ن).

٢٢- البقعة في (ن).

٢٣- الجنس في (ن).

٢٤- هنا ينتهي ما لفقه المزور لطمس معالم الكتاب.

٢٥- في الأصل: على ما رواه أبو حاتم... ولكن المزور أسقط ثلاثة أسطر قبل كلمة مجاهد.

٢٦- ترجمته في: دمية القصر ١/٣٦-٣٨،٦١-٦٣ (طبعة الكويت) وسياق تاريخ نيسابور (ق٧١)، والأنساب ١٩٨/٥، وتبيين كذب المفتري٢٨٣، وخريدة القصر ٣٦٥/١/٤ – ٣٦٨، والمنتظم ١٦/ ٢٦٣، ومعجم الأدباء ١٨٣٤/٤ – ١٨٣٨، والكامل ٤٥٠/٨، والمختصر المحتاج إليه١/١٦٩، والمنتخب ٤٣٢، ٥٩٦ – ٥٩٧ (طبعة قم)، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٨٥/١٦ –٩٥، وإنباه الرواة وفهرسة اللبلي ٤٦، وإشارة التعيين ٢٢٤ – ٢٢٥، ٢٦٦/٢-٢٧٠، والسير١٨/ ٢٢٨ – ٢٢٩، والعبر ٢٩٥/٣، وتاريخ الإسلام: (وفيات ٤٧١ – ٤٨٠)، وتلخيص ابن مكتوم (ق ٧٥ – ٧٦)، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢١٢-٢١٣، والوافي بالوفيات ٢١/ ٣٨١ – ٣٨٤، ومرآة الجنان ٣/ ١٢٨-١٣٢، وطبقات الشافعية للسبكي ٥/ ١٧٩ (في ترجمة الجويني) و٢٦٧/٧ (في ترجمة الحريري)، والبداية والنهاية ١٣٢/١٢، وطبقات الفقهاء الشافعيين ٢٩٩/٢ – ٣٠١، والبلغة ٢١٢ – ٢١٣، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة (ق٤٣٨ – ٤٤٠)، وطبقات الشافعية له ١٧٧/٢-١٧٨، ولسان الميزان ٦/٦، والنجوم الزاهرة ١٢٤/٥، وبغية الوعاة ١٧٦/٢، وطبقات المفسرين له ٨٢، وطبقات المفسرين للداودي ٤٢١/١ – ٤٢٢، وطبقات المفسرين للأدنه وي ١٣٥ – ١٣٦، وكشف الظنون ١٠٢٧/٢، ١١٧٩، ١٤١٨، وشذرات الذهب ٣٦٣/٣، وروضات الجنات ٢٣٦/٥ – ٢٣٧، وإيضاح المكنون ١/ ٨٥، ١١٦، ١١٥، ١٧٨، ١٩٤،٥٤٠/٢، ٥٠٦، ٥٤٤، ٦٧٧، وهدية العارفين ٦٩٣/١، والأعلام ٣١٩/٤، وورقات عن الحضارة ١٨٦/١، ومعجم المؤلفين ١٦٥/٧ – ١٦٦، وتراجم المؤلفين التونسيين ٢٧/٤ – ٢٩، ومعجم المفسرين من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر ٣٧٣/١، وموسوعة أعلام المغرب ضمنها تذكرة المحسنين ٣٢٢/١، ومشاهير التونسيين ٣٨٥ – ٣٨٦، وأعلام تميم ٤٠٥ – ٤٠٦، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسرين ٢٥٨، والتفسير والمفسرون في غرب إفريقية ٤٢٩-٤٣٠، ومعجم الشعراء الأندلسيين والمغاربة ٢٧٧-٢٧٨.

٢٧- يقول ياقوت: «هكذا وجدته هميم والمعروف همام، وهو الفرزدق الشاعر».

٢٨- أصل بلاد إفريقية، ومسكن الأمراء، اختطها عقبة بن نافع ﷺ سنة خمسين، وكان موضعها غيضة، واختط فيها دار الإمارة، واختط مسجدها، وعين قبلته، وبقي فيها ثلاث سنوات. (معجم البلدان ٤/ ٤٢٠-٤٢١، وأسد الغابة ٦٦/٤).

٢٩- الفهري القرشي ولد على عهد النبي ﷺ، ولم تثبت له صحبة، فتح بلاد السودان والمغرب العربي، وبنى القيروان، وقتل سنة ثلاث وستين. (أسد الغابة ٦٦/٤-٦٧، والكامل ٤٦٥/٣، صادر، و٣٢٠/٣ دار الكتب العلمية).

٣٠- نكت المعاني ٣٦٠/١، ٤٠٣- ٢/ ٥٠٠، ٥٣٣.

٣١- الخريدة ٢٨٧/١ – ٢٨٩ (ط. الدار التونسية – ط٣ – ١٩٨٦م).

٣٢- من أجل مدن خراسان، وأذكرها، وأكثرها خيرًا، وأوسعها غلة، افتتحها الأحنف بن قيس على عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ وينسب لها خلق كثير. (معجم البلدان ٤٧٩/١-٤٨٠).

٣٣- وتسمى غزنين كذلك وهو الصحيح عند العلماء كما يقول ياقوت، وهي مدينة عظيمة، وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحد بين خراسان والهند، وكانت منزل بني محمود بن سبكّتكين إلى أن انقرضوا. (معجم البلدان ٢٠١/٤-٢٠٢).

٣٤- مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة افتتحت في عهد عثمان بن عفان ﷺ، وقيل: افتتحها الأحنف بن قيس في زمن عمر ﷺ، ثم خربها التتر. (معجم البلدان ٣٣١/٥-٣٣٣).

٣٥- عبد الله بن محمد بن الحسين أبو القاسم الحنفي المعروف بالبندار، ابن باقيا البغدادي صاحب الجمان في تشبيهات القرآن، وملح الكتاب، (ت٤٨٥هـ). (معجم الأدباء ١٥٦٠/٤-١٥٦١، وإنباه الرواة ١٣٣/٢، ووفيات الأعيان ٩٨/٣، وتاريخ الإسلام: وفيات ٤٨٥، والجواهر المضية ٣٢٩/٢- ٣٣٢ وفيه: باقيا بالباء الموحدة هذا هو المعروف، ورأيت بخط ابن الطاهري على الباء نقطة من فوق، ولعله وهم ٤٥٧/٤، وتاج التراجم ١١٨، والأثمار الجنية ٤٦٥/٢).

٣٦- دار العلم وتسمى: دار الكتب، أنشأها سابور بن أردشير

سنة (٣٨٨هـ)، وقد ورد ذكرها كثيرًا في معجم الأدباء على سبيل المثال: في تراجم المعري، وأبي منصور الخازن لدار الكتب، والخطيب التبريزي (معجم الأدباء ١/ ٣١٦، ٣٢٠، و٥/٢٣٧٦ – ٢٣٧٧، و٦/٢٨٧٤ – ٢٨٧٥). وينظر: دار العلم في القرن الخامس.

٣٧- الحافظ أحمد بن محمد بن أحمد أبو طاهر بن سلفه، وإليها ينسب وهي لقبه: السلفي، الأصبهاني، كان من أصحاب الحديث، ومن المعمرين، توفي (٥٧٦هـ). (وفيات الأعيان ١/١٠٥، وتاريخ الإسلام ١٢/٥٧٠، ووفيات ابن قنفذ ٢٨٩ - ٢٩٠، وغاية النهاية ١/٩٥ – ٩٦، وأزهار الرياض ٣/١٦٧ – ١٧١، ٢٧٣، وشذرات الذهب ٦/٤٢٠).

٣٨- أبو المظفر منصور بن محمد المروزي السمعاني، من أهل مرو، كان مفتي خراسان، وورد بغداد سنة (٤٦١هـ)، ثم عاد إلى بلده، وخرج إلى طوس، ثم ورد نيسابور، وذكره عبد الغافر في سياقه، وكان على مذهب الأحناف ثم أصبح شافعيًا، توفي في مرو سنة (٤٨٩هـ). (المنتظم ١٧/٣٧-٣٨، والسير ١٩/١١٤-١١٩).

٣٩- معجم الأدباء ٤/١٨٣٨.

٤٠- السلطان ألب أرسلان ملك بلخ، كان نظام الملك يدبر أمره فرتب له الدواوين، وأحسن أمور الرعية، وبنى له المساجد والمدارس والرباطات إلى أن انقضت مدته سنة خمس وستين وأربعمائة. فتسلم ابنه ملكشاه، فبقي يدبر له الدولة الملكشاهية عشر سنين كذلك إلى أن قتل رحمه الله. (تاريخ الإسلام ١٠/٥٤١، وشذرات الذهب ٥/٣٦٢-٣٦٣).

٤١- توفي نظام الملك مقتولا وهو صائم سنة (٤٨٥هـ)، ودفن بأصبهان. ينظر ذيل تاريخ بغداد لابن النجار فقد استفاض في سيرته، والأنساب ٣/٢٢١، والمنتظم ٩/٩٤-٩٦، و١٠/ والكامل... والمنتخب من سياق نيسابور ١٨٩، وتذكرة ابن العديم ٥/٢٤٧٨ – ٢٥٠١، ووفيات الأعيان ٢/١٢٨، وتاريخ الإسلام ١٠/٥٤١، والسير ١٩/٩٤-٩٦، ومسالك الأبصار ١١/١٧٢ - ١٧٥، وهدية العارفين ٢/٢٧٧.

٤٢- شرع نظام الملك في عمارتها سنة (٤٥٧هـ)، وفي سنة (٤٥٩هـ)، افتتحها، واشترط أن يُدرس بها مذهب السادة الشافعية، فأسند التدريس فيها إلى أبي إسحق الشيرازي الشافعي. يقول محمد ماهر حمادة: ولا أدري هل ينطبق ذلك على مدرسي اللغة العربية وسواها من العلوم اللسانية كما ينطبق على العلوم السنية؟ ينظر: (المدارس النظامية ١٧).

٤٣- يقول صاحب تجارب السلف: كان نظام الملك من أتباع مذهب الإمام الأعظم الشافعي، ينظر: تجارب السلف ٢٠ - ٢٣، ألفه بالفارسية: هندوشاه النخجواني، ونقله إلى العربية: أحمد ناجي القيسي.

٤٤- سترد ترجمته عند ذكر طلابه.

٤٥- هو عميد خراسان شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي، كان مستوفي ديوان المملكة الملكشاهية، زمن ألب أرسلان، فيه خير وسؤدد، بنى المدارس والمساجد، وبنى قبة على قبر أبي حنيفة النعمان، ثم ذكر أنه توفي في المحرم سنة أربع وتسعين وأربعمائة. حاشية تاريخ بيهق ٢٢٦، عن مجمل فصيحي ٢/٢١٠، والمنتظم ١٧/٧٢، والسير ١٩/١٨٨-١٨٩، ووفيات الأعيان ٤/٤١٤-٤١٥ وفيها: (توفي٤٦٤هـ) في أصبهان. وهو وهم وإنما توفي (٤٩٤هـ).

٤٦- سياق تاريخ نيسابور ق٧١.

٤٧- معجم الأدباء ٤/١٨٣٥.

٤٨- ينظر كتاب بغداد: تأليف مصطفى جواد وآخرين «باب أبزر».

٤٩- هذا إذا كان شرح معاني الحروف والعوامل والهوامل كتابًا واحدًا.

٥٠- القاضي معين الدين، أبو العلاء، محمد بن محمود الغزنوي النيسابوري، قال السبكي: ونسبه: الغزنوي، وغزنة أول بلاد الهند (طبقات الشافعية الكبرى ٤/٣٢٨).

٥١- الخريدة ٤/١/ ١٧٥ – ١٧٦، ٣/٢/٤١٢ (قسم شعراء العراق في ترجمة سلمى البغدادية). والشعر العربي في العراق ٢/٢١٣ – ٢١٤، وهناك مقال لنا سيصدر قريبًا- بإذن الله - في تحقيق نسبة هذا الكتاب لكثرة أوهام المحققين في نسبته إلى عدد من المصنفين وعدم نسبته للغزنوي.

٥٢- طبع بتحقيق: د. حسن الشاذلي فرهود.

٥٣- عبد الصمد بن علي بن محمد الفندورجي أبو محمد الفقيه، ناصح الدولة، أصيل، فاضل، لبيب، عاقل، من كفاة الرجال، من أولاد الفقهاء، تولى أعمالا لنظام الملك، وتوفي بنيسابور سنة (٤٨٣هـ) (المنتخب ٣٥١) قال السمعاني: «والفندورجي: بفتح الفاء وسكون النون وضم الدال المهملة وسكون الواو وفتح الراء وفي آخرها الجيم، هذه النسبة إلى فندورجة وهي قرية بنواحي نيسابور، وعرف بهذا الاسم الناصح الفندورجي كان من خواص

نظام الملك». (الأنساب ٤/٤٠٢ - ٤٠٣)، وذكر الباخرزي خزانة كتبه في معرض حديثه عن بعض الشعراء، يقول: «حتى بنى الشيخ ناصح الدولة أبو محمد الفندورجي خزانة كتبه في مسجد عقيل بنيسابور فحضرتها وأعرت فهرستها»، (دمية القصر ٢/٢٤٨-٢٤٩)، وينظر: الدمية ٢/ ٢٧٥ — ٢٧٦، ٢٨٣، ٣٣١، وخريدة القصر ٢/١٠٣، ومعجم البلدان وفيه: فندورج بالضم ٤/٢٧٨، ولب اللباب وفيه: بفتح الفاء والراء وضم الدال المهملة وجيم: قرية بنيسابور ٣٠٨.

٥٤- الإشارة إلى تحسين العبارة ٢٣.

٥٥- طبع بتحقيق: د. حنا حداد، وبتحقيق: أ. حسناء القنيعير، وبتحقيق: د. عبد الفتاح سليم. ووهم البغدادي فذكر عنوان الإعراب للمجاشعي. (إيضاح المكنون ٢/١٢٧، وهدية العارفين ١/٦٩٣).

٥٦- بغية الوعاة ٢/١٢٦، وكشف الظنون ٢/١١٨٥ وفيه: توفي ٣٧٧، وربما وهم وخلط ترجمته بترجمة أخرى، وهدية العارفين ١/٦٤٦ -٦٤٧، وتاريخ بروكلمان ٢/٢٧٣.

٥٧- شرح عيون الإعراب ٢٥.

٥٨- إيضاح المكنون ٢/٦٧٧، وهدية العارفين ١/٦٩٣.

٥٩- نسخة كوبريلي- إستانبول. ونسخة مكتبة البديري بالقدس الشريف. وقد نبه على ذلك أستاذنا الدكتور مازن المبارك عند حديثه عن نسخ «معاني الحروف» وأن نسخة البديري مغايرة لباقي النسخ. ينظر ما كتبه أ. د. مازن المبارك في كتابه: الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه ٩١-٩٢. ولكن المحقق لم يفطن لهذه العبارة، وانتشر كتاب المجاشعي لينتفع به الناس منسوبًا لغيره.

٦٠- حققه د. عبد الفتاح شلبي ونشره عام ١٩٧٣م، وكان ضمن المجموع كتاب الحروف للرماني فنشره ملحقًا بكتابه المعنون: معاني الحروف - للفائدة كما يقول - والحقيقة هما مختلفان؛ لأن طريقة العرض فيه مغايرة لما عليه معاني الحروف المنسوب. والكتاب الثاني نشره د. إبراهيم السامرائي ضمن «رسالتان في اللغة» باسم «منازل الحروف» اجتهادًا من الناسخ، والحقيقة أن الكتابين الآخرين هما كتاب «الحروف» للرماني الذي نشره د. مصطفى جواد ويوسف مسكوني تحت عنوان «رسائل في النحو واللغة».

٦١- التحفة الوفية ٢٩١، وأرسل أ. د. العايد- مشكورًا - النتائج التي توصل إليها مما زاد يقيني، ونفى الشكوك حول ذلك، ويقول هو العوامل والهوامل. وهذا سوف نتكلم عنه في بحث مستقل — بإذن الله - عند حديثنا عن الكتاب.

٦٢- معجم الأدباء ٤/١٨٣٥، وإنباه الرواة ٢/٣، وإشارة التعيين ٢٢٤، والبلغة ٢١٢، وطبقات الداودي٤٢١، وروضات الجنات ٥/٢٣٦، وهدية العارفين ١/٦٩٣.

٦٣- التذييل والتكميل ج٧/ق١١١/أ، و ج٥/ق١١٢/أ. نسخة كوبريلي.

٦٤- تذكرة النحاة ٤٣١.

٦٥- ارتشاف الضرب ٤/١٨٩٩. فيه القول الموجود في معاني الحروف المنسوب للرماني.

٦٦- النكت الحسان ١٤٣.

٦٧- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ٢٦٠، والبحر المحيط ٦/٨٤، والنهر الماد ٢/١/٣٢١.

٦٨- الأشباه والنظائر ٢/٤٥٥.

٦٩- همع الهوامع ٤/١٧٣.

٧٠- البغية ٢/١٧٦.

٧١- أجرى د. سيف العريفي مقارنة بين شرح عيون الإعراب ومعاني الحروف المنسوب للرماني، وتوصل إلى النتائج نفسها من أنه لابن فضال. مجلة عالم الكتب - م٢٣- ع ٥-٦- س٢٠٠٢م.

٧٢- طبع بتحقيق: د. حسن الشاذلي فرهود.

٧٣- المقدمة في النحو ٢١.

٧٤- ويسمى نكت معاني القرآن العظيم كما في نهاية المخطوط (اختصارًا)، وربما التسمية من الناسخ.

٧٥- عبد الله بن أحمد بن أبي الحسين الشاماتي، الأديب، أبو الحسين، مشهور بالتأديب في نيسابور، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، وكتاب الحماسة، وأمثال أبي عبيد، وسمع من الطبقة الثانية (ت٤٧٥هـ). (المنتخب٢٨٧). وشامات: كورة كبيرة من نواحي نيسابور تشتمل على قرى كثيرة، قيل: ثلاثمائة قرية، وقيل: تشتمل على مائتين وعشرين قرية. (معجم البلدان: شامات ٣/٣١١).

٧٦- المنتخب ٢٩٢.

٧٧- القاضي أبو علي الحسن بن عبد الملك بن الحسين ابن علي بن موسى بن عمران بن إسرافيل النسفي، وَلَدُ مفتي نسف القاضي أبي الفوارس، ولد سنة (٤٠٤هـ)،

سمع الكثير من الحافظ السمرقندي جعفر بن محمد المستغفري المتوفى سنة (٤٣٢هـ)، ولازمه وروى عنه، وروى الكثير ببخارى وسمرقند، وممن أخذ عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفي المولود سنة (٤٦١هـ)، والمتوفى سنة (٥٣٧هـ) فقد ترجم له وروى عنه في كتابه القند في ذكر علماء سمرقند، ولصاحب القند روايات كثيرة عنه في كتابه المذكور، ووصفه بالشيخ الإمام الحافظ. توفي بنسف سنة (٤٨٧هـ)، وقال ابن العماد: وفيها توفي الحسن بن عبد الملك النسفي الحافظ، حصل العالي من الإسناد قاله ابن ناصر الدين الدمشقي (الأنساب ١٠٣/٥، والسير ١٤٣/١٩ – ١٤٤، وتاريخ الإسلام: حوادث٤٨١ – ٤٩٠ه، والجواهر المضية ٦٨/٢، و٢٨٧/٣، والطبقات السنية ٧٤/٣، وشذرات الذهب ٣٨١/٣). وفي ديوان الغزي قصيدة مهداة إليه - والله اعلم – وفيه: وقال يمدح قوام الملك أبا علي النحلي (الديوان ٢٢٣ – ٢٢٤)، ولكن المحقق لم يتعرف على الممدوح المذكور، وأرى أنه لم يكن في ذلك الوقت من لقب بهذا اللقب غيره. ونخّل بالفتح ثم السكون: هي قرية من قرى بخارى. (معجم البلدان: ٥/ ٢٧٤، ولب الألباب٢٦١). وأرى احتمالات لقراءة النحلي في المخطوط لعله: النسفي، ولعله: البلخي، حيث يقول الشاعر: (أهدته بلخ...) ونحن نعلم أن ابن فضال أقام ببلخ مدة من الزمن وربما صنف له الكتاب أثناء ذلك.

٧٨- (واستوعب) في الأصل والصواب ما أثبت.

انجدفت وانجذفت وانحذفت: المعاني التي تحتملها الكلمة، حذف الشيء: إسقاطه، أي: سقطت أسنان البقاء، كناية عن ذهابه. ومجدوف ومجذوف، بالجيم وبالدال، أو بالذال، وقال صاحب اللسان: ومعناها: المقطوع (اللسان: حذف).

٧٩- في (ك)، و(ن): مجاهد.

فهرس المصادر والمراجع

١- المخطوطة:

- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) نسخة كوبريلي- ٥/ ق١١٢ أ، و٧/ ق١١١أ.
- تلخيص أخبار النحويين واللغويين: أحمد بن عبد القادر بن مكتوم تاج الدين (ت٧٤٩هـ) مصور ورقي في مركز جمعة الماجد للتراث - دبي - عن دار الكتب المصرية- رقم /١٦٠٠٣/. ق٧٥-٧٦.
- سياق تاريخ نيسابور: عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي (ت٥٢٩هـ) نسخة كوبريلي- ق ٧١.
- طبقات النحاة واللغويين: ابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ) نسخة مصورة عن نسخة الأحمدية – حلب – ق ٤٣٨-٤٤٠.
- النكات الحسان على معاني القرآن: أبو حيان الأندلسي، نسخة كوبريلي – ونسخة نور عثمانية – رقم /٦٠٥/.
- نكت المعاني على آيات المثاني: علي بن فضال المجاشعي، نسخة طوب قبو سراي- رقم/١١٥/١٧٤٤/ ق٢٠.

٢- الكتب المطبوعة :

- أبو حيان النحوي: د. خديجة الحديثي، بغداد – ط١ – ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
- الأثمار الجنية في أسماء الحنفية: ملا علي بن سلطان القاري (ت ١٠١٤هـ) تح: د. عبد المحسن عبد الله أحمد، ديوان الوقف السني – العراق – ط١ – ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ)، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي – القاهرة - ط ١ -١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- أخبار النحويين البصريين: أبو سعيد الحسن بن علي السيرافي (ت٣٦٨هـ)، تح: جماعة – مكتبة الثقافة الدينية – ط٢ – ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ارتشاف الضرب: أبو حيان الأندلسي، تح: د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي – القاهرة – ط١ – ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- أزهار الرياض في أخبار عياض: أحمد بن محمد المقري (ت١٠٤١هـ)، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي – المملكة المغربية – دولة الإمارات – ط١ – ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين علي بن محمد ابن أثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، تصحيح: الشيخ أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ – ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- الإشارة إلى تحسين العبارة: علي بن فضال المجاشعي أبو الحسن، تح: د. حسن الشاذلي فرهود – دار العلوم للطباعة والنشر – الرياض – ط١ - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين: عبد الباقي

اليماني (ت٧٤٣هـ) تح: د. عبد المجيد دياب – مركز الملك فيصل للدراسات والنشر – الرياض – ط ١ – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

- الأشباه والنظائر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) تح: أ. د. إبراهيم عبد الله، وأ.د. غازي طليمات، وأ. د. عبد الإله نبهان، و د. أحمد مختار، مجمع اللغة العربية – دمشق – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- إعتاب الكتاب: محمد بن عبد الله ابن الأبار (ت٦٥٨هـ)، تح: د. صالح الأشتر، دار الأوزاعي – بيروت – ط٢ – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- إعراب القرآن المنسوب إلى قوام السنة الأصبهاني (ت٥٣٥هـ) تح: د. فائزة بنت عمر المؤيد، الرياض – ط١- ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت – ط ١٢ – ١٩٩٧م .
- أعلام تميم: حسين حسن – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – ط١ – ١٩٨٠م.
- أعيان الشيعة: محمد الأمين العاملي، تح: حسن الأمين العاملي – دار التعارف – بيروت – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- أعيان العصر وأعوان النصر: ابن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تح: جماعة – دار الفكر – دمشق – ومركز الماجد للثقافة والتراث – دبي – ط١ – ١٩٩٨م.
- الإكمال: علي بن هبة الله أبو نصر ابن ماكولا (ت٤٧٥هـ)، عني بتصحيحه: عبد الرحمن اليماني، حيدر آباد – ط٢، ودار الكتاب الإسلامي – القاهرة – د.ت.
- الإمام الجويني: أ. د. محمد الزحيلي، دار القلم – دمشق – ط١ – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
- إمتاع الأسماع: أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تح: أ. محمود شاكر – القاهرة – ط١- ١٩٤١م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة: جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ) تح: محمد أبي الفضل إبراهيم – دار الفكر العربي – القاهرة – ط١ – ١٩٨٦م. والمكتبة العصرية – بيروت – ط١ – ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
- الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت٥٦٢هـ) – تقديم وتعليق: عبد الله البارودي – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – ط ١ – ١٩٨٨م .
- أنموذج الزمان في شعراء القيروان: الحسن بن رشيق القيرواني(ت٤٦٣هـ)، تح: محمد العروسي وبشير بكوش – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط٢-١٩٩١م.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: إسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م. (نسخة مصورة).
- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، دار الفكر – بيروت – ط٢ – ١٩٨٣م.
- البداية والنهاية: عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تح: مجموعة من الأساتذة – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ٣ – ١٩٨٧م. ودار أبي حيان – القاهرة – ط ١ – ١٩٩٦م .
- البدر الطالع في أعيان من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، تح: محمد حسن حلاق – ابن كثير – دمشق – ط١ – ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
- بغداد : د. مصطفى جواد وآخرون، دار الوراق – لندن – ط١ – ٢٠٠٥م.
- بغية الطلب في تاريخ حلب: كمال الدين، عمر بن أحمد، ابن العديم (ت٦٦٠هـ)، تح: د. سهيل زكار، دمشق – ط١ – ١٩٨٨م.
- بغية الملتمس: أحمد بن يحيى الضبي (ت٥٩٩هـ)، تح: إبراهيم الإبياري – دار الكتاب المصري – القاهرة – ط١ –١٤٠١ هـ – ١٩٨٩م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم – البابي الحلبي – القاهرة – ط١ – ١٩٦٤م. وعلي محمد عمر – الخانجي – القاهرة – ط١ – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- البلغة في تاريخ أئمة اللغة : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تح: أ. محمد المصري – وزارة الثقافة – دمشق – ط ١ – ١٩٧٢م. ودار سعد الدين – دمشق – ط١ – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- تاج التراجم: زين الدين القاسم بن قطلوبغا الحنفي (ت٨٧٩هـ) تح: أ. إبراهيم صالح، دار المأمون للتراث – دمشق – ط١ –١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، نقله إلى العربية: عبد الحليم نجار وآخرون – دار المعارف – القاهرة – ط٣ – ١٩٧٤م. والهيئة المصرية للكتاب- القاهرة – ١٩٩٥م.
- تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات: د. شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٠م.
- تاريخ الإسلام: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد

الذهبي (ت٧٨٤هـ) تح: د. عمر عبد السلام التدمري – دار الكتاب العربي – بيروت – ط١ – ١٩٨٨م. وتح: أ. د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي - بيروت – ط١ – ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

- تاريخ بيهق: علي بن زيد أبو الحسن البيهقي (ت٥٦٥هـ) ترجمه عن الفارسية وحققه: يوسف هادي، دار اقرأ – دمشق – ط١ – ٢٠٠٤م.

- تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين – جامعة الإمام – السعودية – ط١ – ١٩٨٣م.

- تبيين كذب المفتري: علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر (ت٥٧١هـ) دار الفكر – دمشق – ط٢ – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٨م، ودار الكتاب العربي – بيروت – ط٣ - ١٩٨٤م.

- تجارب السلف: هندوشاه بن عبد الله النخجواني (تبعد٧٣٠هـ)، نقله للعربية: د. أحمد ناجي القيسي، طهران – ١٩٦٠م.

- تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب: السيوطي، تح: د. حسن الملخ ود. سهى النعجة، عالم الكتب الحديث – إربد – ط١ – ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- تذكرة الحفاظ: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، طبعة مصورة، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٣٧٤هـ.

- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه: الحسن بن عمر بن حبيب (ت٧٧٩هـ)، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة – ط١ – ١٩٨٦م.

- تذكرة النحاة: أبو حيان الأندلسي، تح: د. عفيف عبد الرحمن – مؤسسة الرسالة - ط١ - ١٩٨٦م.

- تراجم المؤلفين الأندلسيين: محمد محفوظ (ت١٤٠٩هـ) – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط١ – ١٩٨٥م.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت٥٤٤هـ)، تح: محمد بن تاويت الطنجي – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب – ط ٢ – ١٩٨٣م.

- تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلا: محمد ابن أحمد تقي الدين الفاسي المكي (ت٨٣٢هـ)، تح: أ. محمود الأرناؤوط وأكرم البوشي، دار صادر – بيروت - ط١ – ١٩٩٨م.

- التفسير والمفسرون في غرب إفريقية: محمد بن رزق بن طرهوني – دار ابن الجوزي – الرياض – ط١ – ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- توضيح المشتبه: ابن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢هـ)، تح: أ. محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤هـ.

- جذوة المقتبس: محمد بن فتوح الحميدي (ت٤٨٨هـ)، تح: محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة – ١٣٧١هـ - وتح: أ. د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي – تونس – ط١ – ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- جلاء العينين: نعمان خير الدين (المعروف بابن الألوسي)، مطبعة المدني– القاهرة – ط١ – ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م.

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم – البابي الحلبي – القاهرة – ط ١ – ١٩٦٨م.

- خريدة القصر وجريدة العصر: ابن العماد الأصفهاني (ت٥٩٧هـ)، قسم شعراء المغرب، تح: عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم – نهضة مصر – القاهرة – ط١ – ١٩٦٤م. والدار التونسية للنشر – ط٣ – ١٩٨٦م. وقسم الشام، تح: د. شكري فيصل – مطبوعات المجمع – دمشق – ط١–١٩٦٤م.

- خزانة الأدب: عبد القادر البغدادي، تح: أ. عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – ط٤ - ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

- دار العلم في القرن الخامس الهجري: عبد السلام التدمري، دار الإنشاء – طرابلس – ط١ – ١٩٨٢م.

- الدر الثمين في أسماء المصنفين: علي بن أنجب الساعي (ت٦٧٤هـ) تح: أ. أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي – المغرب – ط١ – ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد – ط٢ – ١٩٧٦م.

- درة الحجال في أسماء الرجال : أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (ت١٠٢٥هـ)، دار التراث – القاهرة – ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

- الدليل الشافي على المنهل الصافي: جمال الدين، ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ)، تح: فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ط١ -١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- دمية القصر وعصرة أهل العصر: علي بن الحسن، أبو الحسن الباخرزي (ت٤٦٧هـ) تح: د. عبد الفتاح الحلو – دار الفكر العربي، مطبعة المدني – القاهرة – ط١

– ١٩٦٨م. وتح: د. سامي مكي العاني – دار العروبة – الكويت – ط٢ – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

– ديوان أبي حيان الأندلسي: تح: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي – مطبعة العاني – بغداد – ط١ – ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م.

– ديوان الغزي: تح: د. عبد الرزاق حسين – مركز الماجد للثقافة والتراث – دبي – الإمارات العربية المتحدة – ط١ – ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

– ديوان محمد بن هانئ الأندلسي: تح: محمد اليعلاوي- دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط١ – ١٩٩٥م.

– ديوان ابن نباتة السعدي: تح: أ. عبد الأمير الطائي – وزارة الإعلام – بغداد – ١٩٧٧م.

– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ) تح: د. إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط١- ١٩٩٤م. وليبيا- تونس – ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

– ذيل تاريخ بغداد: ابن النجار (ت٦٤٣هـ)، ج/١٦/ من تاريخ بغداد – تصوير دار الكتب العلمية.

– الذيل التام على دول الإسلام: شمس الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تح: حسن إسماعيل مروة، مكتبة دار العروبة – الكويت – ط١ – ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .

– ذيل التذكرة: شمس الدين محمد بن علي بن حمزة الحسيني(ت٧٦٥هـ)، دار الفكر العربي – بيروت – ١٩٧٠م.

– رسائل في النحو واللغة: د. مصطفى جواد ويوسف مسكوني، وزارة الثقافة – بغداد – ط١ – ١٩٦٩م.

– الرسالة المستطرفة : عبد الحي الكتاني (ت١٣٨٢هـ) – بيروت – ط٢ – ١٤٠٠هـ – ١٩٧٩م.

– رسالتان في اللغة (منازل الحروف والحدود) علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٤هـ)، دار الفكر – عمان – ط١ – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

– رفع الإصر عن قضاة مصر: ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) تح: د. حامد عبد المجيد ومحمد المهدي – المكتبة الأميرية – القاهرة – ط ١ – ١٩٥٧م.

– الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: دراسة وتحقيق: أ. د. مازن المبارك، دار الفكر – دمشق – ط٣- ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

– روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: أبو تراب عبد العلي بن جعفر بن مهدي الخوانساري (ت١٣١٣هـ)، تح: أسد الله إسماعيليان – دار المعرفة – بيروت – عن طبعة قم ١٣٩١هـ.

– سلافة العصر في محاسن أهل العصر: علي بن أحمد بن معصوم (ت١١١٩هـ) تح: د. محمود خلف البادي – دار كنان – دمشق – ط١- ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

– سير أعلام النبلاء: الذهبي – تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط ١١ – ١٩٩٦م .

– شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ) تح: محمود وعبد القادر الأرناؤوط – دمشق – دار ابن كثير – ط١ – ١٩٩٥م.

– شرح عيون الإعراب: علي بن فضال المجاشعي، تح: حنا جميل حداد – مكتبة المنار – الزرقاء – ط١ – ١٩٨٥م. وتح: عبد الفتاح سليم – مكتبة الآداب – القاهرة – ط١- ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

– الشعر العربي في العراق: علي جواد الطاهر، مطبعة العاني – بغداد – ط١ – ١٩٦١م.

– الصلة: خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال (ت٥٧٨هـ)، نشر وتصحيح: عزت العطار الحسني – مكتبة الخانجي – القاهرة – ط ٣ –١٩٩٤م. والدار المصرية – ١٩٦٦م.

– طبقات الشافعية: جمال الدين الإسنوي (ت٧٧٢هـ) تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

– طبقات الشافعية: تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ)، اعتنى بتصحيحه: عبد العليم خان، الدار السلفية- الهند- ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. وعالم الكتب – بيروت- ط ١ – ١٩٨٧م.

– طبقات الشافعية: أبو بكر ابن هداية الله الحسيني (ت١٠١٤هـ)، تح: د. عادل نويهض – دار الآفاق الجديدة – بيروت – ط١ – ١٩٧١م.

– طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب السبكي (ت٧٧١هـ)، تح: د. محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو – البابي الحلبي – مصر – ط ١ – ١٩٦٥م. وهجر – ط٢ – ١٩٩٢م.

– طبقات الفقهاء: أبو إسحاق الشيرازي (ت٤٧٦هـ)، تح: خليل الميس – دار القلم – بيروت – ط ١ – ١٩٩٠م.

– طبقات الفقهاء الشافعية: أبو محمد جمال الدين عبد

الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي (ت٧٧٢هـ) تح: عبد الله الجبوري – مطبعة الإرشاد – بغداد – ط١ – ١٩٧٠م.

- طبقات الفقهاء الشافعية: محمد بن أحمد العبادي (ت٤٥٨هـ) تح: إي. جي. بريل – ليدن – ط١ – ١٩٦٤م.

- طبقات الفقهاء الشافعيين: عماد الدين ابن كثير الدمشقي، تح: د. أحمد عمر هاشم – دار الثقافة الدينية – القاهرة – ط١ – ١٩٩٣م.

- طبقات القراء: الإمام الذهبي، تح: د. أحمد خان – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات - الرياض – ط٢ – ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

- طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الأدنه وي (ت ق١١هـ) تح: د. سليمان الخزي – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – ط١ – ١٩٩٧م.

- طبقات المفسرين: الحافظ جلال الدين السيوطي، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة - القاهرة - ط١ - ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م. ودار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٩٨٣م.

- طبقات المفسرين: الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداودي (ت٩٤٥هـ)، تح: علي محمد عمر – مكتبة وهبة – القاهرة – ط١ –١٣٩٢هـ -١٩٧٢م. ودار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٨٣م.

- طبقات النحاة واللغويين: أبو بكر بن أحمد، ابن قاضي شهبة – تح: د. محسن غياض – مطبعة النعمان – النجف – ط١ – ١٩٧٤م.

- العبر في ديوان من غبر : الحافظ محمد بن أحمد الذهبي – تح: د. صلاح الدين المنجد – وزارة الإعلام – الكويت – ط٢ – ١٩٨٤م.

- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: تقي الدين الفاسي المكي، تح: فؤاد سيد – القاهرة - ١٩٦٦م. ومؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢ – ١٩٨٦م.

- غاية النهاية في طبقات القراء: محمد بن محمد بن محمد ابن علي بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، عني بنشره برجستراسر – دار الكتب العلمية – بيروت – طبعة مصورة.

- الفهرست: محمد بن إسحق النديم (ت٣٧٧هـ)، تح: د. أيمن فؤاد سيد – مؤسسة الفرقان – لندن – ط ١– ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- فهرس ابن عطية: ابن عطية الإشبيلي (ت٥٤١هـ)، تح: محمد أبي الأجفان – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط١ – ١٩٨٠م.

- الفهرس الشامل للتراث الإسلامي المخطوط، (التفسير وعلومه): مؤسسة آل البيت – المملكة الأردنية الهاشمية.

- فهرسة اللبلي: أحمد بن يوسف الفهري (ت٦٩١هـ) تح: ياسين يوسف عياش وعواد أبو زينة، دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- فهرسة ما رواه ابن خير عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف: ابن خير الإشبيلي (ت٥٧٥هـ)، تح: فرانشسكو قداره زيدين وتلميذه – المكتب التجاري – بيروت - مكتبة المثنى – بغداد، ومؤسسة الخانجي – القاهرة – ١٩٨٣م .

- فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي: د. رمضان ششن ورفيقاه – إستانبول – تركيا – ط١- ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- فوات الوفيات: صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ)، تح: د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت ط ١ – ١٩٧٣م .

- القند في ذكر علماء سمرقند: نجم الدين أبو حفص عمر ابن محمد السمرقندي النسفي (ت٥٣٧هـ)، تح: د. يوسف الهادي – طهران – ط١ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- الكامل في التاريخ: عز الدين علي بن محمد بن الأثير الجزري، دار صادر – بيروت – ط ١- ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م. ودار الكتب العلمية – ط١ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة: لسان الدين بن الخطيب، تح: د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – ط١- ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله، حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، دار الفكر - بيروت - ط ٢ - ١٩٩٠م. طبعة مصورة.

- لب اللباب في تحرير الأنساب: السيوطي، تح: مكتب البحوث بدار الفكر – بيروت – ٢٠٠٢م.

- لسان العرب: ابن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر – بيروت – ط٣ – ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، تح: الشيخ عبد الفتاح

أبـو غـدة، دار البشائر الإسلامية – بيروت - ط١– ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م. ومؤسسة الأعلمي – بيروت – ط٣ - ١٩٨٦م.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الأثـيـر الـجـزري (ت٦٣٧هـ) تـح: محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – صيدا – ١٤١١هـ -١٩٩٠م.

- المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء): للملك المؤيد، عماد الدين إسماعيل بن عمر أبي الفداء (ت٧٣٢هـ)، دار المعرفة - بيروت - ط ١ – ١٩٧٠م.

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان: عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (ت٧٦٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ط٢ – ١٩٧٠م. وتح: د. عبد الله الجبوري - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ – ١٩٨٤م.

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ)، تح: جماعة – مركز زايد للتراث والتاريخ – ط١ - العين – والمجمع الثقافي – أبو ظبي – ط١ – على مدى سنوات متعددة.

- مستفاد الرحلة والاغتراب: القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت٧٣٠هـ)، تح: أ. عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس – ط١- ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: لابن النجار (ت٦٤٣هـ) انتقاء: أحمد بن أيبك شهاب الدين الحسامي الدمياطي (ت٧٤٩هـ) تح: د. قيصر أبو فرح - دار الكتب العلمية - طبعة مصورة. وتح: محمد مولود خلف – مؤسسة الرسالة – ط١ – ١٩٨٦م.

- مشاهير التونسيين: محمد بوذينة، دار سيواس للنشر - تونس - ط٢ – ١٩٩٢م.

- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: عبد الرحمن الدباغ (ت٦٩٦هـ)، أكمله وعلق عليه: أبو الفضل بن عيسى التنوخي (ت٨٣٩هـ)، تصحيح وتعليق: جماعة – تونس – ط١ – ١٩٦٨م. – وتح: أ. إبراهيم شبوح وآخرين – تونس - ط٢ – ١٩٩٣م.

- معاني الحروف (المنسوب) للرماني: تح: د. عبد الفتاح شلبي، دار الشروق - جدة – ط٣ – ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- معاهد التنصيص: عبد الرحيم بن أحمد العباسي (ت٩٦٣هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد – عالم الكتب - بيروت – ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- معجم الأدباء = (إرشاد الأريب): ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) تح: د. إحسان عباس – دار الفكر – بيروت – ط ٣ – ١٩٨٠م. ودار الغرب الإسلامي – بيروت – ط٢ – ١٩٩٣م

- معجم البلدان: ياقوت الحموي – تح: فريد الجندي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١ – ١٩٩٠م، ودار صادر – بيروت – ط٣ – ٢٠٠٧م.

- معجم الشعراء الأندلسيين والمغاربة: د. عفيف عبد الرحمن، المجمع الثقافي – أبو ظبي – ط١ – ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- معجم طبقات الحفاظ والمفسرين: إعداد ودراسة أ. عبد العزيز سيروان – عالم الكتب – بيروت – ط١ – ١٩٨٤م.

- معجم علماء اللغة والنحو بالأندلس: د. رجب عبد الجواد إبراهيم - دار الآفاق العربية – ط١ -١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة (ت١٤٠٨هـ) مطبعة الترقي – دمشق – ١٩٥٩م. ودار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ – د . ت. ومؤسسة الرسالة – بيروت – ط١ – ١٩٨٦م.

- معجم المفسرين من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر: أ. عادل نويهض (ت١٤١٧هـ) مؤسسة نويهض الثقافية– بيروت – ط٣ – ١٩٨٨م.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تح: أ. د. مازن المبارك، دار الفكر – بيروت – ط١ – ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- المقدمة في النحو: علي بن فضال المجاشعي، تح: د. حسن الشاذلي فرهود – دار التراث – القاهرة – ط١ – ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور: إبراهيم بن أحمد الصيرفيني (ت٦٤١هـ) تح: محمد أحمد عبد العزيز – بيروت – ط١ – ١٩٨٩م. وتح: خالد حيدر – دار الفكر – بيروت - ١٩٩٣م. ونشر بإيران بعنوان: الحلقة الأولى من تاريخ نيسابور، إعداد محمد كاظم المحمودي، طبعة قم – ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

- المنتظم في التاريخ: أبو الفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) تح: محمد ومصطفى عبد القادر عطا - مراجعة : نعيم زرزور - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٩٩٢م.
- من ذيول العبر: شمس الدين الحسيني، تح: محمد رشاد عبد المطلب - وزارة الإعلام - الكويت - ١٩٦٠م.
- من غاب عنه المطرب: أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) تح: عبد المعين الملوحي، دار طلاس - دمشق - ط١ - ١٩٨٧م.
- المنح الرحمانية في الدولة العثمانية: محمد بن أبي السرور البكري الصديقي (ت بعد ١٠٧١هـ)، تح : د. ليلى الصباغ، مطبوعات مركز الماجد للثقافة والتراث - دبي ودار البشائر - دمشق - ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك: أبو حيان الأندلسي، تح: سدني جليزر - ١٩٤٧م.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: يوسف بن تغري بردي، تح: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة - ط١ - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- موسوعة أعلام المغرب: ضمنها تذكرة المحسنين لعبد الكبير الفاسي (ت١٢٩٥هـ) تح: د. محمد الحجي (ت١٤٢٣هـ) - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط١- ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة - الرياض - ط٢ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - تح: علي محمد البجاوي - البابي الحلبي - القاهرة - ط ١ - ١٩٦٣م.
- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة : ابن تغري بردي (ت٨٨٧هـ) تح: جماعة - دار الكتب المصرية - القاهرة - ط١ - ١٩٧٢م .
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت٥٧٧هـ) تح: د. إبراهيم السامرائي - مكتبة المنار - الأردن - ط ٣ - ١٩٨٥م. وتح: محمد أبي الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - ٢٠٠٣م.
- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر- المسمى (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام): عبد الحي الحسني (ت١٣٤١هـ)، دار ابن حزم - بيروت - ط١ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- نفح الطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، تح : د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت - ط١ - ١٩٦٨م.
- النكت الحسان شرح غاية الإحسان: أبو حيان الأندلسي، تح: د. عبد الحسين الفتلي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- نكت المعاني على آيات المثاني: ابن فضال المجاشعي، تح: د. إبراهيم الحاج علي، مكتبة الرشد - الرياض - ط١ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- نكت الهميان : ابن أيبك الصفدي، اعتناء: أحمد زكي باشا، القاهرة - ١٣٢٩هـ - ١٩١١م.
- النهر الماد: أبو حيان الأندلسي، ضبط وتقديم بوران وصديان الضناوي، دار الجنان - بيروت - ط١ - ١٩٨٧م
- النور السافر عن أعيان القرن العاشر: عبد القادر العيدروس (ت١٠٣٨هـ)، تح: جماعة - دار صادر - بيروت - ط٢ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الهداية إلى بلوغ النهاية: مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) تح: جماعة من الباحثين - منشورات جامعة الشارقة - الشارقة -١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل البغدادي- دار الكتب العلمية - بيروت - نسخة مصورة .
- همع الهوامع: السيوطي، تح: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث الجامعية - الكويت - ط١ - ١٩٧٩م. وعالم الكتب - بيروت - ٢٠٠١م.
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي - اعتناء محمد الحجيري وجماعة - سلسلة النشريات الإسلامية.
- ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية: أ. حسن حسني عبد الوهاب (ت١٣٨٨هـ) مكتبة المنار - تونس - ط١ - ١٩٦٤م.
- الوفيات: ابن قنفذ، أحمد بن حسن بن الخطيب القسنطيني (ت٨٠٩هـ) تح: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط٣ - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان (ت٦٨١هـ)، تح: د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت – ط١ - ١٩٦٨ – ١٩٧١م، ودار إحياء التراث العربي- بيروت – ط١ – ١٩٩٧م.
- يتيمة الدهر: أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) تح : محمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – القاهرة – ط ٢ – ١٩٥٦م.

٣ - فهرست المجلات والدوريات:

- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– ع١٩- س١٤١٨هـ: التحفة الوفية بمعاني حروف العربية: إبراهيم الصفاقسي (ت٧٤٢هـ)، تح: أ. د. صالح بن حسين العايد.
- مجلة الحكمة – لندن – ع ١٦- س ١٤١٩: نظرات في إعراب القرآن المنسوب لقوام السنة الأصبهاني: د. عبد الهادي حميتو.
- مجلة عالم الكتب – م ٢٣ – ع ٥ و٦ – س ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. كتاب معاني الحروف المنسوب للرماني تحقيق اسمه ونسبته إلى ابن فضال المجاشعي: د. سيف العريفي.
- مجلة العرب – ج١ و٢ – س٤٣ – ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م: إعراب القرآن لقوام السنة هو نكت المعاني: أ. د. حاتم صالح الضامن.

٤- الرسائل الجامعية:

- المدارس النظامية – أ. محمد ماهر حمادة - بحث جامعي – كلية التربية - جامعة دمشق- ١٩٥٤– ١٩٥٥م.



أدوات الكيل عند العرب: اشتقاقاتها، قياساتها، استعمالاتها

الأستاذ/ أحمد محمد جواد محسن
باحث أكاديمي عراقي - دمشق - سوريا

مقدمة

استعمل العرب، منذ القِدم، عملية الكيل، لقياس كمية المواد المختلفة، سواء كانت جافة أم سائلة،بواسطة أدوات، تمثل أوعية خاصة يمكن أن يحملها الإنسان بمفرده أو يستعين بالحيوان. وقد كان للعرب في الجزيرة العربية أدوات متعددة للكيل، تدعى المكاييل، مختلفة أسماءها، متشعبة أشكالها، كثيرة استعمالاتها. أضف إلى ذلك لم يكن ثمة اتفاقاً كاملاً عن أصولها واشتقاقاتها، لأن معظم هذه الأدوات أخذها العرب من البلدان المجاورة، كالعراق والشام وبلاد فارس، التي تعود جذورها إلى شعوب الحضارات القديمة كالبابليين والمصريين القدماء والرومان والإغريق. هذا الأمر حتّم على العرب التعامل مع كل بلد بمكاييله الخاصة، مما نجم عنه اختلافات في تحديد سعة المكيال الواحد في أحيان كثيرة. والمكاييل التي استعملها العرب على مر العصور عديدة، هي الصاع، المُد، القفيز، القسط، الفرق، المكوك، المختوم، الجريب، الوسق، الوقر، الكر، الأردب، الطسق، الكارة، الكيلجة، المدى، الويبة، الغرارة. ومع تعدد هذه المكاييل، إلا أن أهميتها واستعمالاتها لم تكن متساوية زماناً ومكاناً، لأن قسماً منها قد اكتسب اعتبارات خاصة دينية شرعية كتحديد قيمة الزكاة، وقسماً آخر اعتمده الحكام والولاة مقياساً أساسياً في معاملاتهم مع عامة الناس.أضف إلى ذلك أن كل بلد يختص ويشتهر بمكاييل معينة، والحديث الذي روي عن الرسول الكريم محمد(ﷺ) واضح في هذا المجال: « منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مدها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها»، فذكر رسول الله(ﷺ)، كل بلد وما تختص به من كيل ونقد[1]. و منعت أي حميت.والهدف من هذه الدراسة هو البحث عن معنى الكيل، وعن المعاني اللغوية للمكاييل وعلى اشتقاقاتها وأصولها التاريخية واستعمالاتها، وورودها في القرآن الكريم والأحاديث والشعر العربي والحكم والأمثال. غير أننا سوف لا نركز كثيراً على مقاديرها وقياساتها، بسبب تفاوتها وتباينها في مواضع كثيرة.

معنى الكيـــل

الأصل في معنى الكيل هو تعيين الكمية والمقدار والقيام بالعدّ بواسطة إناء معين متفق عليه يدعى « المكيال »، وجمعه مكاييل. والكيل يختلف عن الوزن. فالوزن يتطلب آلة تدعى الميزان، كما يتطلب وجود عيارات مختلفة الأحجام. أما الكيل فهو أكثر سهولةً؛ لأنه يتطلب إناءً واحداً يغرف به من موضع معين، ليفرغ في موضع آخر، مرة أو أكثر

بسرعةٍ وتوالٍ. لذلك فالكيل بحاجة لجهد أكبر من الوزن. لكن من ناحية طبيعة المواد، فلم تكن هناك وسيلة حاسمة لتحديد المواد التي توزن، من تلك التي تكال. فالكثير من المواد يمكن أن توزن وتكال في الوقت ذاته كالسمن والحبوب. أما على المستوى العملي، فإن هناك اتفاقاً متعارفاً عليه في المجتمعات المختلفة، عن المواد التي توزن وتلك التي تكال. لذلك فقد اشتهرت مدناً معينة بالوزن وأخرى بالكيل، كما ورد في حديث رسول الله محمد (ﷺ) بقوله، كما يذكره ابن سلام: «المكيال مكيال المدينة والميزان ميزان مكة»[٢]. وعلى هذا الأساس فإن تصنيف المواد إلى مكيول وموزون، كان معروفاً عند عامة الناس كما جاء في قول البوصيري:

ومن مواشٍ وأطيارٍ وآنية
ومن زروعٍ ومكيولٍ وموزون[٣]

والذي يعرف به أصل الكيل والوزن لأي مادة هو أسم الأداة التي قيست بها. فقد ذكر ابن منظور معياراً لذلك بقوله: إن كل ما لزمه اسم المختوم والقفيز والمكوك والمد والصاع، فهو كيل. وكل ما لزمه الأرطال والأواقي والأمناء (جمع من) فهو وزن[٤] أي أن أسماء أدوات الكيل تختلف عن أسماء أدوات الوزن. ومع ذلك فالتقسيم هذا ليس ثابتاً في جميع البلدان والعصور، من ناحية الأدوات التي فيه إذ من الممكن أن تزيد أو تنقص. أما طبيعة أدوات الكيل، أي المكاييل، فهي أواني أو أكياس مختلفة الحجم والشكل قد تكون المادة المصنوعة منها، من الفخار أو المعدن أو الخشب أو الزجاج أو الجلد بشرط أن تناسب المادة المطلوب كيلها. والمكاييل يمكن تصنيفها إلى صنفين حسب الجهة التي تحملها. فالصنف الأول، ما يستطيع الإنسان أن يحمله بيده من أواني والثاني ما يستطيع الحيوان أن يحمله من أكياس على ظهره بمساعدة الإنسان. سنبدأ بالمكاييل التي يحملها الإنسان، التي تقسم بدورها إلى مكاييل أساسية وأخرى ثانوية، قليلة الاستعمال. فالأولى هي الصاع والمد والفرق والقسط والمكوك والكر والأردب. والثانية هي الطسق والفالج والكارة والكيلجة. أما التي يحملها الحيوان فهي الوسق والوقر. فضلاً عن ذلك فإن قسماً من المكاييل ذات وظيفة قياسية مزدوجة، فهي للكيل والمساحة، كالقفيز والجريب.

الصاع

الصاع، هو الوحدة الأساسية للكيل، ومن أكثر المكاييل شهرةً في المعاملات التجارية، منذ عهود البابليين والكنعانيين إلى العصور الإسلامية. وقد منح الإسلام أهمية كبيرة للصاع، حين حدد مقادير الأحكام الشرعية كالزكاة وصدقة الفطر وكفارة اليمين وفدية الصوم وكمية الماء الخاصة بالغسل، استناداً إلى مقدار صاع المدينة. واستمر الصاع محافظاً على وظيفته إلى الوقت الراهن، ولكن بعد تحديد مقداره بالأوزان الحديثة، لأن الصاع قد اندثر في المعاملات التجارية، بسبب ظهور المكاييل والأوزان العلمية المضبوطة. وقد دخل الصاع أيضاً دخولاً مجازياً قوياً إلى مجال الشعر العربي والحكم والأمثال. ومن أشهر الأقوال التي لا زالت قائمة، هي القول: ردّ له صاعاً بصاع، وكذلك ردَّ له الصاع صاعين. ومن الكلمات الاشتقاقية للصاع التي لا يزال يتعامل بها عامة الناس، هي «انصاع» بمعنى امتثل، رضخ، أطاع. وكذلك كلمة «الصائع»، بمعنى الطائش الذليل، الخاضع. فضلاً عن ذلك فإن الصاع يحمل في طياته اختلافات، عن معانيه وألفاظه. أضف إلى ذلك العلاقة غير

الواضحة بين معاني الألفاظ الاشتقاقية للصاع وبين الفكرة الأساسية للصاع وهي عملية الكيل.

ألفاظ الصاع وقراءاته

ورد في معاجم اللغة العربية مجموعة متباينة تخص ألفاظ الصاع وحركاته وقراءاته، وتذكيره وتأنيثه، فضلاً عن التباين في جمعه، كما ورد في تاج العروس. الصاَع، والصوّاع بالكسر وبالضم، والصوَع بالفتح ويضم، كلهن لغات في الصاع الذي يكال به.... وقريء بهن. وقد جاء ذكر الصاع، مرة واحدة في القرآن الكريم: «قالوا نفقد صواع الملك»، يوسف/٧٢. غير أنها قرئت أيضاً بالألفاظ السابقة. والصاع يذكر ويؤنث. أما جمع الصاع فهو أصوع، وإن شئت أبدلت من الواو المضمومة همزة وقلت: أصوع، هذا على رأي من أنثه. ومن ذكره قال: صاعٌ وأصواعٌ، وصوع بالضم، وصواع بالكسر، وصيعان[٥]، وآصع أيضاً.

هيئة الصاع واستعمالاته

لا شك أن الصاع هو إناء، غير أن معظم المصادر لم تخبرنا كثيراً عن هيئته ولا عن صناعته. ولكن ابن منظور في لسان العرب ذكر حديثاً لابن عباس في تفسير قوله تعالى، صواع الملك، قال: كهيئة المكوك، والمكوك أعلاه ضيق ووسطه واسع[٦]. أما المادة المصنوع منها الصاع، فغالباً ما تكون من الفخار أو المعدن أو الخشب. أما استعمالات الصاع، فقد كانت للكيل والشرب والغسل. واستعمال الصاع للكيل كان هو الشائع في المعاملات التجارية، فيكال به الطعام وفي تحديد الزكاة وغيرها كما ذكرنا. وقد كان أهل المدينة يتعاملون بالصاع والمد، لذلك بعد ما هاجر النبي محمد (ﷺ) إلى المدينة دعا الله بقوله «اللهم بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم ومدهم»[٧] والصاع، كإناء لكيل الطعام والشراب، كان معروفاً عند العرب في العصر الجاهلي، فقد ذكره شعراء ذلك العصر، منهم الأعشى الكبير بقوله:

وحورٌ كأمثال الدّمى ومناصفٌ
وقدرٌ وطباخٌ وصاعٌ وديسقُ

مناصف: جمع، مفرده منصف وهو الخادم.
الديسق: خوان(مائدة) من فضة(٨).

والمعنى نفسه يذكره المتلمس الضبعي:

والغمر ذو الأحساء والـ
ـلذات من صاعٍ وديسقْ

الغمر: يطلق على عدة مواضع في جهات مختلفة. الأحساء: جمع الحيس وهو حفيرة قريبة القعر[٩]. أما الصاع، كقدح أو إناء فقد ذكره عبده الطبيب بقوله:

يسعى له منصفٌ عجلان ينفضه
فوق الخوان وفي الصاع التوابيل

المنصف: الخادم[١٠]. والصاع كإناء للشرب، فقد ورد بلفظة «صواع» في الآية التي ذكرناها «قالوا نفقد صواع الملك». وجاء في تفسير هذه الآية في تاج العروس: أن الصواع هو طاس كان الملك يشرب به، وهو المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه. وكان إناءً مستطيلاً مصنوعاً من النحاس وقيل إنه كان من ورق، فكان يكال به، وربما شربوا به. ولكن جاء في تاج العروس أيضاً أن الصاع الذي يكال به غير الصُوّاع الذي يشرب به[١١]. ولأن الصاع، هو إناء فقد كان يستعمل للغسل أيضاً. فقد ذكر القاسم بن سلام حديثاً عن الرسول محمد (ﷺ) هو: كان رسول الله (ﷺ)

أدوات الكيل عند العرب: اشتقاقاتها، قياساتها، استعمالاتها

يغتسل بالصاع ويتطهر بالمـد»[١٢].

أصول الصاع وجذوره

لم تذكر معظم معاجم اللغة العربية الأساسية، شيئاً عن الجذور التاريخية للصاع، وأصوله، وعن ما إذا كان معرباً أم لا. غير أن المصادر الأخرى تذكر رأيين متعرضين. الأول، جاء في دائرة المعارف الإسلامية، يعتقد أن الصاع ويقال الصواع أيضاً، كلمة عربيـة[١٣]. أما الـرأي الآخر،فقد ورد في كتاب «غرائب اللغة العربية»، يرى أن الصاع كلمة مقتبسة عن الآرامـيـة[١٤]. وكذلك ورد في معجم ألفاظ القرآن الكريم، إذ جاء فيه: والصاع فيما يقال معرب غير عربي، ومن هنا لا يسهل تخريجه من مادة صاع يصوع بمعنى فرّق[١٥]. ومما يسند الرأي الثاني، أن الصاع كان معروفاً عند الفراعنة في مصر، زمن النبي يوسف،كما تشير الآية التي ذكرناها سابقاً «نفقد صواع الملك»، لأن استعمال الكيل كان معروف لديهم على نطاق واسع في عملية توزيع القمح.

قياس الصاع وتقديراته

اكتسب تقدير كمية المادة التي يمثلها الصاع، أهمية كبيرة، وذلك لارتباطها ارتباطاً وثيقاً بتحديد مقدار الأحكام الشرعية عند المسلمين، بوجه خاص مقدار زكاة الفطر، كما ذكرنا سابقاً. وأول من حدد مقدار الصاع الشرعي هو نبينا محمد (ﷺ) في السنة الثانية للهجرة، حين استن تفصيلات الشعائر الصحيحة لعيد الفطر التي اقترنت بفرض زكاة الفطر التي قدرت بصاع على كل فرد من أفراد الأسرة. وكان صاع المدينة بطبيعة الحال هو الذي اختير مكيالاً قياسياً[١٦]. ومكيال أهل المدينة، كان يتسع أربعة أمداد (جمع مُـد)[١٧]، وهو معروفاً زمن الرسول (ﷺ)، غير أن سعة الصاع قد اختلفت بعد توسع الدولة الإسلامية، وسبب ذلك مشكلة لتباين فقهاء المسلمين وعلمائهم في تقدير كمية الصاع. ويعود ذلك، كما يذكر ابن الأثير، لأن الصاع يقاس بالمد، والمد مختلف في تقديره بالرطل. وعلى هذا الأساس فالصاع له قياسين، خمسة أرطال وثلثاً أو ثمانية أرطـال[١٨]. أما الفيروزآبادي فإنه يقيس الرطل بمقدار ما تحمله كفي الإنسان، إذ يقول: أن الصاع أربعة أمداد، كل مُد رطل وثلث، والرطل أربعة حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما، إذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبي (ﷺ). ويمضي بالقول: وجربت ذلك فوجدته صحيحاً[١٩].

الاستعمالات المجازية للصاع

الصـاع، مـن أكثـر المكاييل استعمـالاً في مختلف ضروب التشبيهات المجازية والكنايات والاستعارات، للتعبير عن المبالغات في حجم المقادير، وعن العمل التام الكامل، وعن المعاملة بالمثل، وأكثر من المثل أحياناً. لذلك فقد استثمر الأدباء والشعراء، عملية ا لكيل بالصاع للتعبير عن مشاعرهم في وصف حالات اجتماعية، ومقارنتها بهذه العملية لما تتصف به من أخذ وعطاء كمية كبيرة نسبياً، متساوية في القياس.ومن الجُمل الشديدة التي استعيرت للتعبير عن العنف والهلاك والحرب هي جملة «تكيلكم بصاعها»، أي أن هذه الحرب تأخذكم للهلاك جملةً بأدواتها،كما يأخذ الكيال ما يكيله من المواد بالصاع،بسرعة وتوالٍ. وقد استخدم البحتري المكايلة بالصاع ودقته في القياس للدلالة على رجاحة العقل والتصرف السليم، بقوله:

وهل وازنوه عند جدّ حقيقة
بمثقاله أو كايلوه بصاعه[٢٠]

والصاع للمبالغة في الكثرة، ورد في قول مهيار الديلمي:

من معشر تضمنُ تيجانهم
صُوعٍ المعالي وعيابَ النُّهى

صوع: جمع صاع، وعياب جمع عيبة وهي زبيل من أدم،وكلاهما من باب الاستعارة[٢١] وبمعنى الكثرة أيضاً يقول الصنوبري:

مُصاحبة السَّفيه الحرّ غبن
ولو كال اللجين له بصاعِ[٢٢]

وغالباً ما يطلق على الصاع حين يملأ بالكامل «أوفر صاع»، دلالة على تمام العمل وكماله، كقول ابن المعتز:

وغيظاً على الأعداء لا يجرعونه
وكيلاً لهم منه بأوفر صاعِ[٢٣]

كما، أن لفظة «أوفر صاع»، لا تأتي فقط للقتال والشدة، وإنما أيضاً للدلالة على العطاء والكرم والفخر الكامل، كقول مهيار الديلمي:

إذا حولموا زادوا بأوفى موازنٍ
وإن فاخروا كالوا بأوفرِ صوعِ[٢٤]

أضف إلى ذلك أصبح الصاع التام السوي، المملوء، مثلاً يُضرب للعدل والمساواة، كما ورد ذلك في قول مهيار الديلمي أيضاً:

وكايلني بغير يدي زماني
فلم أعرف له صاعاً سويا[٢٥]

أما أبو العلاء المعري، فقد ذكر الصاع بطريقة مغايرة تماماً، حين وجد كلمة اشتق منها الصاع، هذه الكلمة هي «يا صاعدا». وعند ترخيم هذه الكلمة يحصل منها على لفظة الصاع. لذلك فهو لم يكن يقصد صاع الكيل . وترخيم الاسم في النداء هو أن يُحذف من آخره حرف أو أكثر. وعلى هذا الأساس يقول، وقد أبدع في ذلك:

يا صاعِ لستُ أريد صاعَ مكيلة
فأضيفهُ ولكن أُرَخِّمُ صاعِداً[٢٦]

الصاع في الأمثال

لقد ورد مفهوم الصاع كثيراً في الأمثال والحكم، وما زال سارياً على ألسنة الناس. والمثل المشهور هو «جزيته كيل الصاع بالصاع»، أي كافأت الإحسان بمثله، والإساءة بمثلها[٢٧]. والصاع هنا بمعنى الفعل والعمل، والكيل معنى المقدار. إذن هذه العبارة تعني المعاملة بالمثل، وتأخذ عادةً جانبين: الإحسان والإساءة. غير أن جانب الإساءة هو الغالب. لذلك حين يُقال: «ردّ له صاعاً بصاع»، فهذا يعني كافأه بمثل شره. وحينما يكون الرد عنيفاً مضاعفاً، فيقال: «ردّ له الصاع صاعين»، أي كافأه بضعف شره[٢٨]. وفي أحيان كثيرة يكون الرد أضعافاً مضاعفة. وقد أبدع الشعراء وتفننوا في اعتماد، هذه المعاملة الاجتماعية بأشكالها المتشعبة، في قصائدهم بصور شعرية رائعة في المديح والهجاء وغيرها. فبشار بن برد، على سبيل المثال، يبين هذه المعاملة، بجانبيها السلبي والإيجابي، بقوله:

كِلْ لمن يُقصيكَ مثلا صاعهُ
وإذا قارب وداً فاقتَرِبْ[٢٩]

وكِلْ فعل أمر من كال. والمعاملة بالمثل، غالباً ما تأخذ جانب العنف والقتل، كما في قول أبو قيس صيفي بن الأسلت:

لا نألم القتل ونجزي به الـ
أعداء كيل الصاع بالصاعِ[٣٠]

وفضلاً عن عبارة «كيل الصاع بالصاع»، فقد

أدوات الكيل عند العرب: اشتقاقاتها، قياساتها، استعمالاتها

وردت عبارات أخرى مكافئة لها تؤدي المعنى ذاته، مثلاً: صاع القصاص، في قول جميل بثينة:

وَضعنا لهم صاعَ القصاص رهينةً
بما سوف نوفيها إذا الناسُ طففوا[٣١]

وعبارة «صاعٌ بصاعكم مكيل»، في قول ابن الرومي:

سيجزي الله ما أوفيتموني
لكم صاعٌ بصاعكم مكيلُ[٣٢]

أما رد الصاع صاعين، أي مضاعفاً، فقد ورد في قول ابن الرومي أيضاً:

فأوفيكموهُ بالصاع صا
عين وفاءً يسوء وجه المَدينِ[٣٣]

وأحيناً يكون رد الفعل أضعافاً مضاعفة، كما في قول الكميت:

نكلُ لهم بالصاعِ من ذاك أصوُعاً ويأتيهم بالسجل من ذاك أسجلُ[٣٤]

وقد تأتي مضاعفة المعاملة، بصياغة غير مباشرة، كقول الشاعر:

ليس قطاً مِثلَ قُطيّ ولا الـ أـعداء كيل الصّاع بالصاع[٣٥]

القطا، جنس من الطيور، وقطي تصغير قطا والمعنى ليس الأكابر مثل الأصاغر، لذا لا يمكن أن نعامل الأعداء بالمثل، لأننا الأكبر والأعظم، وإنما نعاملهم أكثر من ذلك. وبمقابل هذه الحدة والشدة في المواجهة، هناك من لا يقابل الإساءة بمثلها، وإنما أقل منها، بخاصة عندما يكون في موقع قوة، كقول ابن زيدون مادحاً المعتضد:

لكالوك صاعَ الغدرِ لؤمَ سجية
وكيلَ لهم صاعَ الجزاء المُطَفَّفُ[٣٦]

المُـدّ

المُدّ، بضم الميم، جمعه أمداد ومِدد ومِداد ومَددة[٣٧]، مكيال قديم، من أصغر المكاييل سعةً، وهو الأساس الذي تبنى عليه المكاييل الأكبر حجماً. ولأن المد هو الأصغر، والدرهم أصغر وحدات النقد، يقال للمبالغة في التقليل من قيمتهما، إشارةً لانعدام تأثيرهما في قياس الحبوب والأموال: «نقص المال درهماً والبُر مُداً»[٣٨] والمُد، معروف كوحدة كيل، لدى العرب قبل الإسلام في المدينة، ولكن بعد مجيء الإسلام، أستعمل للأغراض الدينية أيضاً، كحساب الصدقات، وحساب أقل قدر ممكن من الماء يتطلبه الوضوء، الذي كان يقدر بمد واحد، وكذلك أستخدم لقياس الماء في الغسل[٣٩]. وقد نقل القاسم بن سلام، حديثاً عن الرسول محمد(ﷺ) هو: «كان رسول الله (ﷺ) يتوضأ بقدر المُد، ويغتسل بقدر الصاع»[٤٠]. وجاء ذكر المُد أيضاً في حديث فضل الصحابة: «ما أدرك مُد أحدهم ولا نصيفه»، وإنما قدّر به (أي بالمد) لأنه أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة[٤١]. ونصيفه أي نصفه. والحديث كناية عن كثرة صدقاتهم. وأورد ابن سلام أحاديث أخرى عن قياس كفّارة اليمين والجزية بالمُد وهي: «أن لكل مسكين مداً في كفارة اليمين. وأن الخليفة عمر ضرب الجزية على أرزاق المسلمين من الحنطة مُدين وثلاثة أقساط لكل إنسان كل شهر[٤٢]. ومع أن المد هو أصغر المكاييل، غير أنه أصبح مثلاً يُضرب للكثرة، كما في حديث فضل الصحابة، وفي قصائد الشعراء، كقول سلمة بن الأكوع في لسان العرب:

لم يَغذُها مُد ولا نصيفُ
ولا تميراتٌ ولا تعجيفُ[٤٣]

وبالمعنى ذاته، ذكر بشار بن برد المد، بقوله:

فمن ينصفني منه على ما بي له مدي
من اللؤلؤ والياقوت أو من عنبر الهند[٤٤]

وتأتي الكثرة، أحياناً بصيغة جمع المد وهو المداد، كما في قول ابن بري:

كأنما يبردن بالغبوق كيل مداد من فحا مدقوق[٤٥]

يبردن بالغبوق: ما يشربن في العشي. وكيل مداد: المقدار الكثير. فحا مدقوق: خلاصة الطحين أو الفتات. وعند البحث في مكيال المد، تواجهنا ثلاث قضايا، تتضمن تباينات وتداخلات متشابكة، وهي: أصول المد واسمه، سعته وتقديره، ومن ثم علاقته وتداخله مع وحدة كيل أخرى تدعى «المدي». فمن ناحية سعة المد وتقديره، هناك اتفاقاً واختلافاً على ذلك. فقد اتفق العلماء والفقهاء على أن المُد هو ربع الصاع. وهو يعادل ملئ كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما. ويذكر الفيروزآبادي أنه جرب ذلك فوجده صحيحاً. وهو قدر مد النبي (ﷺ)[٤٦]، ولذلك سمي مدّ المدينة، مُدّ النبي، وأصبح المكيال القياسي[٤٧]. ومقابل هذا الاتفاق، فقد اختلفت سعة المُد باختلاف البلدان والفقهاء. فهو رطلان عند أهل العراق وأبي حنيفة، ورطل وثلث عند أهل الحجاز والشافعي[٤٨]. ويعود سبب الاختلاف، لتقدير سعة المُد بوحدة وزن وهي الرطل. والرطل بدوره مختلف عليه. فضلاً، أنه لم يتم تحديد طبيعة المادة الموزونة، هل هي قمحاً أو تمراً أو غير ذلك. وإذا كانت قمحاً هل هو مطحوناً أم حباً. أما القضية الثانية، فهي أصول المُد واسمه. وهي أيضاً موضعاً لخلاف بين ثلاثة آراء الرأي الأول، يعتقد أن كلمة «المُد»، عربية، وسمي المُد مُداً لأنه في الأصل مقدّر بأن يمدّ الرجل يديه فيملأ كفيه طعاماً [٤٩] [٥٠]. أما الرأي الثاني، فيرى أن المُدّ كلمة غير عربية، وأصلها من اللاتينية Modius أو Modium وهو مكيال كان يستخدم عند الرومان لكيل البضائع الجامدة والسائلة[٥١] [٥٢]. والرأي الثالث، ذكره صاحب المنجد بقوله: سمي المدّ بذلك لأنه يمدّ المكيل بالمكيل مثله[٥٣]. والقضية الأخيرة، هي تداخل المُدّ مع مكيال آخر قريب منه[٥٤] باللفظ يدعى «المدي»، منتشراً في الشام ومصر وهو غير المد وجمعه أمداء، ولم يذكر مقداره، ولكنه يدعى أيضاً بالمُد في الشام، ويسمى المُدّ الشامي، غير أن وزنه أكبر بكثير من وزن المُد. فهو بالشام يعادل ثمانية عشر لتراً، أو ما يزن ثمانية عشر كيلو غراماً[٥٥]، أو تسعة عشر صاعاً[٥٦] ومما يؤيد أن اسم هذا الكيل في الشام هو «المُد»، استعماله في الأرياف والأمثال والأغاني الشعبية، لتدل على الكثرة والمبالغة، فمثلاً يقال: «حكو عليك مُد حكي»، كناية ومبالغة على كثرة الكلام، أو «أكل مُد أكل»، المبالغة في الأكل الكثير.

الفرق

الفرَق (بالسكون) والفرَق (بالفتح)، والجمع فُرقان، هو مكيال معروف لأهل المدينة، يكال به اللبن والسمن والحبوب والعسل وغيرها، وكانت تؤدى به كفارة اليمين ويغتسل به من الجنابة.غير أن العرب قد اختلفوا في تقدير سعته من بلد لآخر. فهو يسع في المدينة ستة عشر مُداً وذلك ثلاثة أصوع، وفي الحجاز يسع ستة عشر رطلاً وهي اثنا عشر مُداً، وثلاثة آصع. وقيل الفرق خمسة أقساط والقِسْط نصف صاع، وقيل الفرْق بالسكون مائة

أدوات الكيل عند العرب: اشتقاقاتها، قياساتها، استعمالاتها

وعشرون رطلاً[٥٧]. وفي العراق كان فرق القمح يساوي ستة وثلاثين رطلاً بغدادياً، ويقابل هذا سعةً قدرها تسعة عشر لتراً[٥٨]. والفرق معروف منذ زمن الجاهلية، فقد ذكره خداشُ بن زهير في لسان العرب بقوله:

يـأخـذون الأرشَـ فـي إخـوتـهـم
فَـرَقَ الـسَّـمْـن وشـاةً فـي الغنم

والأرش: الدية.والفرق (للساكن والمتحرك) بالأساس هو قدح أو إناء، كما ذكر أبو زيد في لسان العرب أيضاً:

وهـي إذا أدرَّهـا الـعَـيـدان
وسَـطـعـت بـمـشـرف شَـجْـان
تـرْفـدُ بعد الصَّـفِ في الفُـرْقـانِ

وقوله بمشرف شجان أي بعنق طويل. والفرقان: قدحان مفترقان، أي أراد أن يصف بين القدحين فيملأهما[٥٩]. وقد ورد الفرق في الأحاديث كثيراً، ذكر منها ابن منظور في لسان العرب بقوله: «ما أسكر منه الفَرَقُ فالحُسْوةُ منه حرام»، وفي حديث آخر: «من استطاع أن يكون كصاحب فَرَقِ الأرزِ فليكن مثله». ومنه الحديث: «في كل عشرةِ أفرقِ عسل فَرَقٌ». وفي حديث طهفة: «وبارك الله لهم في مذقها وفِرْقها، وبعضهم يقوله بفتح الفاء». وقالت عائشة (أم المؤمنين): كنت أغسل معه (النبي (ﷺ)) من إناء يقال له الفرق[٦٠].والفرق هو مكيال لأهل اليمن أيضاً، فقد ذكر في عهد الرسول (ﷺ) لقيس بن مالك بن سعد بن لأي الأرحي الهمداني، إذا جاء فيه: «وأطعمه ثلاثمائة فرق من خيوان، مائتا زبيب وذرة شطران ومن عمران الجوف مائة فرق بُرّ». وعن كعب بن عجوة عن النبي (ﷺ) قال:» أنه أمره أن يطعم ستة مساكين: فرقاً من الطعام». فالفرق ثلاثة آصع، فلكل مسكين نصف صاع[٦٢]. ويبقى السؤال لماذا سميّ هذا الإناء بالفرق، لهذا لابد من الرجوع إلى معنى الفرق كما ورد في معاجم اللغة، فهو يتضمن الكثير من المعاني.ولابد من أن هيئة هذا الإناء وصنعه، الذي يكون غالباً من الفخار، يشبه شيئاً ما، هذا الشيء كما نعتقد هو طريق انفراق شعر الإنسان الذي يكون ضيقاً تارة، وأخرى متسعاً ومتباعداً ما بين الثنيتين. فالفرق، كما جاء في لسان العرب، هو موضع المفرِق من الرأس (أي موضع انفصال شعر الرأس، وهو الطريق في الرأس)، وفرق الرأس: ما بين الجبين إلى الدائرة. قال أبو ذؤيب:

ومَتْلَف مثل فَرْق الرأس تَخْلجُهُ
مَـطـارِبُ زَقـَبٌ أميالُـهـا فيحُ

شبهه بفرق الرأس في ضيقه [٦٣]. وفي خلاصة هذه الفقرة، فإن الفرق كان مكيالاً لأهل المدينة، شائعاً في صدر الإسلام كثيراً، ولكنه لم يكن كذلك في البلدان الأخرى.

القسـط

القِسْط،مكيال لقياس الكميات الصغيرة،وجمعه أقساط، كان معروفاً في صدر الإسلام وفي العراق. جاء ذكره في الأحاديث والروايات. وهو إناء أو الكوز عند أهل الأمصار[٦٤]. ويقاس بالقسط، عادةً، المواد السائلة كالزيت والعسل والخل.

قياساتـه

القسط، نصف صاع، والفرق ستة أقساط[٦٥]. وبما أن الصاع أربعة أمداد، فإن القسط بهذا الحساب مُدين. والقسط في العراق، حجمان، القسط الصغير ويعادل وزناً ثلاثة أرطال من السوائل، والقسط الكبير كان ضعف الصغير تماماً[٦٦]. وبهذا المعنى أن هناك القسط ثم

نصفه، ولكن هناك أيضاً، ربع القسط، كما ورد ذلك في أمر عبيد الله بن الحباب، وهو صاحب خراج مصر، وذلك بصنع ربع قسط على يدي جنادة بن ميسرة سنة إحدى عشرة ومئة(٦٧).

استعمالات القسط

ذكرت المصادر أن للقسط استعمالين رئيسين، للوضوء ولتوزيع الأرزاق وتحصيل الجزية، في العصور الإسلامية. فالقسط، للوضوء، جاء في حديث ذكره ابن منظور عن إخلاص النساء بقوله: أن النساء من أسفه السفهاء، إلا صاحبة القسط والسراج. وأراد ههنا الإناء الذي توضئه فيه، كأنه أراد إلا التي تخدم بعلها وتقوم بأموره في وضوئه وسراجه(٦٨).
أما الاستعمال الآخر، فقد روى القاسم بن سلام أن الخليفة عمر ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وأرزاق المسلمين من الحنطة مُدين، وثلاثة أقساط لكل إنسان كل شهر(٦٩). وفي توزيع الأرزاق، ذكر ابن منظور أيضاً حديثاً إلى الإمام علي أنه أجرى للناس المُدين والقسطين، القسطان نصيبان من زيت كان يرزقهما الناس(٧٠).

معانٍ متعددة للقسط

عند البحث عن القسط، كونه إناءً للكيل، فإننا سنواجه بمعانٍ أخرى للقسط باشتقاقاته المختلفة، وعن الكلمة المقترنة به وهي القسطاس. ومن هذه المعاني كما ذكرها ابن منظور، هي:العدل، والجور، والحصة والنصيب والميزان، وعود يتبخر به وغيرها(٧١). لكن المعاني الحالية المتداولة تتركز في مواضع محددة هي: القِسط بمعنى العدل، والقاسط: الظالم، والقِسط: الحصة والنصيب. وقسّط الشيء: فرقه وجعله أجزاء، ولهذا يقال قسّط المبلغ: جعله أجزاء معلومة تؤدى في أوقات معينة. ومن المعاني الأخرى قسَّط على عياله: قتر.

أصول القسط

وعن أصول القِسط، كمكيال، تشير، معظم المصادر أنها كلمة غير عربية، فمثلاً، يقول علي مبارك: والقسط هو برانية (خارجية) حرفها العرب(٧٢). وجاء في كتاب غرائب اللغة العربية، أن القسط هو من الكلمات المقتبسة عن اليونانية Xestis بمعنى الكوز(٧٣). وهو في اللاتينية Sextorius(٧٤).

القسط في القران الكريم والشعر العربي

وردت لفظة القِسط في القران الكريم، كثيراً، لكنها كانت محصورة بمعنيين متضادين هما العدل والجور. فالقسط بمعنى العدل، يقول الله تعالى: «يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين بالقِسط» النساء/١٣٥. والقِسط بمعنى جار أو حاد عن الحق، ورد بقوله الله تعالى: «وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً» الجن/١٥.

المَكّوك

المَكُّوك، مكيال معروف لأهل العراق (قديماً)، والجمع مكاكيك ومكاكي(٧٥). وهو معروف أيضاً في مكة والمدينة قبل الإسلام وبعده، كما ورد في الشعر الجاهلي، والأحاديث النبوية الشريفة. فضلاً عن انتشاره في الإسلام وبلاد فارس. والمكوك هو في الأساس، إناء، وصف ابن منظور هيئته بقوله: أعلاه ضيق ووسطه واسع(٧٦). ويبدو أن له طرفين يلتقيان، كما ذكر ذلك سعيد بن جبير في تفسير «صواع الملك» قال: هو المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه(٧٧).

مقالات

وظائف متعددة للمكوك

المكوك، كونه، إناء، فقد بينت المصادر، أن له وظائف عملية ثلاث، هي للشرب، وللغسل والوضوء، ومكيالاً لقياس المواد السائلة والجافة.فالمكوك للشرب، بينه ابن منظور بقوله: المكوك، طاس يشرب به أو فيه... وفي حديث ابن عباس في تفسير قوله: صواع الملك، قال: كهيئة المكوك، وكان للعباس مثله في الجاهلية يشرب به[٧٨] وغالباً ما يكون الكأس مصنوعاً من الفضة أو نحاس، أو نحوهما.وقد ورد المكوك في شعر الأعشى الكبير، كونه كأساً يُشرب به، بقوله:

والمكاكيك والصِّحافَ من الفضّـ
ـة والضّامراتِ تحت الرِّجالِ

الصّحاف: جمع، مفرده صحفة وهي القصعة. الضافرات: جمع، مفرده ضافرة، وهي الناقة تضم فاها لا تسمع لها رغاء. وفي رواية: الضافرات وهي النوق التي أهزلها السير، وهذه الصفة مستحبة في النوق. ومرة أخرى يذكر الأعشى، المكوك، إناءً للشرب بقوله:

وإذا مَكّوكُها صادَمَهُ
جانباها كَرَّ فيها فَسَبَحْ

والمعنى: إذا اغترفت منها الكؤوس واحتكت بجوانبها كرّت فيها سابحه [٧٩]. أما الوظيفة الثانية للمكوك، فهي للغسل والوضوء، التي شاعت عند مجيء الإسلام فقد ذكر ابن منظور حديثاً لأنس بن مالك وهو: أن رسول الله (ﷺ) كان يتوضأ بمكوك ويغتسل بخمسة مكاكيك، وفي رواية، بخمسة مكاكي[٨٠]. والوظيفة الثالثة، للمكوك فهي للكيل والقياس. وقد زادت أهميته في صدر الإسلام، إذ كانت تُقاس به زكاة الأرضين وزكاة الفطر وكفارة اليمين، كما ذكر ذلك ابن سلام، فيقول: في زكاة الأرضين، فهي واجبه إذا كانت عشرين ومائة مكوكاً من حنطة أو شعير أو تمر أو زبيب. وأما زكاة الفطر فصاحبها له الخيار، إن شاء جعلها براً،وإن شاء جعلها تمراً أو شعيراً أو زبيباً. فإن اختار التمر أو الشعير أو الزبيب فإن هذا المكوك، يجزي عن نفسين ونصف. وأما كفارة اليمين فإن الواحد بهذا المكوك براً كافيه في الكفارة بين عشرة مساكين، لأنه، كما يعتقد ابن سلام، عشرة أمداد، فيكون لكل مسكين مد[٨١].

قياسات المكوك

مع أن تقدير المكوك، يختلف، باختلاف البلدان، إلا أن هذا الاختلاف، يتفاوت تفاوتاً كبيراً، ولا يشبه اختلاف المكاييل الأخرى.لهذا يقول ابن منظور عن ذلك: ويختلف مقداره (أي المكوك) باختلاف اصطلاح الناس عليه في البلاد. فهو صاع ونصف وهو ثلاث كيلجات، والقفيز ثمانية مكاكيك[٨٢] (أي ثمن القفيز). وهو نصف رطل إلى ثمان أواقي أو نصف الويبة، أو أربع وعشرون مداً[٨٣]. وقد ذكر فالترهنتس تقديرات مختلفة للمكوك في العراق والشام وبلاد فارس[٨٤]. وبما أن المكوك، وحدة كيل صغيرة قياساً للقفيز، فقد استخدم مجازياً للمقارنة في الشعر العربي كقول ابن الرومي وهو يصف امرأة ضخمة:

يُكالان بقُفزان
ضِخام لا مكاكيك

والمعنى: لها ردفان كبيران كأنها اكتيلت بالقفزان الكبيرة[٨٥] وليس بالمكاكيك الصغيرة.

الجذور الاشتقاقية للمكوك

لم تذكر معظم المصادر، شيئاً عن الجذور الاشتقاقية للمكوك وعن أصوله، كما لم تبين أنه

كلمة غير عربية، وإنما تضعه تحت الفعل مكَّ. ومكَّ، ومككت الشيء، كما يقول ابن منظور، بمعنى مصصته.وقد ذكر عملية المكّ في عدة مواضع. مك الفصيل ما في ضرع أمه: أمصّ جميع ما فيه وشربه كله. وكذلك الصبي إذا استقصى ثدي أمه بالمص. ومكّ العظم: أمص ما فيه من المخ. ومككت المُخ إذا استخرجت مخه فأكلته[٨٦]. لذلك، قد يكون اسم المكوك جاء من عملية المص، لأن المكوك هو طاس أعلاه ضيق، كما ذكرنا، فحين يشرب منه، فإن الإنسان لابد أن يقوم بهذه العملية ولكن الذي ورد في معجم المعربات الفارسية، يخالف ذلك، فيرى أن المكوك، كلمة فارسية[٨٧]. والمكوك، كان، معروف أنه فارسي، كما يقول سعيد بن جبير في تفسير «صواع الملك» (وقد ذكرنا ذلك سابقاً): هو المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه[٨٨].

المعنى الحالي للمكوك

المعنى الشائع، الحالي، لم يَعُد إناء للكيل وللشرب، وإنما هو بكرة من المعدن أو نحوه يُلف عليها الخيط، وتثبت في بيت من المعدن أو الخشب فيسهل دورانها، واستمداد الخيط منها. وتستعمل في آلة الخياطة، وفي نول النسيج، لمداخلة لحمة النسيج في سداه، وهي بالعربية الفصيحة، الوشيعة[٨٩]. وهذا المعنى يتفق مع ما جاء في معجم المعربات الفارسية، أن المكوك آلة تخص النسّاج والخياط[٨٠]. كما يستعمل مفهوم المكوك، الآن، على نطاق واسع في معنيين.الأول يُطلق على المركبات الفضائية. والثاني، يُطلق على الرحلات والتنقل بين أماكن متعددة، تنقلاً دورانياً.

الكُرّ

الكُرّ، مكيال لأهل العراق، ويعد الكر وحدة كيل لقياس مواد جافة مثل الحبوب، وكذلك لحساب كمية المياه وتقديرها في الآبار.والكر من المكاييل القديمة جداً، ترجع أصوله إلى السومريين والبابليين، إذ كان الكر (gur) الوحدة الرئيسية للسعة ويتكون من ثلاثمئة «سيلا» (Sila) (أو ثلاثين بان (ban))، وهذه الوحدات هي التي كانت مستخدمة في العهد اللاحق المسمى أور الثالث[٩١]. كما استعمل هذا المكيال، أقوام أخرى، كالعبرانيون والآراميون، الذي يسمى عندهم «كورو» (Kouro)[٩٢]. أما قياسات الكر، فهي ستة أوقار حمار، وهو عند أهل العراق ستون قفيزاً. والكر أيضاً اثنا عشر وسقاً، كل وسق ستون صاعاً، وهو أربعين إردباً بحساب أهل مصر مصر[٩٣]. وكان يساوي في العراق من حيث الأساس ستين كارة[٩٤]. ومن استعمالات الكر، المهمة، هي تحديد طهارة الماء ونظافته. فقد ذكر ابن منظور، حديثاً لابن سيرين يقول فيه: إذا بلغ الماء كُرّاً لم يحمل نجساً، وفي رواية: إذا كان الماء قدر كُرٍ لم يحمل القذر[٩٥].

أصناف متعددة من الكر

يتميز الكرّ عن غيره من أدوات الكيل، أن له أصنافاً عديدة، بأسماء مختلفة، باختلاف حجمه وسعته، وحسب الحقبة التاريخية، ومن بلد لآخر. على سبيل المثال، أشار أبو الوفاء البوزجاني، إلى الأكرار المستعملة في العراق بقوله:الأكرار المستعملة بنواحي السواد وما يليها من البلاد، خمسة أكرار، وإليها يرجع في سائر النواحي. وأسماؤها: المعدل والكامل والفالج والهاشمي والسليماني. وأكثر هذه الأكرار هو المعدل، وإليه

أدوات الكيل عند العرب: اشتقاقاتها، قياساتها، استعمالاتها

ينسب باقيها، وبه تكال الغلات في سائر أعمال السواد في وقتنا هذا، وعليه يقع التسعير في مدينة السلام (بغداد). وكل واحد من هذه الأكرار ستون قفيزاً بقفزانه.كما أن هناك أكرار أخرى، مثل الهاروني والأهوازي والدينوري واليزيدي[٩٦]. ولابد من الإشارة، إلى هذه الأكرار جميعها غير متساوية في السعة والوزن، مع أن كل منها يعادل ستين قفيزاً، وذلك بسبب أن تقدير القفيز هو الذي يختلف وزنه وسعته.لذلك نجد على سبيل المثال، أن الكر الكامل هو نصف المعدل، والهاشمي ثلث المعدل، والهاروني والأهوازي سدس المعدل[٩٧]. ومن الجدير بالذكر، أن الكر الكامل يسمى أيضاً الكبير والوافي والعظيم.

الكرّ في التشبيه والمبالغة

الكرّ من أكبر المكاييل سعةً كما ذكرنا، لذلك فقد اعتمده الشعراء، مجازياً للتعبير والمبالغة في المقادير المعنوية.وعلى هذا الأساس يقول ابن الرومي:

سـألـتُ قـفـزيـن مـن حـنـطـة
فـجـدْتَ بـكُـرٍّ مـن الـمـنـع وافـي[٩٨]

وبالمعنى نفسه جاء قول ابن الآبار:

يُـديـل مـن الإمـلاقِ بـالـغـنى
ويُـفـرجُ بـالـكرّ العظيم من الـكـربِ[٩٩]

الإردب

الإردب، وجمعه أرادب، مكيال ضخم لأهل مصر، قيل: يضم أربعة وعشرين صاعاً والإردب به ست ويبات (الويبة وحدة كيل مصرية).والإردب بالوزن أربعة وستون مناً (المن وحدة وزن في العراق). والقنقل (وحدة كيل) نصف الإردب[١٠٠]. والإردب بالمقاييس الحديثة يساوي مئة وإحدى وتسعين لتراً، وتعادل وزناً مئة وخمسين كيلو غراماً، وحجماً ثمان وخمسين سنتمتراً مكعباً[١٠١]. والإردب أصله من الآرامية (إردبا) ويقال فيه (أرطبا)، وهو باللاتينية (أرتبا Artaba) وباليونانية artavi[١٠٢]. ويعتقد صاحب غرائب اللغة العربية أنه من الكلمات المقتبسة من اليونانية[١٠٣]. ويبدو أن العرب، كانوا يعرفون الإردب، حتى قبل فتحهم لمصر، إذ رُوي عن الرسول محمد (ﷺ) قوله كما ذكرناه سابقاً: «منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مُدّها ودينارها، ومنعتِ مصر إردبها ودينارها»[١٠٤]. وعند فتح مصر، روى البلاذري أن عمرو بن العاص وضع الخراج على أرض مصر فجعل على كل جريب (هنا وحدة مساحة) ديناراً وثلاثة أرادب طعاماً. وفي رواية أخرى ألزم كل ذي ارض مع الدينارين ثلاثة أرادب حنطة، قسطين زيت وقسطين عسل وقسطين خل رزقاً للمسلمين[١٠٥]. كما أن الإردب، كان معروفاً في زمن الدولة الأموية أيضاً. فقد ذكر ابن منظور قولاً للأخطل يذكر فيه الإردب، حين يصف قوماً من البخلاء:

والـخـبـز كـالـعـنـبـر الـهـنـدي عندهم
والـقـمـح سـبـعـون إردبـاً بـديـنـارِ

أما عن هيئة الإردب وصناعته، فلم تشر المصادر إلى ذلك، غير أن ابن منظور شبّه البالوعة بالإردب بقوله:يقال للبالوعة من الخزف الواسعة: إردبة، شبهت بالإردب المكيال[١٠٦]. ومن المكاييل الأساسية، أيضاً هي القفيز والجريب، ولكنهما يستعملان في نظامين للقياس مختلفين، للكيل والمساحة أيضاً، لذلك أفردنا لهما فقرة خاصة بهما.

وحدات قياس مزدوجة

لقد ورث العرب، من الشعوب القديمة، بخاصة البابليين، وحدات كيل، تستعمل لقياس المساحة أيضاً. هذا الأمر قد يثير تداخلاً والتباساً أحياناً. ويعود سبب استعمال وحدات الكيل لتقدير وقياس المساحة، كما يقول رنيه تاتون في كتابه تاريخ العلوم العام: أنهم (الشعوب القديمة) إذا أرادوا قياس مساحة الحقول كانوا يستعملون عادة، قياسات زراعية، لم تكن إلا مقاييس سعة، إذ كانت الأرض تقدر بكمية البذار اللازمة لوحدة المساحة(١٠٧). ومن أشهر المقاييس المزدوجة، هما القفيز والجريب.

القَفيز

القفيز، جمعه أقفِزة وقُفزان(١٠٨)، من الوحدات مزدوجة القياس، للكيل والمساحة. وهو من المكاييل القديمة، التي استعملها العرب، لكيل الأشياء الجافة بخاصة الحبوب، وقد تغير حجمه بتغير الأزمنة، واختلفت مقاديره في البلاد الإسلامية في العصور المختلفة. لذلك فقد ألحقت بكلمة القفيز أسماء ذات دلالة مكانية أو أسماء لولاة أو كنية لأسر معينة أو أسماء ذات صله في حجم المكيال. وكما هي العادة، فقد دخل القفيز في الأمثال، وفي الشعر مجازيا ومبالغة في المقادير. فضلاً عن هذه القضايا فقد كانت هناك وجهات نظر متباينة عن أصول القفيز وجذوره التاريخية.

أصول القفيز وجذوره

القفيز، من الكلمات المعربة، التي لم يتم تحديد أصولها وجذورها قطعياً. فقد جاء في «المفصل»، أن القفيز أصله من المكاييل البابلية وقد ذكره المؤرخ اكسينيفون(١٠٩). وفي «غرائب اللغة»، أن القفيز كلمة آرامية الأصل من qfizo(١١٠)، وأكد ذلك أيضاً انستاس الكرملي، بقوله أنها من قفيزا، وتعني عند الآراميين الزبيل(١١١) (القفة). ولكن ما ورد في معجم المعربات الفارسية، يشير أن القفيز كلمة فارسية معرب «كفيز»(١١٢) يؤيد هذا الرأي، ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية، أن القفيز هو الاسم الفارسي لقياس السعة(١١٣). غير أن هذين الرأيين يتعارضان مع ما ذكره فالترهنتس في كتابه المكاييل والأوزان الإسلامية، إذ يقول: أصبح القفيز مكيالاً في فارس بتأثير العرب، وذلك لأن الفارسي يؤثر الوزن على الكيل(١١٤).

القفيز عند العرب والمسلمين

لو تتبعنا تاريخ القفيز عند العرب، فنجده معروفاً منذ عصور قبل الإسلام، إذ شاع استعماله في سواد العراق بوجه خاص. يتضح ذلك مما جاء في شعر العرب، كما ذكر ذلك زهير بن أبي سلمى في قوله الشهير:

فَتُغْلِلْ لكم ما لا تُغِلُّ لأهلها
قرىً بالعراق من قفيز ودرهمِ (١١٥)

وبعد مجيء الإسلام، وفتح العراق، استمر التعامل بالقفيز، فقد ذكر ذلك الماوردي في الأحكام السلطانية، كما ذكر اسماً آخر للقفيز بقوله: وما الكيل فإن كان مقاسمة فبأي قفيز كيل تعدلت فيه القسمة، وإن كان خِراجاً مُقدراً فقد حكى القاسم أن القفيز الذي وضعه عثمان ابن حنيف على أرض السواد فأمضاه (الخليفة) عمر (رضي الله عنه) كان مكيلاً لهم يُعرف بالشابرقان.... فإن استؤنف وضع الخَراج كيلاً مقدراً على ناحية مبتدأه روعي فيه من المكاييل ما استقر مع أهلها من مشهور القفزان بتلك الناحية(١١٦). ويبدو أن

أدوات الكيل عند العرب: اشتقاقاتها، قياساتها، استعمالاتها

القفيز، كان أكثر استعمالاً في كيل الدقيق، وفي بعض الأحيان يأخذ الطحان أجرته مقدار قفيز من نفس الدقيق، ويسمى حينئذٍ بقفيز الطحان، وقد نهي عن ذلك، كما يقول ابن منظور: قفيز الطحان الذي نُهي عنه،... هو أن يقول اطحن بكذا وكذا وزيادة قفيز من نفس الدقيق، وقيل أن قفيز الطحان هو أن يستأجر رجلاً ليطحن له حنطة معلومة بقفيز من دقيقها[١١٧]. وقد كان القفيز، من ضمن، وحدات الكيل، التي تستعمل في تقدير زكاة الأراضي فقد أورد القاسم بن سلام، ذلك بقوله: ومبلغها (زكاة الأرضين) من أقفزننا هذه خمسة عشر قفيزاً سواء، فهذه صدقة الأرضين[١١٨]. وقد وضح الخليفة عمر بن الخطاب عند فتح العراق، على كل جريب (وحدة مساحة) من السواد عامراً كان أو غامراً يبلغه الماء درهماً وقفيزاً[١١٩].

قياسات القفيز

القفيز للكيل وللمساحة كما ذكرنا. فهو للكيل يختلف مقداره في البلدان وفي العصور المختلفة. لكن الشائع هو ثمانية مكاكيك عند أهل العراق[١٢٠]، والمكوك يسع لصاع ونصف.وقد خضع القفيز، لتغيرات في حجمه، أمر بها، الخلفاء أو ولاة الأمر، كما حدث في زمن الخليفة عمر بن الخطاب، كما يذكر المقريزي: «فلما اجتمع الأمر لمعاوية بن أبي سفيان،وجمع لزياد بن أبيه الكوفة والبصرة، قال له: يا أمير المؤمنين إن العبد الصالح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صغّر الدرهم وكبّر القفيز وصار يؤخذ عليه ضريبة أرزاق الجند وترزق عليه الذرية»[١٢١]. كما جرى هذا الفعل زمن المأمون أيضاً، فعندما دخل المأمون بغداد عام ٨٢٢ م، وكرد على شكاوي البغداديين من غلاء المعيشة، أمر بتوسيع مكيال القمح (القفيز) بمقدار الربع، على أن ذلك لم يساعد في شيء، ذاك أن الباعة كانوا يضيفون إلى السعر مفارقة الكمية عندما يستخدمون المكيال الجديد[١٢٢]. وينسب، عادة، القفيز لأسماء شخصيات تاريخية، ومن أشهرها، في هذا المضمار، الحجاج بن يوسف الثقفي. وأقدم رواية مؤكدة عن هذا المكيال تتعلق بقفيز الحجاج، وبمقتضاها كان القفيز يساوي صاع النبي[١٢٣]. وقد ذكر الماوردي في الأحكام السلطانية، أن هذا القفيز، هو المختوم الحجاجي (نسبة إلى الحجاج). وقيل وزنه ثلاثون رطلاً[١٢٤]. وفي العصر العباسي استحدثت مكاييل جديدة، فكان القفيز الهاشمي يساوي اثنا وثلاثين رطلاً[١٢٥]. إن نسبة القفيز، هذه، كانت لشخصيات معينة ولكن هناك نسبة أخرى تتصل بحجم القفيز، فهناك قفيزاً كبيراً وصغيراً. ففي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي كان في العراق قفيزان. القفيز الكبير ويستعمل بالتحديد في بغداد والكوفة ويتسع لثمانية مكاكيك،... أي حوالي خمسة وأربعين كيلو غراماً من القمح،يقدر في المعدل بستين لتراً. أما القفيز الصغير، الذي كانوا يتعاملون به في البصرة و واسط فكان يبلغ أربعة مكاكيك،... سعته نصف سعة الكبير[١٢٦] والقفيز، بالإضافة لكونه وحدة كيل، فهو أيضاً وحدة لقياس مساحة الأرض. وسبب هذه الازدواجية، هو أن المزارعين كانوا يقيسون مساحة الأرض، بقدر قفيز واحد من كيل الحبوب التي تنثر في الأرض، لهذا يطلقون على مساحة الأرض اللازمة قفيز والقفيز من الأرض قدر مائة وأربع وأربعين ذراعاً[١٢٧]. ويساوي عشر الجريب (الجريب هنا وحدة مساحة).والغريب هنا هو أن معظم المصادر العربية، عندما تشير إلى قياس القفيز، تقدره بالذراع، أي بوحدة طول

فقط، مع أن القفيز وحدة مساحة، وهذا الأمر غير دقيق في علم الحساب، لأن المساحة تقاس بالوحدات المربعة، أي يحتاج إلى عَرض أيضاً. ربما يعود السبب أن العرب في البداية كانوا يعرفون عَرض الأرض ضمنياً، ويقيسون بالطول فقط. غير أن العرب المسلمين انتبهوا لذلك، وعبّروا عن المساحة بالوحدات المربعة ولكن بصياغة أخرى، لهذا قدّروا القفيز بثلثمائة وستون ذراعاً مكسرة[١٢٨]. (أي مربعة).

القفيز في الأمثال والشعر

لم يَرد القفيز كثيراً في الأمثال، كما هو حال الصاع، وإنما اقتصر على مثل واحد كما تذكر كتب التراث، وقد اندثر في وقتنا الحالي. والمثل هو: «لا تُكال الرجال بالقفزان»[١٢٩]. أي لا يحكم على الرجال بضخامة الجسم، ولا يقدرون بوزنهم.وقد ورد هذا المثل في قول بن الحجاج:

لا تخافا عليّ دقّة كشحي
لا تكالُ الرجال بالقفزانِ

الكشح: ما بين الخاصرة والصرة ووسط الظهر من الجسم.والقفزان: جمع قفيز وهو المكيال[١٣٠]. وقد استخدم القفيز، في الشعر، لقضايا عملية وأخرى مجازية واستعارات تشبيهيه. فمن القضايا العملية، ذكر أعشى همدان، القفيز، وهو ينتقد أحد قواد الجيش على بخله مع الجنود بقوله:

وتَبيعهم فيها القفيز بدرهم
فيَظلُّ جيشك بالملامةِ ينتجى[١٣١]

كذلك ذكر القفيز، سبط ابن التعاويذي:

سوداءَ مثلَ الليلِ سعرُ قفيزها
ما بين طسوجٍ إلى قيراطِ[١٣٢]

الطسج والقيراط وحدتي نقد، والقيراط ضعف الطسج. والطسج ثلث الدرهم، أما القيراط فثلثي الدرهم.والمعنى: أنه يقدر سعر جرابته بين ثلث الدرهم إلى ثلثي الدرهم ويدخل القفيز،غالباً،في صيغ المبالغة في الكثرة كقول ابن الإعرابي في لسان العرب:

إنـّا وَجدنا ناقة العجوزِ
خير النياقات على الترميز
حين تُكالُ النيبُ في القفيزِ[١٣٣]

والنيب: الناقة المسنة، كثيرة اللبن، عندئذٍ يُكال لبنها ويُقدر بالقفيز، الكمية الكبيرة، لأن القفيز يسع كثيراً.والبحتري يقول:

أحْشَمتُمُ ملِكَ الملوكِ وكِلْتُم
تلك الخزاية بالقفيز الوافي

أحشمتم: أغضبتم[١٣٤]. وكِلتم: من الكيل. أي أغضبتم الملك حين وجهتم له الاتهامات والفضائح الكبيرة، وقد مثلها بالقفيز التام الكبير. وذكر جحظة البرمكي، القفيز، بقوله:

كُلُّ شيءٍ من السُّرورِ بوزنٍ
والبلايا تُكالُ بالقفزانِ[١٣٥]

وقد ذكر القالي، هذا البيت بصياغة أخرى:

عارضاتُ السُّرورِ تُوزَنُ فيه
والبلايا تُكالُ بالقفزانِ[١٣٦]

وجاء القفيز،أيضاً تعبيراًعن المبالغة في الكثرة، في قول الفرزدق وهو يصف امرأة:

جُنادفةٍ سجراءَ تأخذَ عَيْنها
إذا اكتحلتْ نصفَ القفيزِ من الكُحلِ

الجنادفة: القصيرة الغليظة، سجراء: حمراء[١٣٧]. أي مبالغة في كمية الكحل.

أدوات الكيل عند العرب: اشتقاقاتها، قياساتها، استعمالاتها

الجريب

الجريب، وحدة قياس قديمة، ثنائية الوظيفة، أيضاً للكيل والمساحة. والجريب في الأصل وعاء، يُطلق على مكيال لكيل الغلال خاصة، ومن ثم كان مقياساً لمقدار الأرض التي تتطلب بذرها جريباً من الحنطة، وتختلف مساحتها باختلاف المكان والزمان[١٣٨]. إذن الجريب، كوحدة كيل، هو بالأساس آنية أو قفة. شبه هيئته، أبو الحسن اللحام الحراني، كالقلنسوة على رأس الإنسان، عند قوله في بعض الحكام:

قلنسوة على رأس صليب
مساحته جريب في جريب [١٣٩]

ولفظة الجريب، هي من الكلمات العربية، وجمعها أجربة وجربان، كما يذكر ابن منظور[١٤٠]، ولكن الجريب صنفه مؤلف كتاب غرائب اللغة العربية، من ضمن الكلمات المقتبسة عن الآرامية، جريبو (gribo)[١٤١]. غير أن صاحب معجم المعربات الفارسية، يضعها ضمن الكلمات الفارسية ويقول أن الجريب، مكيال، قدّر ما يزرع فيه من الأرض. في الفارسية مساحة تُعادل عشر آلاف متر مربع. أصلها «كَريب»[١٤٢] (الكاف المعجمة). والجريب، وحدة قياس الكميات الكبيرة، لذا فهو من مضاعفات «القفيز»، الذي هو للكيل والمساحة أيضاً. وعلى هذا الأساس فتقدير الجريب، يتم عادة، بالقفيز، ولكن تقدير الجريب بالقفيز يختلف في الكيل، عنه في المساحة، كما يذكر ذلك ابن منظور بقوله: والجريب من الأرض مقدار معلوم الذراع والمساحة، وهو عشرة أقفزة، كل قفيز منها عشرة أعشراء، فالعشير جزء من مائة جزء من الجريب. أما الجريب كمكيال فقدره أربعة أقفزة[١٤٣].ويعادل الجريب، في الكيل، ستة عشر رطلاً. أما الجريب في المساحة، فهو يعادل عشر قصبات في عشر قصبات، والقصبة ستة أذرع، فيكون الجريب ثلاثة آلاف وستمائة ذراع (ذراع مربعة) وكان الجريب أكثر انتشاراً في إيران والعراق، وقد تكرر ذكره كثيراً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، كوحدة مساحة، كما يقول المقريزي:» لما افتتح (الخليفة عمر بن الخطاب) العراق سنة ستة عشرة من الهجرة بعث عثمان بن حنيف، ففرض على أرض السّواد: على كل جريب من الكرم عشرة دراهم، وعلى كل جريب من النخل ثمانية دراهم، وعلى جريب القصب والشجر ستة دراهم، وعلى جريب البر أربعة دراهم، وعلى جريب الشعير درهمين»[١٤٤]. لهذا فقد غلب طابع المساحة على مفهوم الجريب، ولهذا يقال في التراث، عندما يهدي الوالي قطعة من الأرض لأحد الأشخاص: اقطع الوالي فلاناً جريباً من الأرض[١٤٥]. كما ورد الجريب في الشعر كثيراً بهذا المفهوم كما يقول ابن الرومي وقد ذكر الجريب، مع وحدة قياس طول غير معروفة كثيراً هي «الأشل» بقوله:

وتجمعُنا من بَعْدِ قُربى كتابةٌ
وإن قلَّ علمي بالجريب والأشلِ

أي بيننا قربى الكتابة تجمعنا وإن لم أكُ بارعاً في المقادير[١٤٦]. والأشل، هو عشر قصبات، أي مائة ذراع، وقيل ستون ذراعاً. والجريب: مضروب الأشل في مثله، أي عشرة آلاف ذراع. وقيل: ثلاثة آلاف وستمائة ذراع باعتبار أن الأشل ستون ذراعا[١٤٧]. إن المكاييل التي ذكرناها، كانت تعتمد كلياً على قدرة الإنسان وقوته، غير أن هناك مكيالين آخرين، يعتمد الإنسان بهما على قدرة الحيوانات في ما يمكن أن تحمله على ظهورها، واعتبره وحدة قياس للكيل، والمكيالين هما الوسق

والوقر اللذين سنذكرهما في الفقرتين التاليتين.

الوسق

الوَسق والوِسق مكيلة معلومة، والجمع أوسق ووسوق[١٤٨]، وأوساق، وهو من المكاييل التي استعملها العرب منذ الجاهلية، وأكثر ما يستعمل في حمل البعير، كما وصفه ابن منظور بقوله: هو حمل بعير، وهو ستون صاعاً، وكل خمسة أوسق هي خمسة عشر قفيزاً. والأصل في الوَسق الحمل، وكل شيء وسقته فقد حملته. وقيل الوَسق العِدل، وقيل العدلان، وقيل الحمل عامة. ويقال وَسَقت النخلة إذا حملت، فإذا كثر حملها فقد أوسقت، أي حملت وسقاً[١٤٩]. أما عن أصل كلمة «الوسق»، فهي من الكلمات المقتبسة عن الآرامية التي تعني حمل جمل was qo، كما جاء في غرائب اللغة[١٥٠].

الوسق في القرآن الكريم والأحاديث النبوية

لم يذكر القران الكريم «الوسق» وحدةً للكيل، صراحة، ولكنه أشار إلى كيل البعير، وحمل البعير، بقوله تعالى: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾، يوسف/٦٥، وذلك تعبيراً عن حمل البعير المحسوب بالكيل. كما ورد المعنى نفسه في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾، يوسف/٧٢. إلا أن «الوسق» ورد في القران الكريم، ولكن ليس بمعنى حمل البعير، وإنما بمعنى الضم والجمع، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ الانشقاق /١٧. وقد كان للوسق وظيفة هامة في الإسلام، وهي تحديد نصاب زكاة الأراضي من زروع وثمار. فقد روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: «ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقه»[١٥١]. وقد روى ابن سلام هذا الحديث، دون ذكر مادة معينة، بقوله: «ليس في أقل من خمسة أوسق صدقه»[١٥٢]. الواضح من هذا الحديث أن زكاة الأراضي تجب في خمسة أوسق.

الوسق في الشعر العربي

لقد ذكر الشعراء، «الوسق» منذ العصر الجاهلي، كونه وحدة كيل وحمل للبعير. وقد اقترن «الوسق»، غالباً مع البعير. هذا الحيوان الذي ذكر له الشعراء أسماءً مختلفة، منها: الجمل، الناقة، القلوص، الضعيف، البختي. فأبو ذؤيب الهذلي من العصر الجاهلي يقول:

مـا حُـمِّـلَ الـبـخـتـي عـام غـيـاره
عَـلـيْـهِ الـوُسـوقُ بَـرُّهـا وشَعيرُها

البختي: البعير نسبة إلى إبل خراسانية،طوال الأعناق. عام غياره: أي عام ميرة أهله، والميرة جمع الطعام وتحضيره في السفر[١٥٣]. ويقول أيضاً، الأعشى الكبير:

ودُرُوعٌ مِـن نسـجِ داوُد فـي الحرب
وَسُـوقٌ يـحـمـلـن فـوق الـجـمـالِ

أي التأموا دروعاً من نسج النبي داوُد تحملها الجمال أكداساً فوق ظهورها[١٥٤]. وفي العصور الإسلامية، بعد أن أصبح الوسق مقياساً لنصاب الزكاة، دخل الشعر من هذا الباب، كما يبين أبو العلاء المعري، حينما يوازن بين الوسق كونه وحدة كيل حقيقية، وبين الوسق وحدةً مجازية قياسية للآثام، بقوله:

ومـا طَـهَّـرتْ بـالـعُـشْـرِ خمسـةَ أوسق
نـفـوس أقـلّـت مـن مـآثـمـهـا وُسْقا

العُشر: ضريبة على الدخل مقدارها واحدة من عشرة، أقلت: حملت. أي أن العشر من خمسة أوسق لا يفي بوسق من الآثام ترتكبها النفس[١٥٥]. وذكر الحارث بن خالد المخزومي، الوسق، وهو يقارن

أدوات الكيل عند العرب: اشتقاقاتها، قياساتها، استعمالاتها

بين مشي المرأة ذات العجز الكبير ومشي البعير الذي يحمل على ظهره أحمالاً ثقيلة:

وتنوء تثقلها عجيزتها
نهض الضعيف ينوء بالوسق[١٥٦]

والضعيف هنا البعير. ويُنسب هذا البيت، أيضاً، إلى الحارث بن حلزة، ولكن بروادفها، عوضاً عن عجيزتها.

الوقر

الوقر، جمعه أوقار، مصطلح استعمله العرب للدلالة على حمل البغل والحمار،عند القيام بتقدير مواد كبيرة ونقلها من مكان إلى آخر. والمعنى العام للوقر هو الثِقل والحِمل والثبات والسكون. وقد اشتقت من الوقر ألفاظ أخرى، معانيها تنطلق من المعنى العام للوقر. ومن هذه الألفاظ، الشائعة الآن هي: الوقار، بمعنى الحلم والرزانة، وكذلك المُوَقّر، بمعنى المحترم الرزين.

بين الوَقر والوِقر

فرّق ابن منظور في لسان العرب، بين الوَقر (بالفتح)، والوِقر(بالكسر)، بقوله: الوَقر: ثقل في الأذن، وقيل: هو أن يذهب السمع كله، والثِقَل أخفُّ من ذلك. والوَقرة هي المرة من الوَقر: ثِقلُ السمع.أما الوِقر فهو الثِقَلُ يحمل على ظهر أو على رأس. يقال: جاء يحمل وِقره، وقيل: الوِقْرُ الحمل الثقيل، وعمّ بعضهم به الثقيل والخفيف وما بينهما.ورجل مُوقَّر: ذو وِقر، وامرأة مُوقَرَة: ذات وِقْرِ، إذا حملت حملاً ثقيلاً. وأَوْقَرَت النخلة أي كثُرَ حَمْلُها[١٥٧].

الوقر في القرآن الكريم والأحاديث

وردت لفظة «الوقر» في القرآن الكريم، بفتح الواو وكسرها. غير أن الوَقر (بفتح الواو) جاء أكثر من الوِقر (بكسر الواو). لهذا فإن الوَقر، كونه ثقلاً في الأذن، بمعنى ضعفاً أو صمماً، وعندها لا يستطيع الإنسان أن يسمع، قد ورد كثيراً في القرآن الكريم، ولكن مجازياً، لأن آذان الكفار لم تكن عاطلة، ولكنهم لا يريدوا أن يسمعوا آيات القرآن الكريم، لذلك وصف الله آذانهم وصفاً تشبيهياً، أن فيها ثقلاً أو صمماً، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾، لقمان/٧. والوِقر (بكسر الواو) ورد في القران الكريم،أيضاً بمعنى الثقل والحمل، كقوله تعالى: ﴿ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴾ الذاريات/٢. فلحاملات هي السحب، تحمل الماء، التي توقره، وهو ثقيل بالطبع.ومما يُذكر، أن الوقر بمعنى حمل البغل أو الحمار، لم يَرد في القرآن الكريم.أما في الأحاديث، فقد ورد الوِقر، بمعنى الحمل والثقل، كما ذكر ابن منظور حديثاً هو: لعله أوقرَ راحلته ذهباً، أي حملها وِقراً.وكذلك ذكر ابن منظور حديثاً للخليفة عمر والمجوس، جاء فيه:فالقوا وِقرَ بغلٍ أو بغلين من الورق. والوِقر هنا الحِمل، يريد حمل بغل أو حملين أو خلّة (أدوات أو عيدان) من الفضة كانوا يأكلون بها الطعام، فأعطوها ليمكنوا من عادتهم في الزمزمة (كلامهم عند الأكل، وهو صوت مبهم، من الأنف، لا يتحرك فيه لسان ولا شفة).

قياسات الوقر وتقديره

لم تذكر المصادر، كثيراً عن قياس الوقر وتقديره، إلا أن «المفصل» يبين أن كل ستة أوقار حمار تعادل كرًّاً واحداً[١٥٨]. كما أن حمل الحصان والبقرة والبغل والحمار، كان يسمى بالفارسية «الخروار»، معناه الحرفي حمل الحمار. ويقدّر عادة بالوزن، لهذا السبب لم يكن تقديره موحداً

في البلدان والأزمان. فقد كان، على سبيل المثال، في زمن عضد الدولة (٩٤٢- ٤٨٢ م) يساوي مئة وعشرين مَنّاً (المَنّ وحدة وزن). ولما عدّل غازان خان نظام المكاييل والأوزان في الدولة الايلخانية حوالي سنة ١٣٠٠ م حدد الوقر (كمكيال للحنطة) بمئة مَنّ [١٥٩].

الوقر في الشعر العربي

لم يذكر الشعراء، الوقر، وحدة للكيل إلا قليلاً، كقول بهاء الدين العاملي، حين يصف بيع كميات كبيرة من فاكهة العنب في أحد البلدان.

تـــرى الـــذي مـا مـثـلـه فـي الفقر
يُـبـتـاعُ مـنـه الـوِقـْرُ بـعـدَ الـوِقـرِ [١٦٠]

ولكن مجمل الشعراء، ذكروا الوقر بمعنى حملاً وثقلاً ونحوهما من المصائب، كقول النابغة الجعدي وهو يصف دابة مثقلة:

كما حُلَّ عن وَقْرى وقد عَضَّ حنْوها
بـــغـاربـهـا حـتـــى أرادَ لـيـجـْـزِلا

ودابة وقرى، موقرة، أي مثقلة. والغارب: ما بين السنام والعنق [١٦١]. أما أبو العلاء المعري، فقد ذكر الوقر، مجازياً بمعنى الهموم والمشكلات والإهمال يقول:

لو تَحْمِلُ الشّرْبُ الرواسي أوْهَموا
أن لـيـسَ فـوق ظـهـورهـم أوْقــارُ

الشرب: جماعة الشاربين. الرواسي: الجبال. أوهموا: توهموا. أي لو كانوا أشقى الناس لتوهموا أنهم أسعدهم [١٦٢].

بالإضافة إلى المكاييل التي ذكرناها، هناك مكاييل أخرى، أقل انتشاراً وشيوعاً، سنذكرها باختصار من الفقرات التالية.

الطسق

الطسق، جمعه طسوق، مكيال من أصل فارسي، معرب «تشه» (tache)، وهو ظرف يُكال به السمن والزيت [١٦٣] [١٦٤]. وهو ضريبة الأرض كذلك، أي في معنى خراج في الإسلام، وقد ذكره الخليفة عمر بن الخطاب في كتابه إلى عثمان بن حنيف، عن رجلين من أهل الذمة أسلما: ارفع الجزية عن رؤوسهما وخذ الطسق من أرضيهما [١٦٥]. وقد ذكر الطسق كثيراً أبو الوفاء البوزجاني (٣٢٨ - ٣٨٨هـ) في كتابه «ما يحتاج إليه الكتّاب والعمال وغيرهم من علم الحساب»، وقدّره بأربعة عشر درهماً ونصف [١٦٦]، بعكس معظم المصادر التي لم تذكر قياسه.

الفالِج

الفالِج، مكيال، لم تذكر معظم المصادر تقديره، وإنما اكتفوا بالقول أنه مكيال ضخم معروف، يُقسم به، غير أن ابن منظور، يقول أنه قد يكون هو «القفيز». ويذكر أيضاً أصل الفالج والفلِج فيقول أنه معرب من السريانية «فالغاء» [١٦٧]. ولكن معجم المعربات الفارسية ذكر أن كلمة «فلج» هي من أصول فارسية، وفلج الضريبة: فرضها [١٦٨] ومن هذا المعنى ذكر البوزجاني أحد الأكرار (جمع كرّ) هو الذي يسمى «الكر الفالج» [١٦٩]، أي الكر الذي يُفرض على الناس.لذلك فإن معظم معاني الفلج والفالج تدور حول معنى الفرض والتقسيم والتنصيف.وفي حديث الخليفة عمر، أنه بعث حذيفة وعثمان بن حنيف إلى السواد ففلجا الجزية على أهله، يعني قسماها،وأصله من الفلج وهو المكيال، وإنما سميت القسمة بالفلج لأن خراجهم كان طعاماً [١٧٠]. ولذلك سمي البعير ذو السنامين

أدوات الكيل عند العرب: اشتقاقاتها، قياساتها، استعمالاتها

بالفالج، لأن سنامه نصفان.والفلِج، كمكيال أو إناء، ذكره النابغة الجعدي بقوله وهو يصف الخمر:

ألقيَ فيها فلْجان مِنْ مسْك دا
رينَ وفِلْجٌ من فُلْفُلٍ ضَرِمِ

ومن هنا يؤخذ قولهم للظرف المُعد لشرب القهوة وغيرها «فلجان» والعامة تقول: فنجان وفنجال ولا يصحان[١٧١]. ودارين: موضع ثُرفا إليه السفن التي فيها المسك وغير ذلك فنسبوا المسك إليه. وضرِم الشيء: اشتد حره[١٧٢]. وقد ذكر ابن طفيل الفلج بصيغة الجمع «فلوج»، بمعنى الإناء، بقوله:

توضّحْنَ في علياء قفرٍ كأنها
مهارقُ فلوج يعارضن تاليا(١٧٣)

الكليجة

الكليجة، مكيال، جمعها كيالج وكيالجة (١٧٤). وهي كيل معروف لأهل العراق، معربة من الفارسية، وتتكون من مقطعين: كيل و چه (الجيم ثلاثية) وهي علامة التصغير بالفارسية. ولعل الكليجة آرامية الأصل[١٧٥]. وكانت الكليجة في الكوفة وبغداد تساوي في الوزن ستمائة درهم،وفي واسط والبصرة بالكيل تساوي مائة وعشرون قفيزاً[١٧٦]. وهذا المكيال يساوي في العراق في القرن الرابع الهجري ثلث مكوك أو خمسة أرطال[١٧٧].

الكارة

الكارة،مكيال يتعامل به أهل العراق خصوصاً، ويساوي قفيزين أو ١٦ مكوكاً[١٧٨] والكارة هي ما يحمل على الظهر من الثياب والحطب، وهي من الكلمات الفارسية، تتكون من مقطعين: «كار» التي تعني عمل، والهاء هي للتخصيص[١٧٩].

النسبة بين المكاييل في الشعر

من المعلوم أن العقل يرتاح ويسعد عند ملاحظة النسبة بين الأشباه والنظائر، لذلك فإن المرء يفهم المعنى فهماً أسرع حين يدرك النسبة بين المتغيرات.وعلى هذا الأساس فإن استثمار وحدات قياس، كالكيل مثلاً، متفاوتة في المقدار تفاوتاً واضحاً، بحيث أن العلاقات والمقارنة فيما بينها معروفة، سيكون من محاسن الوصف وبديع التشبيه. وإذا كانت هذه النسب بين وحدتين أو أكثر منظومة شعراً، فإن ذلك سيجعل الفكرة أكثر وضوحاً وجمالاً في الذهن.ومن أكثر الشعراء ذكراً للنسب بين المكاييل، هو أبو العلاء المعري، إذ يبدو أنه على اطلاع واسع على العلاقات بين المكاييل ومقاديرها. فقد ذكر على سبيل المثال النسبة بين المُد والكُر، لتوضيح فكرة المبالغة في المطالب بقوله:

والمُدُّ يكفيكَ ولكنّ في
طَبعِكَ أن يُدّخرَ الكُرُّ [١٨٠]

وكذلك يقارن المعري بين عطائين، مختلفين، مثل النسبة بينهما، كالنسبة بين المُد والصاع، فيقول:

ولا يزهدنها عُدْمُهُ إن مُدَّه
لأبركُ من صاعِ الكبير وأنفعُ [١٨١]

ولكن المعري لم يقف عند النسبة بين مكيالين فحسب، وإنما تعداها إلى تناسب ثلاثي، بين المد والصاع والوسق،يصور فيها مفهوم المحبة تصويراً جميلاً رائعاً،بقوله:

وذاكَ أنّي أُعطي الوَسْقَ منتحياً
مِنَ المودةِ مُعطي المُدِّ بالصاعِ

المنتحي: القاصد المتعمد[١٨٢]. أما ابن الرومي فقد قارن بين الكُر والقفيز بقوله:

سـألتُ قـفـيزين مـن حنطة
فجـدْتَ بـكرٍ مـن الـمـنـع وافـي[١٨٣]

واستخدم كشاجم، النسبة في نظامين مختلفين للقياس، نظام النقود،بين الدينار والفلس. ونظام الكيل، بين الصاع والكر، فيقول:

ديـنـارُهُ فـي الـسَّـمـاح فَـلـس
وكَـرُّه فـي الـفـخـار صـاعُ[١٨٤]

الخلاصـة

بعد أن ذكرنا العديد من المكاييل التي استعملها العرب، على مرّ العصور، بمختلف أحجامها وأوزانها،وأسهبنا كثيراً في البحث عن أصول أسماءها ومعانيها، وقياساتها، واستعمالاتها، والشعر الذي وَرَدَ منها، والأمثال التي ضربت بها. يمكن أن نخلص إلى الآتي:(١) ليس جميع وحدات الكيل التي ذكرناها، كانت تستعمل في آن واحد، وفي بلد واحد، وإنما قسماً منها فقط.(٢) اندثار معظم أدوات الكيل القديمة، في وقتنا الراهن، إلا تلك التي تستعمل في تحديد مقادير الأحكام الشرعية كالصاع، ولكن بعد تحديد ما يعادله من الوحدات الحديثة. كما يستعمل الصاع، وإلى حد ما المُد، في الأمثال التي لا نزال نرددها في حياتنا اليومية.(٣) إن أغلب أسماء أدوات الكيل، لم تكن أصولها عربية، كما هو حال وحدات القياس الحالية، ومع ذلك فقد دخلت إلى اللغة العربية وأصبحت جزءاً من بناءها اللغوي. ولابد من الإشارة هنا، أن أسماء المكاييل، هي نفسها، أسماء الأواني القياسية التي تحملها.(٤) إن الحاجة التجارية في البيع والشراء كانت تستدعي أن يكون في كل محل تجاري، مقادير مختلفة للمكيال الواحد. فهناك، مثلاً، مكيال، ونصف مكيال، وربع مكيال، وأحياناً ثمن مكيال. ولكن في الواقع العملي، غالباً ما يصبح للمكيال مقداران، أحدهما ضعف الآخر، لهذا يسمى الأول المكيال الكبير، والآخر المكيال الصغير.(٥) إن سعة المكاييل لم تكن ثابتة دائماً، وإنما كان حجمها يتغير بتغير الحُكام والسلاطين والولاة.(٦) لم يعَد الشعر العربي الحالي، يستعين بأدوات الكيل في التشبيه والاستعارة، كما كان في الماضي، وهذا أمراً طبيعياً، بسبب اندثار هذه الأدوات في الحياة العملية.

الحواشي

١. النقود:٥٩
٢. الأموال: ٤٨٧
٣. ديوان البوصيري:٤٨٢
٤. لسان العرب:٦٠٤/١١
٥. تاج العروس:٣٧٧/٢١
٦. لسان العرب:٤٩١/١٠
٧. معجم البلدان: ٣١٥/١١
٨. ديوان الأعشى الكبير: ٢٤٤
٩. ديوان المتلمس الضبعي:٢٤٢
١٠. شرح اختيارات المفضل:٦٤٨/٢
١١. تاج العروس: ٣٧٧/٢١
١٢. الأموال: ٤٨٢
١٣. دائرة المعارف الإسلامية:١٠٥/١٤
١٤. غرائب اللغة:١٩١
١٥. معجم ألفاظ القرآن الكريم: ٩٧/٢
١٦. دائرة المعارف الإسلامية: ١٠٥/١٤
١٧. تاج العروس: ٣٧٧/٢١
١٨. النقود: ٤٦
١٩. القاموس المحيط: ٧٣٩
٢٠. ديوان البحتري:١٣٢/٢
٢١. ديوان مهيار الديلمي: ٤/١
٢٢. ديوان الصنوبري: ٣٢٤

٢٣. ديوان ابن المعتز: ١/٨٣
٢٤. ديوان مهيار الديلمي: ١/١٩٩
٢٥. نفسه: ٢/١٩٥
٢٦. ديوان لزوم ما لا يلزم: ١/٢٨٢
٢٧. موسوعة أمثال العرب:٣/٥٠١
٢٨. المعجم العربي الأساسي: ٧٥٦
٢٩. ديوان بشار بن برد:١/ ٣٥٠
٣٠. ديوان أبي قيس:١٦
٣١. ديوان جميل بثينة: ١٣٦
٣٢. ديوان ابن الرومي: ٥/٢٥٧
٣٣. نفسه: ٧/ ٨٧
٣٤. شرح هاشميات الكميت: ١٧٢
٣٥. المفضليات: ٢٧٦
٣٦. في الأدب الأندلسي ٢٤٦
٣٧. لسان العرب: ٣/ ٤٠٠
٣٨. مختار الصحاح: ٦٧٦
٣٩. دائرة المعارف الإسلامية: ١٤/١٠٥
٤٠. الأموال: ٤٠٢
٤١. القاموس المحيط: ٣١٨
٤٢. الأموال: ٤٨٩، ٤٨٧
٤٣. لسان العرب: ٣/ ٤٠٠
٤٤. ديوان بشار بن برد: ٣/ ١٢٧
٤٥. لسان العرب ٣/٤٠٠
٤٦. القاموس المحيط: ٣١٨
٤٧. دائرة المعارف الإسلامية: ١٤/١٠٥
٤٨. القاموس المحيط: ٣١٨
٤٩. لسان العرب: ٣/ ٤٠٠
٥٠. دائرة المعارف الإسلامية: ١٤/١٠٥
٥١. النقود: ٤١، ٤٢
٥٢. غرائب اللغة: ٢٨٠
٥٣. المنجد في اللغة والإعلام: ٧٥١
٥٤. القاموس المحيط: ١٣٣٤
٥٥. المعجم المدرسي:٧٧٩
٥٦. منجد الطلاب: ٧١٩
٥٧. لسان العرب: ١٠/ ٢٩٣
٥٨. المكاييل والأوزان: ٦٥
٥٩. لسان العرب: ١٠/ ٢٩٣
٦٠. نفسه: ١٠/ ٢٩٣
٦١. المفصل: ٧/ ٦٣٦
٦٢. الأموال: ٤٨٨
٦٣. لسان العرب:١٠/٢٩٣
٦٤. لسان العرب: ٧/٣٧٧
٦٥. نفسه
٦٦. المكاييل والأوزان: ٦٥
٦٧. نميات نحاسية: ٢١٧
٦٨. لسان العرب: ٧/٣٧٧
٦٩. الأموال: ٤٨٦
٧٠. لسان العرب: ٧/٣٧٧
٧١. نفسه
٧٢. الميزان: ١٣٠
٧٣. غرائب اللغة: ٢٦٥
٧٤. المكاييل والأوزان: ٦٥
٧٥. لسان العرب: ١٠ / ٤٩١
٧٦. نفسه
٧٧. النقود: ٤٧.
٧٨. لسان العرب: ١٠/٤٩١
٧٩. ديوان الأعشى: ٢٩١، ٨٩
٨٠. لسان العرب: ١٠/ ٤٩١
٨١. الأموال: ٤٨٩، ٤٩٠
٨٢. لسان العرب: ١٠/ ٤٩١
٨٣. القاموس المحيط: ٩٥٤
٨٤. المكاييل والأوزان: ٧٨
٨٥. ديوان ابن الرومي: ٥/ ١٣٩
٨٦. لسان العرب: ١٠/٤٩١
٨٧. معجم المعربات: ١٧٠
٨٨. النقود: ٤٧
٨٩. المعجم المدرسي: ٩٩٩
٩٠. معجم المعربات: ١٧٠
٩١. الأعداد والقياسات: ٣/١٢
٩٢. غرائب اللغة: ٢٠٣

٩٣. لسان العرب:٥/ ١٣٧
٩٤. المكاييل والأوزان: ٦٩
٩٥. لسان العرب:٥/١٣٧
٩٦. علم الحساب: ٣٠٣/١
٩٧. نفسه
٩٨. ديوان ابن الرومي: ٤١٥/٤
٩٩. ديوان ابن الآبار: ٨٥
١٠٠. لسان العرب: ١/ ٤١٦
١٠١. لغة العرب: ٢٠/١
١٠٢. النقود: ٥٢
١٠٣. غرائب اللغة: ٢٥٢
١٠٤. لسان العرب:٤١٦/١
١٠٥. المكاييل في صدر الإسلام: ٤٢
١٠٦. لسان العرب: ١/ ٤١٦
١٠٧. تاريخ العلوم العام: ١٠٧/١
١٠٨. لسان العرب: ٥/ ٣٩٥
١٠٩. المفصل: ٧/ ٦٣٢
١١٠. غرائب اللغة: ٢٠٢
١١١. (١١١) النقود:٥٩
١١٢. معجم المعربات: ١٤٦
١١٣. The Encyc. of Islam:VI/117
١١٤. المكاييل والأوزان: ٦٦
١١٥. شعر زهير: ١٩
١١٦. الأحكام السلطانية: ٢٣٩
١١٧. لسان العرب: ٣٩٥/٥
١١٨. الأموال: ٤٨٩
١١٩. معجم البلدان: ١١/ ٢٧٥
١٢٠. لسان العرب: ٥ /٣٩٥
١٢١. إغاثة الأمة:٤٥
١٢٢. دراسات في تاريخ الثقافة: ٢٠٨
١٢٣. المكاييل والأوزان: ٦٦
١٢٤. الأحكام السلطانية: ٢٣٩
١٢٥. قاموس المصطلحات الاقتصادية: ٤٦٣
١٢٦. المكاييل والأوزان: ٦٦
١٢٧. لسان العرب: ٥/ ٣٩٥
١٢٨. علم الحساب العربي: ٢٠٦
١٢٩. معجم الأمثال: ٤/ ٩٠
١٣٠. يتيمة الدهر: ٧٧/٣
١٣١. العصر الإسلامي: ٣١٤
١٣٢. ديوان سبط التعاويذي:٤٨٧
١٣٣. لسان العرب: ١٠/ ٣٦٢
١٣٤. ديوان البحتري: ٣/ ١٣٧٠
١٣٥. ديوان جحظة:١٨٠
١٣٦. الأمالي: ٢٢٣/٢
١٣٧. ديوان الفرزدق: ١٥٤/٢
١٣٨. دائرة المعارف الإسلامية: ٣٥١/٦
١٣٩. يتيمة الدهر: ٤/ ١٢
١٤٠. لسان العرب: ٢٦٠/١
١٤١. غرائب اللغة ١٧٦
١٤٢. معجم المعربات الفارسية: ٥١
١٤٣. لسان العرب: ٢٦٠/١
١٤٤. إغاثة الأمة: ٤٤، ٥٥
١٤٥. لسان العرب: ٢٦٠/١
١٤٦. ديوان ابن الرومي: ٣٦٤/٥
١٤٧. الإفصاح: ٢ / ١٥٥٢
١٤٨. لسان العرب: ١٠ / ٣٧٨
١٤٩. نفسه
١٥٠. غرائب اللغة: ٢٠٩
١٥١. لسان العرب: ١٠ / ٣٧٨
١٥٢. الأموال: ٤٨٥
١٥٣. ديوان أبو ذؤيب: ١٢٧
١٥٤. ديوان الأعشى: ٢٩٣
١٥٥. ديوان لزوم ما لا يلزم: ٩١/٢
١٥٦. شعر الحارث: ٧٦
١٥٧. لسان العرب: ٢٨٩/٥
١٥٨. المفصل: ٦٣٣/٧
١٥٩. المكاييل والأوزان: ٢٧
١٦٠. بهاء الدين العاملي: ١٢٩
١٦١. شعر النابغة الجعدي: ١٣١
١٦٢. ديوان لزوم ما لا يلزم:٣٨٤/١

١٦٣. غرائب اللغة: ٢٣٨

١٦٤. معجم المعربات: ١٣١

١٦٥. لسان العرب: ١٠/٢٢٥

١٦٦. علم الحساب العربي: ٢٩٤

١٦٧. لسان العرب: ٢/٣٤٨

١٦٨. معجم المعربات: ١٣٨

١٦٩. علم الحساب العربي: ٣٠٤

١٧٠. لسان العرب: ٢/٣٤٨

١٧١. تاج العروس: ٦/١٥٤

١٧٢. شعر النابغة الجعدي: ١٥٣

١٧٣. لسان العرب: ٢/٣٤٨

١٧٤. لسان العرب: ٢/٣٥٢

١٧٥. معجم المعربات: ١٦١

١٧٦. مفاتيح العلوم: ٧٤

١٧٧. المكاييل والأوزان: ٢٥٧

١٧٨. نفسه: ٦٩

١٧٩. معجم المعربات: ١٥٠

١٨٠. ديوان لزوم ما لا يلزم: ١/٣٩٤

١٨١. نفسه: ٢/ ١٩

١٨٢. الإيضاح: ١ / ٤٢٩

١٨٣. ديوان ابن الرومي: ٤/ ٤١٥

١٨٤. ديوان كشاجم: ٢٥٩

المصادر والمراجع

- الأحكام السلطانية للماوردي، احمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦ م.
- الأعداد والقياسات في أقدم السجلات المكتوبة، لي. فريبرك، مجلة العلوم، ع١، مج ٣ / ٦، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٩٨٧ م.
- إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقريزي، ياسر سيد صالحين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٩ م.
- الإفصاح في فقه اللغة، ط ٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- الأمالي لأبي علي القالي، دار الحكمة، بيروت، د. ت.
- الأموال لابن سلام، عبد الأمير مهنا، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٨ م.
- الإيضاح في شرح سقط الزند للمعري، فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، حلب، ١٩٩٩ م.
- بهاء الدين العاملي لمحمد التونجي، المستشارية الإيرانية، دمشق، ١٩٨٥ م.
- تاج العروس للزبيدي، عبد العليم الطحاوي، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٤م.
- تاريخ العلوم العام، لرينه تاتون، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٨٨ م.
- دائرة المعارف الإسلامية لأحمد الشنتاوي وآخرون (ترجمة)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٣٣ م.
- دراسات من تاريخ الثقافة العربية، لبولشاكوف، ترجمة أيمن أبو شعر،دار التقدم،موسكو،١٩٨٩م.
- ديوان ابن الآبار لعبد السلام الهراس، الدار التونسية، د.م، د. ت.
- ديوان ابن الرومي لمجموعة من المؤلفين، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ديوان ابن قلاقس لسهام الفريح، مكتبة المعلا، الكويت، ١٩٨٥ م.
- ديوان ابن المعتز لمجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥ م.
- ديوان أبو ذؤيب لسوهام المصري، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٩٨ م.
- ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت لحسن باجودة، دار التراث، القاهرة، ١٣٩١ هـ.
- ديوان الأعشى الكبير لمحمد احمد قاسم، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٩٤م.
- ديوان البوصيري لمحمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٢ م.
- ديوان البحتري لحسن الصيرفي، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧ م.
- ديوان بشار بن برد، لمحمد الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٥٠ م.
- ديوان جحظة لجان عبد الله توما، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦ م. ديوان جميل بثينة لأشرف عدرة عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦ م.
- ديوان سبط ابن التعاويذي، لرمرجليوت، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩٠٣ م
- ديوان شعر المتلمس الضبعي لحسن الصيرفي،المنظمة

مقالات

العربية للتربية، القاهرة، ١٩٩٧ م.
- ديوان الصنوبري لاحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠ م.
- ديون الفرزدق لكرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
- ديوان كشاجم للنبوي شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦ م.
- ديوان لزوم ما لا يلزم للمعري، كمال اليازجي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م
- ديوان مهيار الديلمي لأحمد نسيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، د. ت.
- شرح اختيارات المفضل للتبريزي، فخر الدين قباوة، ط٢، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٧ م.
- شرح هاشميات الكميت لداود سلوم ونوري القيسي،عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤ م.
- شعر الحارث ليحيى الجبوري، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٢ م.
- شعر زهير بن أبي سلمى لفخر الدين قباوة،ط ٣،دار الآفاق الجديدة،بيروت ١٩٨٠ م
- علم الحساب العربي للبوزجاني، احمد سعيدان، جمعية عمال المطابع التعاونية بيروت، ١٩٧١ م.
- غرائب اللغة العربية لرفائيل نخلة،ط ٢، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، ١٩٦٠ م.
- في الأدب الأندلسي لجودت الركابي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- القاموس المحيط للفيروزآبادي، ط ٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م
- قاموس المصطلحات الاقتصادية لمحمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٣م.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، ط ٦، بيروت،١٩٩٧م.
- لغة العرب لجورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٣ م.
- مختار الصحاح للرازي، مؤسسة علوم القران، دمشق، ١٩٨٤ م.
- معجم ألفاظ القران الكريم لمجمع اللغة العربية، ط ٢، الهيئة المصرية العامة القاهرة، ١٩٧٠ م.
- معجم الأمثال العربية لرياض عبد الحميد مراد،وزارة التعليم العالي، الرياض ١٩٨٦ م.
- معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.
- المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٩ م.
- المعجم المدرسي لمحمد خير أبو حرب، وزارة التربية، دمشق، ١٩٨٥ م.
- معجم المعربات الفارسية لمحمد التونجي، ط ٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٨ م.
- مفاتيح العلوم للخوارزمي، نهى النجار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣ م.
- المفصل لجواد علي، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠ م.
- المفضليات لأبي العباس الضبي،عمر فاروق الطباع،دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٨ م.
- المكاييل في صدر الإسلام لسامح عبد الرحمن،المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ١٩٨٢ م.
- المكاييل والأوزان الإسلامية لفالترهنتس، ترجمة كامل العسلي،الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠ م.
- منجد الطلاب لفؤاد البستاني، ط ٤٤، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦ م.
- المنجد في اللغة والإعلام لدار المشرق، ط ٣٦، بيروت، ١٩٨٢ م.
- موسوعة أمثال العرب لأميل بديع، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥ م.
- الميزان والأقيسة لعلي مبارك، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د. ت.
- النقود العربية والإسلامية للكرملي،ط ٢،مكتبة، الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧ م.
- نميات نحاسية أموية لنايف القسوس، البنك الأهلي، عمان، ٢٠٠٤ م.
- يتيمة الدهر للثعالبي، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م

ظاهرة التصغير بين الإفادة والإمتاع

(أمثلة من لطائف الشعر وأفانين الإبداع)

د. محمذن بن أحمد بن المحبوبي

رئيس شعبة اللغة العربية وآدابها بالمعهد

العالي للدراسات والبحوث الإسلامية

نواكشوط - موريتانيا

يُعَدُّ التصغير ظاهرة لغوية أسلوبية تقع على مفترق الطريق بين الصرف والأدب، فكثيراً ما تلوح على أديم النصوص الشعرية والنثرية تعبيراً عن هموم إنسانية ودواخل نفسية متنوعة، وذلك تجسيداً لقيم رفيعة وتلطيفاً للأجواء أو تحقيراً للمذكور أو تحبباً إلى فلذاتِ الأكباد، وربما تعظيماً للموصوف أو تقريباً للموضوع أو غير ذلك.

لذلك اعتنى النحاة بدراسة هذه الظاهرة مقاربة وتنظيرا ومناقشة وتحليلا، محددين صيغها الصرفية وبنياتها اللغوية، مخصصين لها أبوابا محددة ضمن مدوناتهم النحوية، ومبينين أشكال التصغير وأوزانه، مؤكدين في الوقت نفسه اعتداله واتزانه.

وهكذا أولع الأدباء بهذا الأسلوب الخفيف فرأوا فيه إمتاعا للنفس وإيداما للنص؛ فهو بلطافته يعطي النص نكهة خاصة ولذة أسلوبية تجعل السامع يُسحر بلطيف البيان ويُستمال برقيق البناء، فالتصغير من الأساليب اللطيفة التي تلامس الأفئدة والقلوب، وتداعب المشاعر والألباب، منسجمة مع الميول البشرية، فماذا عن هذه الظاهرة تصورا ومفهوما؟ وكيف تناولها الشعراء في مدوناتهم الإبداعية؟ وهل استطاعوا أن يتخذوا منها منشِّطا شعريا يهجم على الأذهان من غير مقدمة ولا استئذان، ويلوذ بالأذواق دون سابق إنذار ولا إشعار؟ أم إنهم نظروا إلى هذه الظاهرة بشيء من التبسيط فرأوا أنها مجرد ملمح أسلوبي لاستذكار الدروس واستعراض العضلات في نهج أدبي قد لا يخلو من الصنعة والتكلف، ولا ينجو من الحدة والتعنت؟

ذلك ما نروم الإبانة عنه عبر ثلاثة محاور أساسية يعرض أولها للمحددات الأولية، ويتناول ثانيها تأصيل الموضوع مبرزا أبعاده النظرية، في حين يهتم ثالثها بالجوانب التطبيقية والممارسات الإبداعية.

أولا: المحددات الأولية:

وضمنها سنعرض لمسألتين، أولاهما: تعنى بمحاورة الموضوع واستنطاقه، وثانيتهما: تهتم بتأصيله واستنباطه.

أ - العنوان مناقشة وتحليل:

يتألف عنوان هذا الموضوع من تركيبين نحويين أولهما إضافي «ظاهرة التصغير» وثانيهما عطفي «الإفادة والإمتاع» وقد ربط بينهما الظرف المكاني «بين» الذي جاء لشد الرباط والإحكام، ولدعم التنسيق والإلحام، فأجاد الربط بين طرفي العنوان، فالتركيب الأول مؤلف من كلمتين؛ أولاهما: «الظاهرة» وهي لغة اسم فاعل مؤنث من فعل ظهر الشيء يظهر ظهورا إذا تبين وبرز، والظاهرة من الأرض وغيرها المشرفة، ومن العين الجاحظة، وظاهرة الرجل عشيرته والظاهرة أيضا الأمر ينجم بين الناس يقال بدت ظاهرة الاهتمام بالصناعة[١]، وهذا الاستخدام الأخير مستحدث من اللغة المعاصرة، وهو قريب من استعمالنا لكلمة الظاهرة على مستوى العنوان.

أما ثانية الكلمات فهي: «التصغير» وهو لغة مصدر صغره جعله صغيرا قال في اللسان «الصغر ضد الكبر والصغارة خلاف العظم، وقيل الصغر في الجرم والصغارة في القدر صغره تصغيرا، وتصغير الصغير صُغَيّر وصُغَيِّير الأولى على القياس والأخرى على غير قياس، واستصغره عده صغيرا، وصغره وأصغره جعله صغيرا[٢]، وفي الاصطلاح هو:

«تحويل الاسم المعرب إلى صيغ معلومة»[٣]، وذهب بعضهم إلى أنه تغيير في بنية الكلمة لغرض مقصود، وانتهت جماعة إلى أنه «تحويل في بنية الاسم القابل للتصغير لغرض معنوي معين»، كما حلا لبعضهم أن يعرفه بأنه: «زيادة ياء ساكنة بعد ثاني الاسم مع تغيير هيئته لغرض كالتحقير والتمليح فيقال في قمر قمير، وفي كتاب كتيب»[٤]، في حين ارتأى فريق آخر أن ينتهي إلى أنه: «تغيير يطرأ على بنية الاسم وهيئته، فيجعله على وزن فعيل أو فعيعل، أو فعيعيل، بالطريقة الخاصة المؤدية إلى هذا التغيير»[٥]، فالأول نحو بدير في بدر، والثاني دريهم في درهم، والثالث نحو قنيديل في قنديل، وتسمى الأوزان الثلاثة صيغ التصغير، لأنها مختصة به، وليست جارية على الميزان الصرفي العام. وتوضيح ذلك أن تصغير أسماء مثل أحمد ومكرم وسفرجل، لا تخضع لأوزان التصغير المتقدمة بينما تعتمد أوزانا أخرى، فأحمد مثلا يصغر على أحيمد ووزنه أفيعل، ومكرم يصغر على مكيرم ووزنه مفيعل، وسفرجل يصغر سفيرج أو سفيريج، ووزنه فعيل وفعيعيل، وللتصغير أوزانه التي يختص بها ويجري عليها[٦] وقد يرد التصغير في المدونات النحوية القديمة باسم التحقير، وقد تكرر هذا المصطلح في كتاب سيبويه[٧]، والتعبير بمصطلح التصغير أشيع وأنسب لأن هذا الغرض هو الغالب عليه بعكس التحقير، ثم إن غير المصغر يسمى مكبرا.

وبذلك ننتهي إلى أن التصغير هو تحويل الاسم المكبر إلى صيغ معلومة يلزم فيها ضم أوله وفتح ثانيه، وزيادة ياء ساكنة مع كسر ما قبل حرف الإعراب مباشرة، وذلك يتم بتغيير هيئة الاسم المراد تصغيره والتصرف في بنيته، لينتقل من التعظيم إلى ضده ومن التكبير إلى مقابله، طلبا للخفة والأريحية وسعيا إلى التحبب والتلطف، وتحقيقا لأغراض محددة تنسجم مع هموم النفس البشرية وميولها.

أما التركيب الثاني «الإفادة والإمتاع» فيتألف هو الآخر من كلمتين؛ أولاهما «الإفادة» وهي مصدر أفاد فلانا علما أو مالا أكسبه إياه، والمقصود هنا أن التصغير يفيد القارئ والمخاطب جملة من المعاني، ويستبطن عددا من النكت اللطيفة، و«الإمتاع» مصدر أمتعه الله بكذا إمتاعا؛ أبقاه لينتفع به، ويسرّ بقيمته، والمراد ما يحتوي عليه التصغير من أساليب مستطرفة تستمتع بها الأذهان وتطرب لها النفوس، وتهتز لها أرباب الأدب والقريض.

وغرضنا من العنوان جملة هو التنبيه إلى ما لظاهرة التصغير من تأثير مزدوج، فهي من جهة تكشف عن ما لهذه اللغة العربية من ثراء وسعَة ونماء؛ إذ التصغير آلية من آليات التعبير لا غنى للمتكلم عنها، فهي التي من خلالها يتم الإفصاح عن بعض المعاني الكامنة في النفوس كالاختصار والتحقير والتحبب والتعظيم وغير ذلك، وهي من جهة أُخراة تعدّ أسلوبا مهما من أساليب الإبانة عما في الضمائر من مشاعر مختلفة، بل ومتناقضة أحيانا، ومن ثمة فإن هذا الأسلوب الخفيف استهوى بعض الشعراء ولعل ذلك راجع إلى قوة تأثيره على المخاطب إذ يجمع بين اللطف والعنف بين الحدة والرقة، معبرا عما يعتري النفس من أريحية ولباقة وما قد ينتابها من عنجهية وخفيف حماقة.

ب. التصغير مقاربة وتأصيل

معلوم أن التصغير ظاهرة متميزة حاضرة في معظم اللغات الإنسانية، مما يجعل اللغات جميعا تفرده بصيغ خاصة وأساليب محددة. وسنسعى في هذا المقام إلى تأصيل هذه الظاهرة في اللسان العربي متناولين بعض أصولها من خلال مسألتين:

١- التصغير أقيسة وبناءات:

نذكر هنا بأن التصغير أسلوب لطيف يغطي جزءً مهما من التعابير الإنسانية فهو آلية لا غنى عنها للكشف عن أغراض محددة وأهداف مرسومة لذلك نجد اللسان العربي يخصه بجملة من القواعد الأساسية تحدد شروطه وصيغه. فمن أبرز شروطه:

- أن يكون اللفظ المراد تصغيره اسما معربا فلا تصغر الأسماء المبنية كأسماء الاستفهام والشروط، وأسماء الإشارة والموصول والضمائر لشبهها بالحروف، كما لا يصغر الفعل ولا الحرف، وقد شذ تصغير أسماء الإشارة نحو قول الشاعر:

يا ما أميلحَ غزلانا شدن لنا
من هؤليائكن الضال والسمر[٨]

وهؤليائكن تصغير هؤلاء على غير قياس وأميلح تصغير أملح وقد جاء ذلك كثيرا في الشعر وسعة الكلام[٩]، كما ورد تصغير اسم الموصول أيضا في بعض الاستعمالات نحو قول الشاعر[١٠]:

بعد اللتيا واللتيا والتي
إذا علتها أنفس تردت

- أن يكون اللفظ خاليا من صيغ التصغير وشبهها فلا يصغر نحو كميت ودريد ونظائرها لأنها على صيغة التصغير، ولذلك قالوا أن المصغر لا يصغر. وقد استخدم هذا المعنى أحد الشعراء الموريتانيين في وصفه لمجالس الشاي مؤكدا أن حجم كؤوس الشاي صغير لذلك يلزم إتراع هذه الكاسات فعلى من يدير الشاي أن يملأ هذه الكؤوس ولا ينتقصها، يقول[١١]:

إن المصغر لا يصغر ثانيا
فإذا وليت على الكؤوس فأترع
واجرر أتايك لا تعجل رفعه
إن النفوس تطيب ما لم يرفع
وإذا دعاك لقصر شايك موجب
فاقصر وإلا يا مقيم فربع
فالحكم أتيان المقيم بأربع
والقصر دون مبيحه لم يشرع
وحذار لا تجزم بحذفك آخرا
إلا إذا ما اعتل آخر الأربع

- أن يكون اللفظ قابلا للتصغير: فلا تصغر

الأسماء المعظمة كأسماء الله تعالى وأسماء أنبيائه وملائكته، ولا جموع الكثرة ولا ألفاظ كل ولا بعض ولا أسماء الشهور، ولا أيام الأسبوع، ولا المحكي، ولا ألفاظ: غير وسوى والبارحة والغد والأسماء العاملة. وقد جمع ابن مالك جملة صالحة من أحكام التصغير في خلاصته مبينا أوزانه وصيغه، وضاربا عليه الأمثلة يقول في فاتحة هذا الباب(١٢):

فعيلا اجعل الثلاثي إذا
صغرته نحو قذيٍّ في قذا
فُعَيْعِلٌ مع فُعَيْعِيلٍ لما
فاق كجعل درهم دريهما

٢- التصغير سماع واستثناءات

وضمن هذه المسألة نذكر بأن للتصغير أوزانا قياسية هي الأوزان الثلاثة المتقدمة، وقد ضبطها النحاة بدقة ونظروا لها تنظيرا وافيا، وإلى جانبها توجد ألفاظ تصغر على السماع، من ذلك قول العربي في تصغير مغرب مُغيربان، وفي العشي عُشيَّان، قال سيبويه: «وسمعنا من العرب من يقول في عشية عشيشية، وفي أصيل أصيلال وأصيلان، وهو العشي، وفي ليلة لييلة، وفي إنسان أنيسيان. فهذه كلها نوادر مسموعة عن العرب على غير قياس(١٣).

ومن نكت التصغير وطرائفه ما ورد على لسان المتنبي في نونيته المدحيّة متحدثاً عن ابني الملك مذكراً أن التصغير قد يزيد في الحروف وينقص من رتبة المكانة والقدر على نحو ما في «أنيسيان» مصرحا أن ابني ممدوحه إن كاثرا العدو لم يزدهما ذلك إلا تردّيا وسقوطاً عن المنزلة والقدر، وبذلك تكون مكاثرتهما للعدو نقصا له، كما أن تصغير كلمة «أنيسيان» يزيد من عدد حروفها ولكنه يحط من قدرها ومنزلتها، فالابنان من هذا المنظور دون رتبة والدهما الممدوح لتخلفهما وسقوطهما عن قدره كياءي «أنيسيان» اللتين زادتا في حروف الكلمة وأدخلتها في رتبة التصغير، يقول(١٤):

ولا ملكا سوى ملك الأعادي
ولا ورثا سوى من يقتلان
وكان ابنا عدو كاثراه
له ياءي حروف «أنيسيان»

والطريف في هذا اللسان العربي المبين أن بعض وحداته المعجمية وردت أصلا بصيغة التصغير، نحو: «الثريا» وسواء كانت اسما للنجم أو علما على امرأة فقد وردت كثيرا في الشعر من ذلك قول عمر بن أبي ربيعة(١٥):

أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استهلت
وسهيل إذا استهل يماني

كما وردت كلمة «حديا» في معلقة عمرو بن كلثوم:

بفتيان يرون القتل مجدا
وشيب في الحروب مجربينا
حديا الناس كلهم جميعا
مقارعة بنيهم عن بنينا(١٦)

وتطالعنا لفظة «كميت» في معلقة طرفة حيث يقول(١٧):

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى
وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبق العاذلات بشربة
كميت متى ما تعل بالماء تزبد

وكـــري إذا نـادى المضاف محنبا
كســــيد الغضا نبهته المتورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الخـــباء المعمد

أما كلمة «هنيدة»[١٨] ، فقد أوردها ابن الونان[١٩] في أرجوزته المعروفة بالشمقمقية حيث يقول[٢٠]:

مـهلا عـلـى رسـلـك حـادي الأيـنـق
ولا تكلفــــــهـا بـمـا لـم تطق

فطالما كلفتها وســـقتها
سـوق فتـى مـن حالـهـا لـم يشفق

ولـم تـزل تـرمـي بـهـا يـد الـنوى
بـكـل فـج وفـــلاة ســـــــملق

حتـى غـدت خوصـا عجافا ضمرا
أعـناقـهـا تـشـكـو طـويـل العنـــق

مـن بـعـد مـا كـانـت هـنيـدة غـدت
أكـثـر مـن ذود ودون شـــنق

ومن الكلمات التي وردت مصغرة عن العرب لفظة «الحميا» وهي بلوغ الخمر من شاربها، وقيل: الحميا دبيب الشراب، وحميا الكأس سورتها وشدتها، وقيل: أول سورتها وشدتها، وقيل: إسكارها وحدتها وأخذها بالرأس[٢١]. وقد وردت هذه اللفظة في شعر زهير بن أبي سلمى حيث يقول[٢٢]:

وقــد أغـــدو عـلـى ثـبـة كــــرام
نـشــاوى واجــديــن لـمـا نـشـاء

لــهــم راح وراووق ومــســك
تـعــل بـــه جـــلـــودهــم ومـــاء

يــجــرون الــبـــرود وقـــد تـمـشـت
حـمـيـا الـكـأس فـيـهـم والـغـنـاء

وكذلك لفظة: «اللجين».

ثانيا: التصغير رؤية وتصنيف:

غني عن البيان التذكير بأن التصغير أسلوب طريف يستخدم لجملة من الأغراض فيؤثر في السامع تأثيرا بالغا، وذلك لما يحمل في طياته من لطيف المعاني ونكت البيان. وقد عبر عن ذلك أحد الشعراء ضمن أسلوب طريف حاول خلاله أن يعلل ولوع النفس بهذا الأسلوب اللطيف الخفيف على اللسان اللصيق بالأذهان، منتهيا إلى أن استخدامه يعد ثمرة من ثمرات الحب والغرام، فالشخص إذا ما انقدحت في ذهنه محبة الشيء لجأ إلى أحرف التصغير ليخفف عبرها من معاناته الغرامية ويفرغ من خلالها بعض شحناته العاطفية يقول[٢٣]:

بـذيـالـك الـــوادي أهـيـم ولـم أقـل
بـذيـالـك الــوادي وذلـك مـن زهـدي

ولـكـن إذا مـا حـب شـيء تولعت
بـه أحـرف التصغير مـن شـدة الوجد

والتصغير في الأصل للاختصار والإيجاز في الكلام وذلك ما أشار إليه بعضهم قائلا: «اعلم أن التغصير إنما وقع في الكلام للاستغناء عن الوصف بـ«صغير» وذلك أنك إذا قلت مررت بجبل احتمل أن يكون جبلا عظيما، واحتمل أن يكون صغيرا، فإذا أردت أن تعبر عن معنى من معاني التصغير فلك أن تستغني بقولك: «مررت بجبيل» عن قولك «مررت بجبل صغير»[٢٤]، ومن هذا الباب ما أسموه الوصف المعنوي في باب مسوغات الابتداء بالنكرة، وانتهوا إلى أن ضابطه أن يكون محذوفا على نية الذكر دلّت عليه صيغة التصغير مثل «رجيل عندنا» فإن المعنى: «رجل صغير عندنا»، لذلك جاز الابتداء بكلمة «رُجيل» مع أنها نكرة لما تحمل من معنى الوصف.

وقد حاولنا أن نتتبع أغراض التصغير ومعانيه

فانتهى بنا البحث إلى عدة أغراض نورد أبرزها في ما يأتي مع التمثيل:

١- تحقير المذكور:

ولعل هذا هو الغرض الأصلي للتصغير، إذ كثيرا ما يراد به الحط من قدر الموصوف أو النيل من مكانته، فإذا قالوا: شويعر أرادوا أنه في الإبداع والارتجال وسرعة البديهة دون غيره من الشعراء، فلا يقوى على رفيع القريض ولا يبلغ إلى مستوى الشعراء المبدعين، ومن هذا المعنى قول النجاشي الحارثي[٢٥]:

إذا الله عادى أهل لؤم وذلة

فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

قُبيِّلة لا يخفرون بذمة

ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء إلا عشية

إذا صدر الوراد عن كل منهل

فكلمة قبيلة هنا مشعرة بالكثير من الذم والانحطاط عن مستوى القبائل الأخرى.

كما يفهم من حديث الخويصة كذلك نوع من التحقير، فقد أخرج ابن ماجه من حديث أمية الشيباني أن رسول الله ﷺ قال: «ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمرا لا بد أن لك به فعليك خويصة نفسك فإن من ورائكم أيام الصبر الصبر فيهن على مثل قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون بمثل عمله»[٢٦].

وفي حديث أم سليم «وخويصتك» أنس الذي يختص بخدمتك وصغرته لصغره يومئذ. وفي الحديث «بادروا بالأعمال ست الدجال، وكذا، وكذا، وخويصة أحدكم»؛ يعني حادثة الموت التي يختص بها كل إنسان، وهي تصغير «خاصة» وصغرت لاحتقارها في جنب ما بعدها من البعث والعرض والحساب، أي اجتهدوا في العمل وبادروا قبل حلول الموت[٢٧].

ومما يلحق بهذا الباب ماروي عنه ﷺ من أنه ذكر من أشراط الساعة «أن ينطق الرويبضة في أمر العامة»، قيل وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: «الرجل التافه الحقير ينطق في أمر العامة»[٢٨]. قال أبو منصور: «الرويبضة تصغير رابضة وهو الذي يرعى الغنم، وقيل هو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور وقعد عن طلبها، وزيادة الهاء للمبالغة في وصفه»[٢٩].

ومن هذا المعنى ما انتهى إليه بعض الفقهاء من أن قول القائل: «عميمة العالم» يؤدي إلى الكفر والفسوق لما فيه من احتقار العلماء والانتقاص من قدرهم والحط من منازلهم، وذلك مما لا ينبغي، فكل ما له صلة بالعلماء يلزم احترامه وتعظيمه، لذلك نظم أحدهم هذا المعنى قائلاً[٣٠]:

واحكم على القائل بالتكفير

عُميِّمة العالم بالتصغير

٢- تقليل المعدود:

والمقصود أن التصغير قد يستعمل ويراد من خلاله التعبير عن قلة المذكور، فإذا قلنا: «عنده دريهمات» علم السامع أن ذلك معرب عن قلة دراهمه ويسارتها، كما في لفظ «لقيمات» الوارد في الحديث الشريف تعبيرا عن القلة وترغيبا في التخفيف من الطعام فقد قال ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»[٣١]، فكلمة لقيمات في الحديث مرغبة في التقليل من الطعام، داعية للاقتصاد في الأكل،

ظاهرة التصغير بين الإفادة والإمتاع

لأن ذلك أجلب للصحة وأسلم للجسم وأنفع للعقل وأبقى للزاد. ومن هذا الباب ما ورد في البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها إذ قالت: يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا، وإنما هو الأسودان الماء والتمر إلا أن نؤتى بلحيم، أي بقدر من اللحم يسير.

٣- تقليص الحجوم:

ويقصد به التنبيه إلى صغر حجم الشيء المذكور، فإذا قلنا مثلا: دفيتر علم السامع أن المقصود دفتر صغير جدا، كما في تصغير عمر ابن أبي ربيعة لقمر على قمير حيث يقول في رائيته المشهورة[٣٢]:

وغاب قمير كنت أهوى غيوبه
وروح رعيان ونوم سمر

فالمقصود هنا التنبيه إلى صغر حجم هذا القمر وتأخر الليل نسبيا.

ولعل من التصغيرات المندرجة في هذا الباب ما ورد في قطعة لابن الرومي استودعها تصغيرات من قبيل البويب، والكليب، والسبيب، والعريب وغيرها... يقول[٣٣]:

إياك يا بويب
أن يستثار بويب
فإنما أنا ليث
عاد وأنت كليب
لا تحقرنّ سبيبا
كم جر شرا سبيب
ولا تظنّ بجهل
أن اللسان ربيب
قد تحسن الروم شعرا
ما أحسنته العريب

يا منكر المجد فيهم
أليس منهم صهيب[٣٤]

٤- تقريب الموضوع:

والغرض منه تغيير صورة الشيء في ذهن السامع، فيقرب له البعيد سواء في الزمن أو في المسافة أو في القدر، ومن أمثلة ذلك قول امرئ القيس في رائيته المشهورة[٣٥]:

أو المكرعات من نخيل ابن يامن
دُوَيْنَ الصفا اللائي يلين المشقرا

فـ«دوين» هنا تصغير «دون» والمراد أنها دونها بيسير، وكذلك قوله[٣٦]:

وأنت إذا استدبرته سد فرجه
بضاف فُوَيْقَ الأرض ليس بأعزل

فكلمة «فويق» عبرت تعبيرا بديعا عن طول ذيل هذا الفرس فقربت الصورة إلى ذهن السامع مصرحة أن الذيل المذكور كاد أن يلامس الأرض؛ إذ لا يفصله عنها إلا يسير. ومن هذا الباب كذلك قول الشنفرى[٣٧]:

وإلف هموم ما تزال تعوده
عيادا كحمى الربع أو هي أثقل
إذا وردت أصدرتها ثم إنها
تؤوب فتأتي من تُحَيْتُ ومن عل

فكلمة «تحيت» تصغير الظرف «تحت»، وهي دالة على معنى التقريب كما في الأمثلة السابقة، ومن هذا المعنى قول الشاعر الموريتاني[٣٨]:

حنانك ذا الحنان لمن يروم
شفاء حيث تطلع النجوم
أرجي من زبيد شفاء قلب
تياسره الوساوس والهموم
إذا ابتسمت بعيد النوم وهنا
وقد خلفت مباسم من ينوم

يـلـوح الـبـرق ثـم يـفـوح مسك

فحـسـبـك مـا تـشـم ومـا تشيم

ففي البيت الثالث وردت كلمة «بعيد» التي هي تصغير لظرف الزمان «بعد» وهي تشير إلى أن انتباهها كان بعد منامها بوقت قليل.

٥- تعظيم الموصوف:

وهو من الأساليب البديعة الغريبة، إذ لا يتبادر إلى الذهن التصغير لأجل الإكبار والتعظيم، غير أن طرائف الفصحى في التعبير ممتعة ولطيفة، إذ قد تسمي الشيء وضده باللفظ نفسه وربما عبرت عن الصفة بمخالفها كما في هذه الحالة.

وقد دافع الكوفيون عن تصغير التعظيم واستدلوا له ببعض الأمثلة الفصيحة والأبيات الأصيلة، فعدوا من ذلك قول لبيد بن ربيعة العامري(٣٩):

ألا كـل شـيء مـا خـلا الله باطل

وكـل نـعـيـم لا مـحـالـة زائـل

وكـل أنـاس سـوف تـحـدث بينهم

دُوَيْـهِـيَـةٌ تصـفـر منها الأنامل

فكلمة «دويهية» مصغرة تصغير التعظيم، إذ لا يقع اصفرار الأنامل الذي هو الموت إلا من داهية عظيمة التأثير شديدة الوقع على النفس.

ومن هذا المعنى قولهم: «أصابتهم سُنَيَّةٌ حمراء» أي عظيمة الشأن شديدة المحل، ومنه حديث: «أتتكم الدُّهَيْمَاء» يعني الفتنة العظيمة، فصغرها تهويلا لأمرها وتعظيما(٤٠). وقد أدرج بعضهم في هذا الغرض قول الشاعر(٤١):

فويق جُبَيْلٍ شامخ الرأس لم يكن

لتبلغـــه حتى تكل وتعملا

فكلمة «جبيل» هنا صغرت تصغير التعظيم، لأن هذا الجبل على صغره لا يبلغه الإنسان إلا بعد التعب والأين، وذلك دال على عظم شأنه وصعوبة صعوده.

ومن هذا الباب قولهم: «جاء بأم الزبيق (الداهية) على جمل قريق (أخضر)».

ويحسن التذكير هنا بأن البصريين منعوا إتيان التصغير للتعظيم، منتهين إلى أن التعظيم ينافي التصغير ويناقض المقصود منه(٤٢).

٦- تكريم الممدوح:

ويتقارب كثيرا مع سابقه، غير أنه يختلف عنه من حيث أن هذا غرضه الأساسي ينحصر في الثناء والتنويه، ومن أمثلته قول ابن عمر ﷺ في عبد الله بن مسعود: «كنيف ملئ علما» فـ«الكنيف» وعاء طويل يكون فيه متاع التجار كالرعاة، والمراد أن استيعاب ابن مسعود للعلم واحتفاظه به شبيه باستيعاب الأوعية لما يوضع فيها واحتفاظها به، فهذا الصحابي يحتوي العلم احتواء يضاهي احتواء الأوعية للأزواد. وتصغير «كنيف» هنا على جهة التكريم والمدح، فقد شبه عمر قلب ابن مسعود بـ«كنيف» الراعي الذي يجعل فيه مزادته ومقصه وسفرته، ففيه كل ما يريد، وهكذا قلب ابن مسعود قد جمع فيه كل ما يحتاج إليه الناس من العلوم(٤٣).

ومن هذا المعنى أيضا المثل السائر: «أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب» فالجذيل تصغير جذل وهو جذع شجرة يوضع في مراح الإبل تحتك عليه الجرباء، والعذيق تصغير عذق وهو عرش النخلة والمرجب المعظم، وهذا كناية عن رسوخ التجربة وسداد الرأي والتبصر في الأمور مع الحكمة، فالمعنى أنه ذو معرفة بالأمور، فاستعانة الناس به وحاجتهم إليه كاستعانة الإبل الجرباء بهذا الجذل وحاجتها إليه فصغره على وجه التكريم.

ومن هذا الباب ما ورد في الحديث من قوله

ظاهرة التصغير بين الإفادة والإمتاع

ﷺ: «خذوا شطر دينكم عن الحميراء» يعني عائشة رضي الله عنها، وكان ﷺ يقول لها أحيانا: «يا حميراء» وهي تصغير الحمراء يريد البيضاء[٤٤].

ويندرج في هذا السياق لفظ «الأصيلع» فهو من الأسماء التي سمى بها رسول الله ﷺ عليا بن أبي طالب، وهو تصغير تكريم وتودد، لأنه كان أصلع، وقد وردت هذه اللفظة على لسان عمر رضي الله عنه حينما قال: «إن وليها الأصيلع الأجلح يسلك بهم الطريق المستقيم» وهو يعني بذلك عليا رضي الله عنه [٤٥].

٧- التلطف بالمولود:

وهذا الغرض من أطرف الأغراض وألطفها، إذ يعنى بالتحبب إلى الأطفال والنشء الصغار، ساعيا إلى ترقيص فلذات الأكباد، ومن أمثلته ما ورد في القرآن الكريم من صيغ تصغير الابن كقوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[٤٦]، وقوله جل شأنه: ﴿ يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[٤٧].

فتصغير الابن هنا تصغير تلطف وتحبب، وهو كثير في أساليب العرب، ومن هذا المعنى قول النبي ﷺ لأخي أنس بن مالك: «يا أبا عمير ما فعل النغير»، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عمير ما فعل النغير»؟ تصغير لنغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار، وقيل هو العصفور، والمعنى ما حاله وما شأنه[٤٨].

ويتنزل في هذا السياق ما ورد في نصيحة حماد بن ألمين المجلسي[٤٩] مخاطبا صغار الأبناء يقول[٥٠]:

بني إن البر شيء هين ... دونك منه ذا الذي أبين

نصيحة من والد حفي ... بك هديت الرشد من بني

شمر إلى مكارم الأخلاق ... وخلص الأعمال من نفاق

٨- التعطف على المرحوم:

والمقصود به الترفق بالشخص والترحم به والشفقة عليه، ويعد هذا الغرض من الأساليب اللطيفة التي تكشف عن انكسار القلب ورقة المشاعر على نحو ما نصادف في أبيات للزمخشري يرثي ضمنها نفسه وكأنه ينظر إلى قبره داعيا الله سبحانه وتعالى أن يتجاوز عن سيئاته طالبا منه العفو والمغفرة، ومبينا في الوقت نفسه ضعفه واستكانته يقول[٥١]:

قرب المسير إلى ديار الآخره ... فاجعل إلهي خير عمري آخره

وارحم مبيتي في القبور ووحدتي ... وارحم عظامي حين تبقى ناخره

فأنا المُسَيْكِينُ الذي أيامه ... ولت بأوزار غدت متواتره

فكلمة «مُسَيْكِينٍ» في البيت الأخير تصغير لكلمة «مسكين»، وهي معبرة عن كثير من الرقة والانكسار والشفقة، ومن هذا الباب بعض التصغيرات التي يفهم منها التواضع كما يتردد كثيرا في فواتح بعض المنظومات التعليمية على نحو ما في وصية البشير بن امباريكي[٥٢] حيث يقول[٥٣]:

قال عبيد ربه البشير ... تاب عليه ربه القدير

بســــــم الإلـــه لـلإلـه الحـمـد

ثـم الـصـــــــلاة لـلـنـبـي وبـعـد

فـهـــــــــــذه وصـيـة قـد تحمد

فـاعـمــــل بـهـا واعـتـن يـا محمد

تـفـيـد لـلـصـــــــــغـار والـكـبـار

فـي حـفـظـهـا لـيـس عـلـيـهــم عـار

ثالثا: التصغير تطور وتاريخ:

وفي هذا المحور نود أن نعرض لمسألتين؛ أولاهما: تنظر إلى التصغير على أنه ملح للنص وإيدام للشعر والقريض، وثانيتهما تنتهي إلى أنه أساس للشعر وعماد للقصيد.

أ. التصغير إيدام للشعر والقريض:

يحسن التذكير في هذا المقام بأن العرب كانت تعتمد كثيرا على التصغير؛ لذلك تكرر وروده في أسماء الأعلام وأسماء القبائل على نحو ما في «قريش» و«هذيل» و«سليم» و«كليب» و«عقيل» و«جهينة» و«بني ذؤيب«، كما نجد اسمين في عمود النسب الشريف وردا على هذه الصيغة تحببا وتعظيما وهما: لؤي وقصي، وقد تحدث أحد العلماء الموريتانيين عن هذا الاسم الأخير وصيغته فانتهى إلى أن «قصي» تصغير قصي بفتح فكسر أي بعيد لأنه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة حين احتملته أمه فاطمة بنت سعد العذري واسمه زيد فسمي مجمعا.

ومن الأسماء العربية القديمة التي وردت بصيغة التصغير «بديلة» و«هنيدة» و«زبيدة» و«سمية» و«مليكة» و«أميمة» و«قتيلة» و«فتية» و«زهير» و«صهيب» و«خبيب» و«طفيل» و«نعيم» و«نعيمان» و«كريب» و«عمير» و«أنيس» و«أصيل» و«بجير» و«شريق» و«شريح» و«أذين» و«عيينة» و«أريقط» و«رويفع» و«عبيد» و«عبيدة» وغيرها..

وسنورد جملة من النماذج التي وردت فيها بعض الكلمات المصغرة بوصفها ملحا للنص وإيداما للقريض؛ فالقارئ للمدونات قديما وحديثا يدرك أن التصغير ظاهرة حاضرة في مختلف العصور الأدبية، فهو من بنيات اللغة الثابتة ومن صيغها الأساسية التي تعبر من خلالها عن بعض الدلالات والمعاني، فلا غنى للمتكلم عنها، ولا مناص للمبدع منها، ومن ثمة ورد على ألسنة الشعراء وفي طيات النصوص، وهكذا فالمتصفح لمدونات الشعر الجاهلي يمكن أن يصادف نماذج لهذه الظاهرة وردت عرضا واتفاقا وجاءت على نهج من العفوية والانسياب كبير، من ذلك قول امرئ القيس[٥٤]:

كـأن ذرى رأس المجيمر غـدوة

مـن الـسـيـل والـغـثـاء فلكة مـغـزل

وألـقـى بـصـحـراء الـغـبـيـط بعاعـه

نـزول الـيـمـانـي ذي العياب المخول

كـأن سـبـاعـا فـيـه غـرقـى غـديـة

بـأرجـائـه القصوى أنـابـيـش عنصل

فقد وردت في الأبيات كلمتا «المجيمر» و«غدية» بصيغة التصغير، وذلك ما أورث النص متعة وخفة ولباقة وأكسبه رونقا وجمالا، كما وردت في معلقة النابغة كلمة: «أصيلالا» وهي تصغير «أصيل» معبرا بها عن آخر لحظة من النهار وهي أروع لحظات الغروب، وفي ذلك ما فيه من المعاني الرومانسية الرفيعة، يقول [٥٥]:

يـا دار مـيـة بـالـعـلـيـاء فـالـســنـد

أقــوت وطــال عـلـيـهـا سـالـف الأبـد

وقـفـت بـهـا أصـيـلالا أسـائـلـهـا

عـيـت جـوابـا ومـا بـالـربـع مـن أحـد

ومن روائع التصغير ما ورد في قول أحد الشعراء القدامى[٥٦]:

ظاهرة التصغير بين الإفادة والإمتاع

جـزى الله يـوم الـروع خـيرا فإنه
أرانـــا علـى عـلاتـه أم ثابت

أرانـا رُبَـيْـبَـاتِ الـخـدور ولـم تكن
لتبـصـر إلا عـن بـغـاة بـواغـت

فالشاعر يحمد الله أن من عليه بالمشاركة في هذه الحرب رغم ما بها من معاناة ومواجهة للأعداء ومصابرة على النزال إلا أن ذلك كله يهون في جنب فرص اللقاء ولحظات الاستمتاع؛ حيث نعم الشاعر برؤية محبوبته «أم ثابت»، وقد ازدان البيت الثاني بكلمة «ربيبات» التي هي تصغير لـ«ربة» وقد اكتسب البيت معها رونقا وجمالا وعرف عذوبة وانسيابا.

ويحسن التذكير هنا بأن أحد العلماء الشناقطة أنشد هذين البيتين في أحد النوادي العلمية احتفاء ببعض الحاضرين فنطق كلمة «رُبَيِّبَاتٍ» بصيغة التصغير فراجعه أحدهم قائلا: «ألا تحكيها بصيغة مكبرة رَبِيبَاتٍ» فرد العالم قائلا: إن ذلك يفيت نكتة التغصير وفرصة التمتع بلطيف الأسلوب منشدا بيتين وردا في فاتحة المحور الثاني «التصغير رؤية وتصنيف».

ونصل إلى الشناقطة لنقرأ نصوصا طريفة للمختار بن حامد يُكثر ضمنها من التصغير؛ فله قطعة لامية يصرح ضمنها بشدة تأثير «أهل الرميل» على قلبه، مؤكدا استمالة الغواني للأفئدة، وقد أكثر في نصه من التصغير والإرصاد قائلا[٥٧]:

مـن أهـيـل الـرمـيـل مـوتـي وويـلـي
مـن أهـيـل الـنـقـا وأهـل الـرمـيـل

غـالـنـي غـيـدهـم ومـلـن لـغـيـري
والـغـوانـي ألات غـيـل ومـيـل

ودعـتـنـي بـنـت الـخـويـلـد منها
بـعـمـيـمـي طـورا وطـورا خـويـلـي

ودعـتـنـي وكـم دعـتـنـي لـوصـل
عـن يـمـيـن الـرمـيـل آخـر ليلي

وأتـتـنـي تـجـرر الـذيـل لـيـلا
فتلقيتها أجـرر ذيـلـي

والـتـقـيـنـا مـا بـيـن غـمـضـة عين
وانـتـبـاه الـبـعـيـل فـوق التليل

ومـن طـرائـفـه الـشـعـريـة الـتـي تـحـتـوي بعض التصغيرات الرائعة أبياته الرجزية التي يحكي فيها طرفا من رحلته في الطائرة إلى إسبانيا، مؤكدا أنه بلغ مدينة مرسيلية مع المغرب، وأن معه مضيفة أوروبية، والطريف في أبياته أنه صغر بعض الكلمات الحسانية ذات الأصل الفرنسي مثل كلمة: «مضم» التي أصلها بالفرنسية «Ma dame» فقد أوردها بصيغة: «مضيميم» وفي ذلك إخضاع اللغة الأجنبية لقواعد التصغير في العربية، والأطرف من ذلك تصغير الفعل في الحسانية وهو أمر ممنوع في الفصحى، فقد صغر الرجل هنا الفعل: «جرى» المنسوب إلى ضمير المؤنث في الغيبة «تَجَيِّرِي» التي هي تصغير «تَجّرِ» في الحسانية يقول[٥٨]:

جـئـنـا لـمـرسـيـلـيـة مغيربـانا يـقـودنـا زمـام الخير

أمـامـنـا مـضـيـمـيـم تجيري
نـكـاد لا نـدركـهـا بالسير

فأجلسـتـنـا فـي كـراسـي الـديـر
وأطـعـمـتـنـا مـن طـعـام الغير

حـتـى نـغـادر بـخـيـر مير
نـصـل أهـلـنـا بـكـور الطير

والقارئ للشعر العربي القديم يصادف نماذج غير يسيرة وردت فيها بعض الكلمات المصغرة

عرضا ودون تكلف، وذلك بوصفها ملحا للشعر وإداما للقريض، فالتصغير من بنيات اللغة الثابتة التي لا تنفك عنها.

ب. التصغير عماد للنظم والقصيد:

وضمن هذه المسألة سنستعرض بعض النصوص الشعرية التي عولت في بنائها الأسلوبي على ظاهرة التصغير، ساعية إلى أن تخضع جميع وحدات النص المعجمي لهذه الظاهرة، وهو أمر صعب ينم عن التمكن من القريض، والتفنن في الإبداع، ولعل من أوائل من انتهجوا هذا النهج ومهدوا هذا السبيل الشاعر صفي الدين الحلي(٥٩) الذي بدأت الإبداعات الشعرية على يده تعرف نهجا مستطرفا يعتمد إخضاع وحدات النص المعجمية كلها لظاهرة التصغير، وهو ملمح رغم أهميته الأسلوبية والإيقاعية قد يوقع في الصنعة والتكلف ويصرف عن التملح والتلطف.

ويمكن القول - بشيء من التجوز - أن هذا النمط الأسلوبي القائم على التلاعب بالألفاظ الشعرية بدأ يشق طريقه على عهد هذا الشاعر نحو التميز معتمدا نحوا بديعا غير مسبوق، وهكذا نظم الرجل مصغرة تقع في أربع وعشرين بيتا، يقول في مطلعها(٦٠):

نقيط من مسيك في وريد
خويلك أم وشيم في خديد
وذياك اللويمع في الضحيا
وجيهك أم قمير في سعيد
وجيد شويدن فيه شكيل
أدق معينات من خويد
ظبي بل صبي في قبي
مريهيب السطيوة كالأسيد
معيشيق الحريكة والمحيا
مميشيق السويلف والقديد

وقد عثرنا على هذه القصيدة منسوبة للشاعر محمد بن أبنو الشقروي سهوا. وما من شك في أن هذ الرجل هو الذي أعلن انطلاقة فن المصغرات في الشعر الموريتاني مطورا نماذج من تقدموه على قلتها، وناسجا على منوالها، ولعل ذلك ما جعل أحد الباحثين يعتقد أول الأمر أن هذه القصيدة من إبداع الشقروي وإنتاجه، لكنه بعد النظر والتحري علم أنها من شعر صفي الدين الحلي، إذ نسبها إليه صاحب الكشكول وغيره، مع العلم أنها لم ترد في الديوان ضمن طبعاته المتوفرة. ومهما يكن من أمر فإن وجود نص هذه القصيدة بخط شنقيطي قديم يرجع إلى عهد الرجل ونسبتها إليه - ولو سهوا - مردفة بعينية له مشهورة فإن كل ذلك يجعلنا نفترض على الأقل أنه اطلع عليها وتأثر بها وحذا حذوها في اعتماد التصغير، غير أن موزانة يسيرة بين دالية صفي الدين ولامية الشقروي قد يستشف منها تفوق هذا الأخير وعلو كعبه في هذا النهج، وقدرته على التفنن في أساليب التصغير، مع المحافظة على أدبيات النص الشعري وفنياته الإيقاعية.

ونصل إلى جهود ابن حجة الحموي(٦١) الذي نظم قصيدة رائية أخضع معظمها للتصغير يقول(٦٢):

طريفي من ليلات الهجير
مقيريح الجفين من السهير
نويري الخديد كوى قليبي
فصحت من الحريق أيا نويري
مسيديل الشعير على كفيل
يذكرنا مويجا في البحير
حوجيبه القويس له سهيم
مويض في القليب بلا وتير

لـثـمـت خـديـده فـجـرى دمـيـعـي

فـمـا أحـلـى الـزهـيـر عـلـى النهير

شـهـيـر وصـيـلـه عـنـدي بـيـوم

ويـــوم هـجـيـره مـثـل الـشـهـيـر

وقد أورد صاحب الكشكول لامية مصغرة لم ينسبها لأحد مكتفيا بقوله: «ولبعضهم»[٦٣]:

سـواد فـي الـجـفـيـن بـلا كحيل

أسـال مـديـمـعـي وسـبـى عقيلي

لـحـيـظـك مـن صـوريـمـه بقلبي

جـريـح قـد صـرمـت بـه حبيلي

قـويـس حـويـجـبـيـك لـقـد رمـانـي

سـهـيـمـا فـي الـقـلـيـب بـلا نصيل

وكـم شـرقـتـنـي بـدمـيـع عـيـنـي

وغـربـنـي هـويـك عـن أهـيـلـي

يـويـم مـن هـجـيـرك قـد دهـانـي

فـمـا أحـلـى لـيـلات الـوصـيـل

حـبـيـب مـهـجـتـي هـل مـن وصـيـل

فـمـا أحـلـى الـوعـيـد بـلا مطيل

رابعا: التصغير ممارسة وتطبيق

وخلال هذا المحور سنعرض لقراءة بعض من نصوص الشعر الموريتاني وردت بصيغ مصغرة لطيفة تكشف عن جانب من تراث القوم مغمور مغبون، كما تفصح في الوقت نفسه عن براعتهم اللغوية وتمكنهم من ناصية القريض تمكنا يصحبه تفنن في التعابير والأساليب، فقد وقفنا لهم على ما يربو على العشرة من النصوص المغصرة وهو ما لم نصادفه عند غيرهم من الشعراء إلا لماما. أما ورود الألفاظ المصغرة عرضا في بعض القطع الشعرية فهو متعدد كثير يصعب تتبعه. وقد تمكنا من تصنيف هذه المدونة إلى أربعة موضوعات أدبية هي:

أ- استمتاع النفس بالتغزل والعرصات:

وسنكتفي خلال هذا المحور بقراءة نصين بديعين تم عبرهما تبادل حوار شعري بين أثنين من أرباب القريض في القرن الرابع عشر الهجري فضلا أن يلوذا بأسلوب التصغير إمتاعا للنفس وإرغاما للمجادل وتطبيقا لبعض أبواب النحو وإحياء لنادر الصيغ، وهكذا نجد الشاعر محمد ابن أبنو الشقروي[٦٤] يستحضر في فاتحة نصه أسلوبا من الغزل رفيعا يثير الغرام وينير الفؤاد مستمتعا بصور الأطلال ورسوم الديار والعرصات، التي تدفعه إلى إذراء العبرات، لتغرق النحور في بحر من الدموع كأنما هي سيول متدفقة وأمواج عاتية وبذلك يتعالى النفس وتتصاعد الزفرات والأحزان فيمتنع النوم عن العيون فلا يملك الشاعر إلا أن يسلي نفسه عن ذلك متلبثا في عرصات الربوع ومخاطبا صحبه في محاورة تلوذ باسترجاع ذكريات الماضي ولحظات الوصال أيام كان الشمل مجتمع، والزمان مبتسم.

وإثر ذلك يخلص إلى وصف الحبيبة المتخيلة، وصفا دقيقا يستحضر الصور التراثية والأنساق الشعرية أكثر من ما يمتح من الواقع أو يركن إلى الوسط والبيئة، منتهيا إلى ما تمتاز به تلك الحبيبة من حوة في الشفتين وكحل في العيون واستواء في القامة وانسدال في الشعر، وجمال في الوجه وامتلاء في الساقين وطيب في الرائحة، كل ذلك في غنج ودلال يدعوا صاحبه إلى الصدود والاعراض ويدفعه صاحبه إلى أن يتثنى ملقيا العنان لنظراته لتفتك أجفانها بالقلوب كما تفتك السهام بالجسوم. يقول[٦٥]:

أثـــار غُـرَيـمِـي وشـجـا عُـقَـيـلـي

طُـلَـيـل لـلـحُـبَـيـب بـالـتُـلـيـل

نظرت رسيمه فجرى دميعي ... وسال على نحيري كالسُّييل

فظل صُوَيْحِبي حيران يُجري ... عُبُيْرته بذيّاك الطُّليل

فطال سُهَيري وعلا نُفَيسي ... وطار سُهَيدي ودجا لُيَيْلي

وقفت به فلام عُوَيْذلي في ... وقوفي في عُرَيْصته جُميْلي

ومما قد شجاني فيه أني ... ذكرت دُهَيْرَه زمن الوُصَيل

زُمَيْنا شد حادثه عُضَيدي ... وجمع من فُريْقته شُميْلي

عشقت غُزيلا أحوى أُليمى ... مُكَيْحِيل الجُفَين بلا كُحيْل

مُحيْطيطَ المُتَين على استواء ... مُسَيديل الفُريع على الكفيل

مُعيشيق المُقيلة والمُحيا ... مُويميقَ الْوُصَيلة والدُليل

بُوَيْنِيَ المُوَيسة إن تثنى ... مُمَيْليءَ السُّوَيق والحُجَيْل

طُعَيمُ رُويْقَتِه كَطُعيْم أشهى ... دُنَيْنٍ من خُمَيْر أو عُسَيل

نُبَيْلِ لحَيْظَه أدهى وُقَيْعا ... بأحشاء النُّبَيلِ من نبيل

مُصَيْريمُ الحُبَيْلِ من ابتغاه ... وإن أمسى مُوَيْصِيلَ الحُبَيل

عُرَيفُ ثُغَيْره يحكي شُمَيْما ... عُرَيفَ رُوَيْضَةٍ إثر الوُبَيْل

قُمَيْر في لُييل في رُميح ... حواليه حُقَيْفُ من رُميْل

وقد أكثر الرجل في هذا النص من التصغير إذ بلغت الكلمات المصغرة في مقاطعه الأولى التي تغطي ستة عشر بيتا إحدى وسبعين وحدة معجمية مصغرة وذلك بمعدل خمس تغصيرات في كل بيت تقريبا.

والطريف في الأمر أن الشاعر حافظ على جودة نصه رغم صدوره عن هذه الفنية المعقدة التي تكاد تقيد المبدع وتحد من نفسه الإبداعي، ومن تفننه في القول، واضعة أمامه جملة من العقبات، فالتصغير عبث بالنظم ولعب باللغة ولا يحصل ذلك إلا ممن أوتي قدرة فائقة على التصرف في الإبداع والتحكم في القريض.

أما النص الثاني فهو من إبداع الشاعر المصباح ابن الشيخ حبيب الله[٦٦] وقد استهله بالوقوف على الأطلال في نهج بديع يعتمد هو الآخر أسلوب التصغير ويلوذ بجناس التلفيق، إذ استطاع بمهارة أن يجانس بين تعبيرين أولهما مركب من كلمتين، غير مصغرتين، وردتا في جملة فعلية تكشف عن الأرق والسهر، «بت ليلي» وثانيتهما كلمة مفردة هي «التل» أي الكثيب وردت مصغرة مجرورة بالباء «بالتليل»، وقد أكسب هذا التجانس النص نغما إيقاعيا متميزا، كما كشفت هذه الفاتحة الطللية عن تلاعب بالنظم بديع.

ويمتد هذا النغم الطللي في الأبيات الأولى من النص على نحو يستحضر النصوص العالقة بالذاكرة الغزلية أكثر من ما يأنس بالواقع، إذ يقف بأطلال «عبلة» محبوبة عنترة مقدما اسمها على أسماء النساء الشنقيطيات مما يكشف عن ترسخ

المحفوظ الشعري القديم في الأذهان وانطباعه في المخيلة.

وإثر ذلك يصرح الشاعر أن وقوفه بالأطلال أثار منه الغرام وأجرى الدموع وجعل محبوبته تسكن سويداء القلب متخذة منه مستقرا ومقاما، مما يدفعه إلى أن يشبه شخصها بالغزالة متحدثا عن عفتها ونزاهتها، إذ تماطل في الوعد مانعة الوصل ناقضة العهد ليخلص إلى تعداد أوصافها، فهي ناعمة الجسم بضة المتجرد ذات حوة ولعس في الثغر وضخامة وعظم في الردف، واستواء في القامة والقد، وتألق في البشرة والوجه، وشجو في المنطق والكلام، ونبال في اللحظ وحضور في القلب، فطيفها بالليل طروق، وخيالها بالذهن علوق، فهي تسبي الشيخ المتبتل وتصطاد الراهب المتعبد، مما يجعل المتيم يغرق في لجج غرامها، باذلا في سبيلها، النفس والنفيس، ومعملا المطي والعيس، سالكا إليها الحزن والسهل، ومباعدا من أجلها الأحبة والأهل، يقول (٦٧) :

وقفت على الطُلَيْل فبتُ ليلي
حزينا من طُلَيْلٍ بالتُلَيْل
طُلَيْل من عبيلة لا تلم يا
عويذل إن وقفت به جميلي
طليلات العقيلات اعتراني
غريمها السويلب للعقيل
دميع مقيلتي يجري وحلت
سويدائي طليلات الأهيل
ولم تبرح سويكنة قلبي
عزيلة صويرمة الحبيل
موينحة عويشقها عذيرا
هويجرة موينعة الوصيل
نويعمة نويضرة عذيب
أليماها رويجحة الكفيل
نويقضة العهيد بعيد ود
قويتلة الصبيب بلا عقيل
جويهلة عبيلة إن شجاني
خييلها الطويرق بالليل
فإن يكن الشييب علا فويدي
فقد يزري الغريم بالكهيل
ولو عمل الرويهب ثم أبدت
دليلها لمال عن العميل
ولو ناغت صديعا في جبيل
لزل بها الصديع عن الجبيل
وإن تك لي قويتلة شجيوا
فكم قتلت عويشقها قبيلي
نبيل لحيظها ماض وشكت
سويدائي بذياك النبيل
عبيلة ذا قديدك أم غصين
ريديفك أم حقيف من رميل
عبيلة لا أزال سويلكا ما
دوينك من حزين أو سهيل

وقد أكثر هذا الشاعر كسابقه من التصغير في هذا النص حيث بلغت الكلمات المصغرة في مقاطعه الأولى التي تغطي ستة عشر بيتا ثمانين وحدة معجمية مصغرة، بمعدل خمس مصغرات في كل بيت تقريبا.

ب- استرجاع العهود والذكريات:

وفي هذا المحور يتنزل ذلك النص المتميز الذي أبدعه العلامة المختار «التاه» بن يحظيه بن

عبد الـودود[٦٨]، وقد استهله واقفا بربع محبوبة متخيلة مستوحاة من الذاكرة الشعرية، (عبلة) مصرحا أنه ذكره الماضي من العهود وأعاد إلى ذهنه متعة سالف الأيام، فقد أصبح هذا الربع خلاء من الساكنة مما دعا الرجل إلى أن يشبه آثاره ببقايا الوشم في المعصم منتهيا إلى أن الذكريات أثارت منه كوامن الغرام ولواعج الحب ففاضت دموعه على المناحر وفوق الخدود، مما أرغمه على أن يتتبع منازل الحبيبة الواحد تلو الآخر، مشيرا إلى ما أصابها من تأثير عوامل التعرية حيث لم يبق بها غير أرمدة القدور وخالدات الأوتاد ومطفلات الظباء، وآثار السيول، يقول[٦٩]:

طليــــلك يـا عبيلة بالجغيد
يـذكرني المويضي مـن عهيدي
خـويـل مـن سـويكنه يحـاكي
وشـــيما فـي نويشرة الزنيد
ذكــرت زميـنه فجـرى دميعي
فـويق منيحري وعلى خديدي
ومنـك لـدى الغوير عفـا طليل
بـه يجــري دميعي كالعقيد
بـقيات الأثـيلم مـــنه تبدو
وبــــــاق مـن رميـده بويد
وقـفت بـه فلم أر فـــيه إلا
عـويطفة الظـباء على الوليد
وغــير هـويمـد وخـويلـدات
وغـير عـميد حـول الوتيد

ويندرج في هذا الصدد نص للعلامة أحمدو بن اتاه بن حمينه[٧٠] اليدالي الذي جاء ليمثل نوعا من استرجاع الذكريات والعهود السالفة متحدثا عن تأثير عوامل التعرية على الطلول، داعيا إلى التلبث بمنازل الأهل ومرابع الطفولة ليتتبعها الواحد تلو الآخر، مذكراً بما أصابها من اندراس وتغيرة ووحشة بعد أن كانت آهلة بالسكان، وإثر ذلك يسترجع الذكريات ولحظات الوصال مستحضرا فترات الحداثة والصبا أيام الزمان مسالم والشمل منتظم، والشاعر مع أترابه في عنفوان الشباب ينعمون بلطيف الوصال، ويجلسون إلى الشيوخ للتعلم واكتساب رفيع الخلال متنافسين في دراسة النحو واستحضار الشواهد، يقول[٧١]:

مُغَيْنَاتُ «الـعُـوَيْـرِف»[٧٢] بالحُقَيْف
عـليـهـا بـعـدنـا لـعـبَ الـسُـوَيْـفِ
وقـفـت بـهـا فـلـم أتـبـيـن إلا
طُـلَـيْـلا فـي عـريـصـتـهـا خـويـف
كـمـا عـفـت الـدويـرات اللـتـيـا
عهدت بها الأهيل لدى «الجفيف»[٧٣]
فـإن عـلـى الـجُـفـين لـهـا نـذيـرا
لـيـذرى مـن دمـيـعـتـه الـكـويـف
خُـلـيّلُ بـ«الـهـويـدج»[٧٤] قف لنرعى
حـقـيـقـا فـي مـغـيـنـاه الـعـويـف
وقـف بـي كـي نـودّي مـن عـهـيـد
علينا في دويـرات «الـوقـيـف»[٧٥]
ولا تـذر الـوقـيّـف فـي مـغـيـنٍ
عفا عند «الأحينف»[٧٦] في الصّييف
مُـعـيـهـد مـن لـيـلـى قـد جـررنـا
بـه مـا لـلـغـريـم مـن طـريـف
ونـرتـشـف الـوصـيـل قـريـقـفـيـا
بِـمُـوَيْـهِ الـسّـحـيّـبـةِ الـصـويـف
فـإن صـرمـت لـيـلـى مـن حـبيلي
فـإنـي بـالـعـهـيـد لـهـا أويـف

ظاهرة التصغير بين الإفادة والإمتاع

وإن قطعت وصيلي أو جفتني
فلم أك بالقويطع والجويف
فهل لي بعدما قطعت وجدت
وصيل من لويعتها شويف

وبعد هذه الوقفة الطللية يعرض لعهد الدراسة والتحصيل، متحدثا عن مبادئ تعلم الإعراب لدى الشناقطة؛ إذ يربّون الناشئة على إحكام الفرق بين الاسم والفعل والحرف، وهو ما يسمونه «التمييز» ثم يشفعون ذلك بتعلم الإعراب وهو ما أشارت إليه الأبيات متحدثة عن بعض الوظائف الإعرابية كالحال والتوابع من عطف ونعت وغيرهما، وما يصحب ذلك من حديث عن النواسخ. والشاعر يتتبع في نصه المستويات الدراسية المختلفة للطلاب من الابتدائية إلى المراحل الجامعية التي يصبح الطلاب ذوي مستويات عليا تدعوهم إلى البحث في الدلالات والمعاني، وتصرفهم إلى الكشف عن مظاهر الخلاف بين المذاهب النحوية من بصرية وكوفية، ولا ينسى الرجل أن ينوه بجهود الطلاب في دراسة الفقه إذ يعنون بمختصر خليل مقسمين أبوابه إلى حصص يومية تعرف عندهم بـ«الأقفاف» ليتوّج ذلك كله باستعراض جانب من الحياة المحظرية مفيد، يتناول أساليب المراجعة ووسائل الإنارة والدفء القائمة يومئذ على التكرار وإيقاد الحطب والجلوس بالأرمدة لينتهي إلى أن هذه الأوضاع الصعبة كانت تزيد في شحذ القرائح واستنهاض الهمم، مرغبة الطلاب في مواصلة الدروس والصدور عن رفيع القيم يقول[٧٧]:

وفي تلك المغينات ابتدأنا
نميز للأسيم من الحريف
وذياك النحيو له نحونا
لنكشف ما عليه من سجيف
ونبحث في الحويل وما يليه
ونبحث في النعيت وفي العطيف
ونبحث ما لـ «كَانَ» و«إن» آناً
وما لـ«أرى» و«ظن» إلى الظريف
ونبحث في المبينى والمعينى
وما قال البصيري والكويفي
ونبحث هل تصح وما أحيلى
وبويب الفعيل و الصريف
نويرتنا مصيبيح لييلا
ونجلس في رميدها الدويف
ونقرأ كي نؤدي ما قرأنا
به ما في «خليل» من قفيف
وما ثنت الهميم لنا وتثني
ربيبات القريط أو الشنيف

وإثر ذلك يتحدث عن مكانة قومه العلمية والاجتماعية؛ إذ هم محك نضار المعارف، ومنتدى الأدب، وملتقى الأئمة والأعلام، ومألف الفقه، ومعدن العلوم، وعنوان العزة والإباء، حيث يفحم الخصم ويقنع المجادل، ويدفع المعاند، كل ذلك مع السعي الحثيث إلى إكرام الأضياف والإحسان إلى الضعاف، والمسارعة إلى إتحاف المحتاجين بآلاف الألوف من الدراهم ليرجعوا إلى ذويهم ممتلئي الحقائب والجيوب، يقول[٧٨]:

بمجتمع من العلما الأجلا
عن التصغير في كم وكيف
وإن نطق الجويهل في شؤين
يرد على الرغيم من الأنيف
وإن ضيف ألم بنا تراه
يعظم لا يصغر بالضييف

وفينا ذو الحويجة لا يلاقى
بما هو كالمُؤيَّةِ من أليف
ونكرمه ونشكره ونضفي
عليه يرى مليئان الكفيف

ج- استطراف التوسل والتكريمات:

وضمن هذا المحور عثرنا على نص واحد يتناول التوسل والمديح النبوي مزاوجا بينهما، وما من شك في أن هذا الموضوع يحتاج الكثير من المهارة والتمرس فالمبدع خلاله مضطر إلى أن يجمع بين ما يقتضيه المقام من التكريم والتنويه والثناء على الرسول ﷺ والابتهال إلى الله في شيء من الضراعة والخشوع، وبين ما يحتاجه الموضوع من فنيات التلاعب باللغة و القدرة على استخدام أساليب التصغير في جانبها الذي يعتمد التعظيم ويلوذ بالتحبب والتكريم، وهو ما وفق إليه الشيخ محمد يحي ولد سيد أحمد المجلسي[٧٩]؛ فقد استطاع أن يُزاوج في نصه بين غرض المديح النبوي وآليات التصغير العفوي، فاستهل نصه متضرعا إلى الخالق سبحانه وتعالى أن يصلح له أمره ويغفر له ذنوبه ويتجاوز عن سيئاته في ما مضى من عمره، وأن يبارك له في الباقي من أيامه ليحيى حياة سعيدة يتحقق فيها المراد وتقضى الحاجات وتنشرح الصدور فيعيش في رغد من العيش وهناء من الأيام فيتم الانتقال من العسر إلى السير ومن العناء إلى الرخاء ومن الثبور إلى السرور، وفي هذه اللحظة من النص تتردد ألفاظ التصغير على لسان الشيخ ترددا كثيرا يؤكد شعوره الحاد بعامل الزمن والتقدم في العمر مستحثا نفسه أن تقتدي بهدي السلف الصالح من أئمة التصوف وأرباب السلوك، منتقيا من أعلامهم أسماء مصغرة تنهض الهمم وتخدم الموضوع كأويس القرني، والإمام الجنيد، وأبي القاسم القشيري، يقول[٨٠]:

إلهِيَ السّوَيْلِفُ مِنْ عُمَيْرِي
أُثَيْمِي اغْفِرْ وَأَصْلِحْ لِي أُمَيْرِي
وَبَارِكْ فِي بُوَيْقِي الْعُمْرِ وَاغْفِرْ
حُوَيْبِي فِي الْحُضَيْرِ وَفِي السُّفَيْرِ
وَهَبْ لِي يَا مُجِيبُ بِذِي الدُّنَيَّا
حُوَيْجَائِيَ وَاشْرَحْ لِي صُدَيْرِي
عُيَيْشِي اجْعَلْهُ يَا رَبِّي رُغَيْداً
يُصَاحِبُهُ تُيَيْسِيرُ الْعُسَيْرِ
عَلَى أنِّي بِحُكْمِ اللهِ رَاضٍ
وَأَسْأَلُهُ السَّلاَمَةَ فِي دُهَيْرِي
وَمَنْ نَادَى الْوُيَيْلَ لِمَا دُهَيْرٌ
ألَمَّ بِهِ أنَادِي يَا خُيَيْرِي
فَيَالِي مِنْ كُهَيْلٍ بَلْ شُيَيْخٍ
رُكَيْبَتُهُ حَنَتْهُ مَعَ الظُّهَيْرِ
مُقَيْلَتُهُ رُكَيْبَتَهُ تُحَاكِي
مُحَاكَاةَ الظُّهَيْرِ مَعَ الصُّدَيْرِ
ضُعَيْفِي فِي اللّفَيْظِ وَفِي المُعَيْنَى
إلَى رَبِّي رَفَعْتُ بِلاَ نُكَيْرِ
عُمَيْرِي جُلُّهُ وَلَّى وَمَالِي ب
تَضْيِيعِي عُمَيْرِي مِنْ عُذَيْرِ
فَجُدْ لِي يَا مُجِيبُ بِمَاءِ تَوْبٍ
أزِيحُ بِهِ الْعُوَيْلِقَ مِنْ وُضَيْرِي
فَيَالَيْتِي قَفَوْتُ هُدَى أوَيْسٍ
وَمَا سَلَكَ الْجُنَيْدُ مَعَ الْقُشَيْرِي
وَعُدْتُ إلَى نُفَيْسِي فِي وُعَيْظِي
فَفِي ذَيَّاكَ مَا لِي مِنْ ضُيَيْرِ

وإثر ذلك يسترجع لحظات الحداثة والصبا أيام كان يعكف على دراسة باب التصغير من الألفية مستمعا إلى نصوص العقائد وأنظام البديع والبيان آخذا عن الشيوخ دروس السيرة والمغازي غير مهمل للتاريخ وأيام العرب، وقد وظف تلك المعارف في نصه مستحضرا بعض محفوظاته التراثية التي تعول على ذكر الأعلام الوارة بصيغ مصغرة، ثم يصرح في تواضع أخلاقي كبير أن السن تقدمت به، فقد آن لقلبه أن يخشع لذكر الله فيرعوي في إخبات وخضوع ليغض الطرف عن المحارم ويصد عن سبيل الحسان معرضا عن الوقوف بباليات الطلول وعافيات الرسوم، يقول[٨١]:

ذُويكرتي ذكـــــرتُ بها زُميناً
ذُكيراهُ هُويـــدمةٌ صُبَيْرِي

أكـرّرُ في أصيْحَابي دُريســاً
من «التصغيرِ» في ذاك الدُّهــيْر

«قـذيّاً» و«الـدُّريـهـم» و«الـحُبـيـرَى»
نُـراجع و«الـشّـويّـك» مـعْ «هُوير»[٨٢]

وَنقـــرأ في العقائدِ والمعاني
وعلم الفقهِ للجــمّ الغُفيرِ

ونقرأ في المغـــازِي عن حُنينٍ
وما صفوانَ أبرمَ معْ عُــميرِ

وعن أصحـــابِ طهَ عن أُسيْدٍ
طُفيلٍ والحصينِ مــع الزّبيرِ

وفي التاريــخِ نقرأُ عن كُليبٍ
دُويْـــدٍ معْ سُويْدٍ والحضيْرِ

دُريْسَـــاتُ الذي قدّمت أشهَى
لدينـــا منْ عُسيلٍ أو خُميرِ

وصـــرتُ بُعيدَ ذيّاك المُويضي
كُنيتي الحديـــثِ على عُجيرِ[٨٣]

حُويلي فيَ أنشـــدَ في وُصيفي
كبرتَ فعدّ عنْ أمّ الحُويـــرِ[٨٤]»

وينشـــدُ للكُليبي من شُعَيْرٍ
«فغضّ الطّرفَ إنّكَ من نُمــيرٍ[٨٥]»

فمثلي لا يميـــلُ إلى ظُبَيٍّ
أُرَيثِمَ قد تبَدّى في صُويـــرِ[٨٦]

مُويميقُ القُديـــدِ إذا تبدّى
تبَــدّى كالشُّميسِ وكالقُميرِ

يقابـــلُ ذا الشّيَيْبَ بما أتَتْهُ
زُيَيْنبُ إذ رأت ركــبَ النُّميري[٨٧]

ومثـلي للصِّبـــا لا تطّبيــهِ
أغاريدُ البُليـــبلِ والنّغَيْرِ

ولا دُورٌ عَفَتْ بعُريتنـــاتٍ
ودُورٌ بالعُذيـــبِ وبالغُـــوَيْرِ

ومن بعد يتخلص إلى مديح الرسول ﷺ مقتفيا سبيل سلفه من الشعراء معددا جملة من رواد المديح النبوي كحسان بن ثابت وكعب بن مالك والبوصيري مصرحا أن امتداح خير الورى يعد أنجع سبيل لقضاء الحاج وتحقق المطالب، وإسعاد النفس، فهو أعز الكنوز وأعلاها وأنفس الذخائر وأغلاها، بل هو مناط القصد ومبلغ القول ومنتهى الأمل، فلا طعم ألذّ من مديح في طروسّ، ولا عطر بعد عروسّ، ويتوّج نصه بقفل الختام مصليا على الرسول ﷺ صلاة دائمة تفوت الحصر والاستقصا، وتفوق العد والحصى، يقول[٨٨]:

فـيـالـيـتـي بـمـدحِ أجـــلّ هـادٍ
صـرفتُ مُخليصاً فيه شُعيري

فـأقـفـوا فـيـه حـسّـانـاً» و«كـعـبـاً»
و«كـعـبـاً» والمسمّى بـ«البُصيري»

وأتـــــركُ «لـلـكـمـيـت بــه سُـكـيـتـاً

ولـم يَـقـصـر شُـأيـوي عـن «زُهـيـر»[٨٩]

بــهِ لـمُـطـيْـلـبِـي يُـلـفَـى جُـلـيـبٌ

وكـــانَ نُـفـيّـعُـهُ عـنـدي جُـويـرِ

شُـعـيـري فـي مـدائـحِـه كُـنَـيْـزٌ

صـفـيّ عُـليـقِـهِ أسـنَـى دُخَـيْـرِ

ولـيـسَ بُـعـيـدَ ذَيّـا مـن بُـعَـيْـدٍ

فـلـيـسَ ورا عُـريـسٍ مـن عُـطَـيْـرِ

نُـفَـيـسِـي ذَا يـروّحُـهَـا اقـتـداءً

بـمَـا فعـل الـنُّـغـيْـرُ أبَـا عُـمـيـرٍ؟!»

صـلاة الله يـتـبـعـهـا سـلامُ

علـى الـهـادي تـفـوتُ يـد الـحـصيرِ

د. استعراض القوة والعضلات:

وفي هذ المحور يتنزل نص الشاعر محمد بن الداه العلوي[٩٠] الذي استهل بالوقوف على الأطلال عبر أسلوب بديع يؤكد أنها أثارت منه الغرام وأسالت الدموع فاندفع خاطره في نفس شعري رفيع، وبأسلوب من التصغير بديع، دارت خلاله محاورة بينه وبين عذاله فسارع إلى الرد عليهم في قوة وعنف مصرحا أن قلبه احترق بنار الحب واصطلى بلهيب العشق، وذلك بفعل تأثير محبوبته التي تبدت لناظره في مظهر جميل وشكل مثير فهي أشبه ما تكون بالغزال إذ تفتن الرجال بجمالها، وتسبي الأفئدة بمشيتها، وتسحر القلوب بتلألي جبينها.

وإثر ذلك استحضر أيامه السالفة ب«ذي خشيب» مستعرضا أمام الشعراء عضلاته الإبداعية وتمكنه الأسلوبي إذا استطاع أن ينهج في نصوصه الغزلية نهجا بديعا يكاد ينفرد به، لا يقوى عليه غير أولى القوة من الشعراء، فهو يعلو بنصوصه على المستويات الشعرية الدنيا، مجانبا المبتذل من الشعر والممجوج من الأساليب، وهو ما عبر عنه، بأسلوب طريف يلوذ بالحسانية ويعتمد التصغير (أبا سوير)[٩١] فهو بذلك الصنيع الإبداعي يعلو على المستويات الشعرية الدنيا مجانبا هذا الصنف المبتذل من الشعر مرتقيا في سماوات الإبداع والتجديد، ومسارح الإثارة والتفنن في القول مصرحا أن هذا الضرب من القريض لا يحوم حماه من الشعراء إلا المضمر للرهان أو المعدّ للمناظرة والطعان، يقول[٩٢]:

طـلـيـلات الـلـوى مـن الـقـلـيـب

أثـــرن غـريـمـي فـعـلا نـحـيـبـي

فـظـل مـحـيـجـري يـجـري دمـيـعـا

جـريـان الـمـويـه مـن الـغـريـب

فـقـام عـويـذلـي يـلـحـو صـبـيـبـا

مـحـيـريـق الـقـليـب مـن الـحـبـيـب

سـبـاه فـويـتـن يـثـنـي عـطـيـفـا

جـبـيـهـتـه تـلألأ كـالـذهـيـب

رضـيـبـه الـلـذيـذ تـخـال فـيـه

مـسـيـكـا أو عـصـيـصـيـر العنيب

مـحـيـجـيـر الـغـنـيـج رمـيـح قـد

غـصـيـصـان الـخـلـيـخـل والـقـلـيـب

مـخـيـلـيـف الـعـهـيـد تـروق مـنـه

وعـيـدات تـؤول إلـى كـذيـب

أخـــال صـويـحـيـا عـنـه أنـيـا

مـجـيـنـيـنـا يـدور بـلا لـبـيـب

رويـــدك يـا مـري رويـد حـتـى

أمـيـز مـا أردت بـذا الـعـتـيـب

فـأكـثـر مـا اسـتـطـعـت فـلـسـت أدري

مـديـحـي فـي الـعـذيـل ولا عـيـيـبـي

ولـسـت مـطـيـقـا مـا قـلـت كـلا

زفـيـرات تـصـعّـد بـالـلـهـيـب

لهيب في فؤيد ذي شويق
تغلغل في الكبيد وفي القليب
فهذا يا أسيم وما أحيلى
لييلات مررن بذي خشيب
فذياك الشعير تخذت فيه
نهيجا لا يقرب بالخبيب
أجانب في الشعير «أبا سوير»
مجانبة السويهة للذؤيب

ونجد الشيخ محمد يحيى ولد سيد أحمد المجلسي يصرح في داليته التقريظية المتقدمة بقدرته العالية على التفنن في القريض والنسج على منوال المصغرات المستصعب، مؤكدا أن هذا التوجه الإبداعي ليس حكرا على أصحاب المصغرات وأرباب التفنن في الإبداع من المتقدمين يقول[٩٣]:

في هذا الشعير أتى بعيض
من التصغير مومـوق القديد
قديد ما قديد من لبينى
حكاه ولا قديد من دعيد
ولم يك ذا الفنين له احتكار
على المصباح والعلم الحميدي

وتتنزل في هذا السياق قصيدة الشاعر أبي بكر بن محفوظ الشقروي[٩٤] التي استهلها باستفهام إنكاري يدفع عن صاحبه مرارة اللوم مؤكدا أن أميمة أثارت منه الغرام، وحلت من نفسه سويداء القلب مما جعل عيونه تفيض دموعا، وإثر ذلك يأخذ في وصف هذه الحبيبة متحدثا عن مبسمها الألمى، وصوتها الرخيم، وقدها المعتدل، وشعرها الفاحم الأثيث، ووجهها المنير منتهيا إلى أنها لو صرمت حباله فما هو بصارم لها من حبل يقول[٩٥]:

أتلحوه وليس له جريم
وقد هاجت غريمه أميم
صبيب في مقيلته صويب
سويداء القليب به فحيم
ولم يكفف دميع مقيلتيه
ولم ينفث مسيمعه اللويم
شجي قد تملكه طلي
يروق عويشقيه له جسيم
إذا لاح لم يترك عقيلا
أشينبه أليمى والنغيم
إذا يرنو إلى ذيا حليم
تنحى عنه هذياك الحليم
فويحمه الأثيث قد تدلى
فرج به قويصفه الضخيم
فراق صويرة وجلا قميرا
بشيرته يرى منها العظيم
فأودعني غريمه اللذيا
تحكم في الحشي به السقيم
ولج عويذلي وفشى عذيلي
فلم يشف الهميم ولا الغميم
عذيلك يا عويذل لي إذا ما
وصلت حبيل من أهوى ظليم
فدع عنك العذيل فليس يجدي
ومالك حيث تلحوني حريم
وليس زوجري عمن سبتني
محياي النثير ولا النظيم
وإن صرمت أميمة لي حبيلا
فما لحبيلها مني صريم

الخاتمة:

وصفوة القول إن التصغير آلية أسلوبية بديعة تكشف عن جانب من التميز والإبداع رفيع، كما تعرب في الوقت نفسه عن قدرة كبيرة على التفنن في إحكام النظم والقريض؛ فهي لنصوص الشعر ملح وإدام، ولكوامن النفس أنس وإمتاع، وتكمن روعتها التعبيرية في قدرتها على الإفصاح عن دواخل النفس وهموم البشر، فهي للصغير تحبب وإكرام، وللمعاند الخصِم تحدّ وإفحام، وللمعارف اللغوية والأدبية دربة ومران. وبذلك نعلم أن ظاهرة التصغير تعكس مختلف الحالات النفسية؛ مترجمة علامات الدعَة والرضى، وأمارات السخط والعناء.

وقد جاء هذا الجهد ليتتبع حضور هذه الظاهرة في التراث الأدبي، عاملا على إبراز معالمها مقاربة وتأصيلا، ورؤية وتصنيفا، وتطورا وتأريخا، منتهيا إلى أن الشعراء الشناقطة عوّلوا عليها في حقول أدبية متنوعة شملت الغزل والنسيب، والمدح والمديح، مستحدثة موضوعات مستطرفة ترتبط باسترجاع العهود والذكريات، وتمس استعراض القوة والعضلات، دون أن تنسى استذكار الدروس والمحاضرات.

وقد ضمت مدونة البحث ما يربو على العشرة من النصوص المصغرة ناهيك عن بعض التصغيرات التي ترد لماماً في بعض النصوص، وبذلك فإن القوم اعتمدوا هذه الظاهرة من زاويتين فتناولوها صدفة وعرضا، واعتمدوها فنا وغرضا.

وقد ركنت هذه النصوص المصغرة في جملتها إلى نغمات الوافر معتمدة إيقاعه المؤثر المعبر عما له من لطافة موسيقية هادئة يتم خلالها التلازم بين تلاحق الجرس وتلاحم النفَس على نحو يحدث تقاربا تلقائيا بين تصغير الألفاظ وتوفير الأنغام؛ مما يدفع بنصوص التصغير إلى التوجه السافر نحو نغمات هذا البحر ذي الإيقاعات الموقعة المختومة بـ«فعولن» التي توافق في وزنها العروضي «فُعَيْلٌ» قياس تصغير الاسم الثلاثي الذي يعدّ أكثر الوحدات المعجمية وروداً في الشعر والكلام لما يلوح به من يسر وسهولة، ولما يُشيع بالنص من تناغم وفحولة.

الحواشي

١. المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية جمهورية مصر العربية القاهرة ٢٠٠٨ الطبعة الرابعة.
٢. لسان العرب: ابن منظور مادة صغر
٣. معجم المصطلحات النحوية: محمد سمير نجيب الليدي، ص:٢٦
٤. المعجم الوسيط مرجع سابق ص ٥٢٥.
٥. النحو الوافي : عباس حسن دون تاريخ ٦٣٨/٤.
٦. المرجع السابق والصفحة
٧. الكتاب :سيبويه ١٠٥/٢.
٨. هذا البيت استشهد به كثير من النحاة وأهل اللغة منهم ابن منظور في مادة ملح وابن يعيش والأشموني وبن هشام في المغني، وقد ذكر محمد محي الدين عبد الحميد في تحقيق لكتاب الإنصاف في مسائل الخلاف أنه وجده ثاني ثلاثة أبيات في دمية القصر للباخرزي وقد نسبها إلى بدوي إسمه كاهل الثقفي انظر الإنصاف ١٢٧/١.
٩. الإنصاف في مسائل الخلاف: ابن الأنباري ١٢٧/١.
١٠. الرجز للعجاج انظر ديوانه (٤٢٠/١) ومغني اللبيب (٦٢٥/٢) الباب الخامس.
١١. مخطوط بحوزتنا.
١٢. شرح ابن عقيل على الألفية، دار الفكر: ١٩٩٤ (٢٩٢/٢).
١٣. تبصرة المتبدي وتذكرة المنتهي: عبد الله ابن علي الضمري دار الحديث القاهرة ٢٠٠٥ ص ٤٤٦.
١٤. ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي:٣٩٥/٢
١٥. شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٥٠٣
١٦. مختار الشعر الجاهلي: مصطفى السقا المكتبة الشعبية

الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ٣٦٨/٢.م
١٧. المرجع السابق (٣١٣/١).
١٨. اسم للمائة من الإبل، أو لما فوقها أو دونها، أو للمائتين.
١٩. أبو العباس أحمد بن محمد بن الونان الملوكي الحميري التواتي الأصل الفاسي الدار (ت ١١٨٧هـ) كان والده من ندماء سيد محمد بن عبد الله وخاصته، كان خفيف الروح لطيف الحس صاحب طرف ونوادر وفكاهات، فكناه السلطان بأبي الشمقمق فامتدت هذه الكنية إلى الولد متجاوزة الوالد إلى الابن، وهو شاعر مفلق قال عنه الجريري: «كان حسن النظم مكثارا، لا يخاف جواد لسانه عثارا، واشتهر بأرجوزته في مدح السلطان، وهي مطولة تقع في مائتين وخمس وسبعين بيتا، وتضم الكثير من فنون الأدب وأخبار العرب، وهي دالة على شاعريته وتمكنه من القريض، وله مقطعات أخرى بالإضافة إلى رسالة مسجعة كتب بها إلى الشيخ سيدي المعطي بن صالح.
٢٠. شرح الشمقمقية: عبد الله كنون، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، بدون تاريخ، ص:٢٢
٢١. انظر اللسان مادة حمي.
٢٢. مختار الشعر الجاهلي: ٢٧٠/١.
٢٣. مقابلة مع الأستاذ أحمدو بن اتاه بن حمينه.
٢٤. تبصرة المبتدين وتذكرة المنتهين، م.س، ص:٤٣٢
٢٥. هذه الأبيات للنجاشي الحارثي وهو قيس بن عمرو بن مالك شاعر مجيد. انظر طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر ١٥٠/١.
٢٦. الحديث أخرجه ابن ماجه تحت رقم:٤٠٠٤ كتاب تعبير الرؤيا، باب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾ المائدة: ١٠٥.
٢٧. انظر اللسان مادة (خ ص).
٢٨. المرجع السابق، مادة (ر ب ض).
٢٩. المرجع السابق والمادة.
٣٠. مقابلة مع الشيخ محمدن الزايد بن ألما بتاريخ: ٢٠١٠/١١/٢٥
٣١. رواه أحمد في مسنده تحت رقم: ١٧١٨٦ والترمذي في الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل وإسناده صحيح.
٣٢. انظر ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، الطبعة الثانية ١٩٦٠، (٩٦/١)
٣٣. المرجع في اللغة العربية:٥٠/٢
٣٤. يعني صهيب بن سنان النمري وليس من الروم، وإنما نسب لهم لأنهم سبوه وهو صغير، فلما شبّ هرب إلى مكة وأقام حتى جاء الإسلام فأسلم، صحب النبي ﷺ، وتشتم من الأبيات رائحة الشعوبية القذرة.
٣٥. مختار الشعر الجاهلي، تحقيق مصطفى السقا: المكتبة الشعبية-١٩٦٩م ٥٢/١.
٣٦. المرجع السابق ٣٢/١.
٣٧. لامية العرب للشنفرى، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية: ٢٠٠٦ ص: ٤٠.
٣٨. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الطبعة الخامسة، مطبعة الخانجي بالقاهرة ٢٠٠٨ ص: ٣٧٧
٣٩. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر بيروت: ١٩٦٦ ص:١٣٢
٤٠. اللسان مادة (صغر).
٤١. هذا البيت لأوس بن حجر. انظر شواهد المغني ٢٥٥، وشواهد السيوطي: ١٩٣ ، وتقريب طرة ابن بونا: ٧٢٨/٢
٤٢. كتاب الفصول في العربية، أبو محمد سعد بن المبارك بن الدهان النحوي، دار الأمل: مؤسسة الرسالة: ط١- ١٩٨٨ ص:٧٥
٤٣. كتاب الفصول في العربية، مرجع سابق، ص: ٧٥.
٤٤. انظر لسان العرب مادة (حمر)، ومن طرافة صاحب اللسان أنه نبه إلى أن لفظ «الأحمر» في لغة العرب يطلق على الأبيض والعرب تقول: امرأة حمراء أي بيضاء، وسئل ثعلب لم خص الأحمر دون الأبيض، قال: لأن العرب لا تقول رجل أبيض من بياض اللون، وإنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب، فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا: الأحمر.
٤٥. انظر شرح عمود النسب لحماد بن الأمين ٨١٦/٢.
٤٦. سورة هود، الآية: ٤٢
٤٧. سورة لقمان، الآية: ١٦-١٧
٤٨. انظر شرح الشمائل لسيد محمد بن قاسم جسوس، درا الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، دون تاريخ: ٢٨/٢

٤٩. هو حماد بن ألمين المجلسي (١١٧٠-١٢٥٦هـ) أخذ عن أبيه وعن أعمامه وخاصة أحمد البدوي، وهو عالم جليل وشيخ محظرة من أهم مؤلفاته: روض النهاة على شرح الغزوات، وشرح نظم الأنساب، ومجموعة من الأنظام في السيرة، وله مقطعات شعرية يسيرة.

٥٠. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص ٣٥٣.

٥١. مقابلة مع العلامة محمدن لزايد بن ألما، بتاريخ:٢٠/٠٥/٢٠١٠

٥٢. هو البشير بن محمد عبد الله بن محمذن فال بن امباريكي البهناوي (١٣٥٤هـ) فقيه وشاعر متميز وصوفي، أخذ عن خاله أحمد (ابن حنبل) بن البشير، وعن محمذن بن محنض بابه بن اعبيد الديماني، وعن محمذن بن أحمد ابن العاقل، وعن الشيخ سعد أبيه الذي قدمه في الطريقة القادرية، كان شيخ محظرة تخرج منها عدد من العلماء من بينهم ابنه محمد وأحمد بن احبيب، رحل إلى الحجة سنة ١٣٠٦هـ ونظم رحلته فيما يزيد على أربعمائة بيت، له مؤلفات منها: حاشية على مختصر خليل سماها: معين الضعاف على ما أشار إليه خليل من الخلاف، ونصيحة المقلد أن لا يسيء الظن بالمجتهد، وكشف الأستار عن بعض ما في القرآن من الإضمار، ومخاطبات مع الشيخ سعد أبيه، ورسالة في المعية بالإضافة إلى ديوان شعر ومجموعة من الفتاوى.

٥٣. مخطوط بحوزتنا.

٥٤. مختار الشعر الجاهلي، تحقيق مصطفى السقا، ٣٣/١ المكتبة الشعبية ١٩٦٩

٥٥. المرجع السابق: ١٤٩/١

٥٦. هذان البيتان لأعرابي وقد وردان في ترجمة عبيد الله بن عبيد الله بن طاهر، ضمن الترجمة الثامنة والخمسين بعد الثلاثمائة من تراجم وفايات الأعيان لابن خلكان، وأرد البيت الثاني منهما على النحو الآتي:

أرانـــا رَبِـيـبَـات الــخــدور ولـم نكن

نــراهـــن إلا بــاتــعــات الــنــواعــت

انظر وفيات الأعيان ١٢٢/٣ وقد ورد البيت المذكور بصيغة أخرى في نثر الدر لأبي سعيد الآبي، فقد رواه على النحو الآتي:

أرانـــا مـصـونـات الـحـجـال ولـم نكن

نــراهـــن إلا عــنــد نــعــت الــنــواعــت

٥٧. مخطوط بحوزتنا، أمدنا به الأستاذ: أحمدو بن محمدن ابن حمينه.

٥٨. مخطوط بحوزتنا.

٥٩. هو عبد العزيز بن سرايا السنبسي الطائي المعروف بصفي الدين الحلي (٦٧٧-٧٥٠هـ) شاعر عصره ولد ونشأ بالحلة بين الكوفة وبغداد، تقرب من ملوك الدولة الأنفية ومدحهم وأجزلوا له العطايا ورحل إلى القاهرة، له ديوان شعري مطبوع بالإضافة إلى رسالة في الزجل والموالي وأخرى في تصحيح الأخطاء اللغوية. (الأعلام: ١٨/٤)

٦٠. الكشكول: بهاء الدين العاملي ٣٧٨/٢-٣٧٩.

٦١. هو أبو بكر بن علي الحموي الأزراري (٧٦٧هـ-٨٣٨هـ) إمام أهل الادب في عصره، كان شاعرا جيد الإنشاء طويل النفس في النظم والنثر، حسن الأخلاق والمروءة، اتخذ عمل الحرير وعقد الأزرار صناعة له في صباه، فنسب إليها، مصنفاته كثيرة منها: «خزانة الأدب» و"ثمرات الأوراق» و"كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام. الأعلام ٦٧/٢.

٦٢. الكشكول: بهاء الدين العاملي ٣٧٨/٢-٣٧٩.

٦٣. المرجع السابق والصفحة،

٦٤. محمد بن ابنو بن احميداً الشقروي (١٣١٨-١٣٦٣هـ) شاعر مجيد وفقيه ونسّابة درس على الشيخ أحمدّ بن احميذي وعلى الشيخ محمدّ حامد بن آلاّ وعلى الشيخ يحظيه بن عبد الودود، له ديوان شعري فصيح وآخر شعبي، وله رسالة في العقيدة وأخرى في أنساب قومه، وقصيدة في منازل القمر، وقد دفن بمدينة دكانه السينغالية.

٦٥. مخطوط بحوزتنا.

٦٦. هوالمصباح بن الشيخ حبيب الله ١٣٢٨- ١٣٦٥هـ الموافق ١٩١٥- ١٩٤٧م وهو من مواليد تنكادوم بالجنوب الغربي من موريتانيا درس على الشيخ محمدن عبد الرحمن بن فتى الشقراوي اللغة والفقه وأخذ الطريقة الفاضلية ارتحل إلى الشيخ التراد بن العباس،وهو شاعر مجيد له بعض المساجلات مع بعض معاصريه وله ديوان شعري محقق.

٦٧. مخطوط بحوزتنا.

٦٨. هو المختار (التاه) بن يحظيه بن عبد الودود الجكني

(ت١٤١٥هـ- ١٩٩٤م) فقيه متمكن، وشار مُجيد، أخذ عن والده وعن ممّ بن عبد الحميد، كان ضليعا في اللغة والنحو، وهو شيخ محظرة وإمام حضرة صوفية، أخذ عنه أحمد بن محمذن فال الحسني، ومحمد الامين بن الحسن المسومي، وأحمدّ بن المرابط التندغي الأربعيني، له مؤلفات منها «طرة على إضاءة الدجنة» و«شرح سلم الطالبن في النحو لابن بونه» و«نظم أسماء الله الحسنى» بالإضافة إلى ديوان شعر محقق.

٦٩. مخطوط بحوزتنا.

٧٠. أحمدو بن اتاه بن حمينه اليدالي (مد الله في عمره) فقيه ونحوي وشاعر معاصر، أخذ عن محمد بن حمينه (باباه) وعن المختار بن المحبوبي وعن لمرابط محمد سالم ابن ألما وعن أحمدو بن محمذن فال الحسني، له نظم في فروع الحطاب يزيد على خمسة آلاف بيت، ونظم في الأصول، ونظم في الصحابيات، ونظم في سلسلة الطريقة الشاذلية، ونظم في مناقب قومه اليداليين، هذا بالإضافة إلى ديوان شعري فصيح وآخر شعبي.

٧١. مخطوط بحوزتنا.

٧٢. العويرف تصغير العارف وهي بئر معروفة من آبار قبيلة اليداليين توجد في أواسط منطقة إيكيدي وتقع على بعد ١٥٠ كلم تقريبا إلى الجنوب الشرقي من العاصمة نواكشوط.

٧٣. الجفيف موضع معروف، وبه مقبرة من مقابر اليداليين، يقع غير بعيد من «العارف» المذكور.

٧٤. الهويدج تصغير الهودج، وهو تعريب لموضع يسمى بالحسانية «آرويكن» يقع غير بعيد إلى الجنوب من العارف المتقدم ذكره.

٧٥. الوقيف: تصغير الوقف وموضع يقع إلى الشمال الغربي من العارف المذكور.

٧٦. الأحينف: تصغير الأحنف وهو تعريب للكلمة البربرية «أغبرثل» وهو عبارة عن أبطح منخفض واسع، يقع إلى الشرق من العارف المذكور، وقد ذكره محمد ولد أحمد يورة في شعره قائلا:

أجرى دموعك محض الجهل والعبث
على معاهد بين «المص» و«العبث»
وبالأحينف منها دمنة رفعت
صبر المتيم رفع الماء للحدث

٧٧. مخطوط بحوزتنا.

٧٨. المخطوط السابق.

٧٩. هو الشيخ محمد يحيى بن سيد أحمد، عالم وأستاذ معاصر، أخذ عن محمد عالي بن نعمة وعن التاه بن يحظيه بن عبد الودود وغيرهم، التحق بالتوظيف العمومي فعمل مرشدا وموجها في قسم المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، له عدة مؤلفات منها «الأزهار الشذية في الأعيان المجلسية»، و«الإشعاع المحظري»، وسموط الذهب بشرح عمود النسب، وروض الندى بشرح نظم الشهداء، والحلل المحبرة في شرح نظم أمهات العشرة ومجموعة من التحقيقات والمقالات، ولديه ديوان شعري.

٨٠. مخطوط بحوزتنا.

٨١. المخطوط السابق.

٨٢. في هذا البيت إشارة إلى تمثيل ابن مالك على أوزان التصغير الواردة في ألفيته والتي استهلها بقوله:

فعيلا اجعل الثلاثي إذا
صغرته نحو قذي في قذا

٨٣. إشارة إلى قولهم «كُنتي الحديث» وهو الذي يروي القصص الماضية قائلا: «كنت كذا، وكنت كذا».

٨٤. أشار إلى قول المختار بن حامدٌ:

كبرت فعدّ عن أم الحوير
وعن أم الرباب تبت بخير
وقل لا للذي يدعو للهو
وللناهي نعم، وأجل، وجير
فمثلك من لداعي الخير يصغي
ولا يصغي إلى الداعي لغير
فإنك إذ تروم وأنت شيخ
بنات الغير رمت بنات غير

٨٥. يقصد بـ«الكليبي» هنا جرير، والشطر الثاني من البيت مضمن من بيت الفرزدق الذي يقول فيه مخاطبا جريرا:

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

٨٦. الصوير: تصغير صوار وهو القطيع من بقر الوحش.

٨٧. أشار إلى قول الشاعر:

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت
به زينب في نسوة خفرات

دعـت نسـوة شـمّ الـعـرانـيـن بـدّنـاً
نـــواعـــمَ لا شـــعـــثـــاً ولا غـــبـــرات
فلما رأت ركـب الـنـمـيـري أعرضت
وكـــن مـــن أن يـلـقـيـنـه حـــذرات

٨٨. مخطوط بحوزتنا.

٨٩. السكيت: آخر حلبة الخيل إذا تستبق، ويسمى السكيت المؤخر.

٩٠. هـو محـمـد عـبـد الله بـن محـمـد الـمـخـتـار العلوي (١٢٣٩-١٣٧٥هـ) ويعرف عند العامة بـ«محمد بن الداه»، عالم جليل، وشاعر، نشأ في بيت علم وفضل وقضاء، اخذ عن والـده وعن محمد فال بن باب (اباه) وعن محمد الأمـين بن بدي (حميين) كان متوقّد الذكاء، ثاقب القريحة، زاوجَ بين التدريس والتأليف، من أبرز مؤلفاته: «نظم في غريب الحديث»، ومجموعة من الأنظام الفقهية، والرسائل، والفتاوى، وله ديوان شعري محقق. انظر ترجمته في نبراس أهل السنة المستضيء بضياء السنة، أطروحة دكتورا، تقديم وتحقيق د. زينب بنت الخرشي:٤٢/١.

٩١. - بوسوير: حسانية، وتطلق على الشعر المتصف بضعف البناء الأسلوبي والانكسار العروضي مع هلهلة النسج، فهو يصدق على الشعر البسيط الذي يتداول بين العامة ويقوى على نظمه كل من هب ودب.

٩٢. - مخطوط بحوزتنا أمدّنا به مشكورا الأستاذ الفاضل محمد بن بتار.

٩٣. مخطوط بحوزتنا.

٩٤. - هو أبو بكر بن محفوظ بن بدّه الشقروي، شاعر ومدرس معاصر، من موالد:١٣٥٦هـ/١٩٣٧م نشأ في بيت والده فأخذ عنه وسمع من علماء قومه مثل أحمد بن سيدي محمد، وأحمد بن محمد محمود بن فتى، ثم تنقل بين عدد من محاضر منطقته، وقد التحق بسلك التوظيف العمومي في السنوات الأولى لاستقلال الدولة الموريتانية فعمل معلما، له ديوان شعر فصيح وآخر بالعامية، وله رحلة مدونة.

٩٥. - جمع وتحقيق غرض المديح من شعر أبـي بكر بن محفوظ الشقروي، معهد ابن عباس:١٩٩٤م، ص:١٠

قائمة المصادر والمراجع

الكتب المطبوعة:

- القرآن الكريم - المصحف الشريف برواية ورش عن نافع
- الإنصاف في مسائل الخلاف إبن الأبناري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر دون تاريخ.
- تقريب طرة بن بونة أحمد بن محمد المامي مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ٢٠٠٦.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة ط ٣ ، ١٩٦٠
- ديوان المتنبي شرح عبد الرحمن البرقوقي دون تاريخ
- سنن بن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر للطباعة والنشر دون تاريخ
- شرح الشمقمية عبد الله كنون دار الكتاب اللبنانية بيروت دون تاريخ،
- شرح عمود النسب حماد بن ألمين الطبعة الأولى ٢٠٠٢ دار الفتح الشارقة - الإمارات
- شرح الشمائل لسيد محمد بن قاسم جسوس دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء دون تاريخ
- شرح بن عقيل على الألفية دار الفكر بيروت ١٩٩٤،
- كتاب الفصول في العربية ابن الدهان دار الأمل مؤسسة الرسالة ١٩٨٨م
- كتاب سيبويه: تحقيق عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٧م،
- الكشكول : بهاء الدين العاملي، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي دون تاريخ
- لسان العرب ابن منظور دار صادر دون تاريخ
- لامية العرب لشنفرة صلاح الدين الهواري المكتبة العصرية ٢٠٠٦
- مختار الشعر الجاهلي مصطفى السقا المكتبة الشعبية ط٣، ١٩٦٩
- المرجع في اللغة العربية: علي رضى دار الفكر دون تاريخ
- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية القاهرة ط ٤ دون تاريخ

ظاهرة التصغير بين الإفادة والإمتاع

- معجم المصطلحات النحوية محمد سمير نجيب اللبيدي مؤسسة الرسالة ط٣ دار الفرقان ١٩٨٨م
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: بن هشام ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ٢٠٠٥.
- النحو الوافي عباس حسن دون تاريخ
- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: أحمد بن الأمين الشنقيطي مطبعة الخانجي القاهرة ٢٠٠٨،
- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان لابن خلكان – راضي عباس دار الثقافة بيروت ١٩٧٠

الرسائل الجامعية

- جمع وتحقيق غرض المديح من شعر أبي بكر بن محفوظ، معهد بن عباس ١٩٩٤

المقابلات

- مقابلة مع العلامة أحمدو بن التاه بن حمينه
- مقابلة مع العلامة محمدن زايد بن آلما
- مقابلة مع العلامة محمد يحي بن سيد أحمد
- مقابلة مع الأستاذ أحمدو بن محمدن بن حمينه بالإضافة إلى مجموعة من المخطوطات والكنانيش.



حول
ديوان الوزير المغربيّ
(٣٧٠ - ٤١٨هـ)

د. عبد الرَّازق حويزي
جامعة الطائف، كلية الآداب

إن التَّقدم الهائل في وسائل البحث العلمي، والتَّطور الملحوظ في وسائل النَّشر ورقيًا كان أم إلكترونيًا أظهر جوانب متعدِّدة من أنماط القصور التي لا تزال كامنة في تراثنا العربيّ بعامة، مِمَّا يدعو إلى التّصريح بأنه بات في ظل تطوُّر آليَّات البحث العلميّ بحاجة ماسَّة ومكثفة إلى إعادة النّظر في مصادره لمحاولة إظهاره بالصُّورة التي استنزفت طاقات هائلة من جهود أجدادنا في وضع أسسه، وإعلاء صرحه الشَّامخ.

ولا شكَّ أنَّ الرُّجوع إلى مصادر هذا التُّراث ومعاودة النَّظر في معظمها لإكمالها وسدِّ ثغراتها ستؤدِّي إلى ظهوره بصورة يرضى عنها الجميع.

وجوانب الخلل التي لاحقت هذا التُّراث ترجعُ إلى عدَّة أسباب، يأتي في مقدِّمتها طول الحقب الزمنيَّة التي مَرَّ بها هذا التُّراث حتَّى وصل إلينا، ومنها سنوات عِجافٌ مُنيتْ فيها كثيرٌ من مصادره بالتَّدمير والحرق من قِبل ثُلَّةٍ همجيَّة لا تقدِّر الثقافة الإنسانيَّة حقَّ قدرها، ولا تدرك أثرَها في بناء الكيان الإنساني لدى الشُّعوب بأسرها. ومن الأسباب التي أوجدت بعض الأخلال في بعض جوانب هذا التُّراث ما قام به بعض النُّساخ والورَّاقين من تعمُّد تغيير معالم الحقائق ابتغاء عرض الحياة الدُّنيا الزَّائل، أضف إلى ذلك الوهم غير المقصود من بعضهم.

وتراثنا الأدبيُّ ومنه التُّراث الشِّعريُّ ليس خارجًا عن هذه القاعدة، فمن يرجع إلى كتاب «الفهرست لابن النَّديم» يقف فيه على كثير من عناوين المصادر الأدبيَّة والدَّواوين الشِّعرية خصوصًا دواوين القبائل، ثم يكتنفُه العجب من هذا العِلم الغزير والإبداع الجَمِّ للقريحة العربيّةِ في صدر الدولة الإسلاميّة، ولكنَّ هذا العجب لا يلبث إلاَّ ويتحوَّل إلى يأس عميقٍ عندما يهمّ الباحث بالتّنقيب عن هذه المصادر إذ يكتشف أنَّ الإهمال كان حليفًا لها، وأن الضَّياع كان واقفًا لها بالمرصاد.

لذا كان من الضروريِّ في ظلِّ هذه النهضة التِّقنيَّة في آلياتِ البحث العلميّ، وفي ظلّ نشر الجَمّ الغفير من المصادر التُّراثيَّة في الآونة الأخيرةِ، كان من الضَّروريّ العَودةُ إلى التُّراث العربيِّ، وتَكرارُ النَّظرِ في مصادرِه لمحاولة استكمالِها وتنقيتِها،

حتَّى يواكبَ هذا التَّراثُ النَّهضةَ العلميَّة الحديثة، ولا يصبح مجرَّد أثرٍ لحقبةٍ ولَّت بحُلوها ومرِّها، برجالها وبفكرها المناسبِ لعصرها فقط على ما يزعمُ بعض الحانقين على تراثنا العربيّ.

إن النَّتاج الثَّقافي في العلوم الإنسانيَّة لا يمكن بأي حالٍ من الأحوال أن ينصرمَ ماضيه عن حاضره، لأنه يخاطب العواطف الإنسانيَّة المركوزة في الإنسان ما عاش، ولو أُهمِل الالتفاتُ إلى هذه العلوم لغَاضَتِ النَّزعة الإنسانيَّةُ التِّي ينشدُها الإسلام، ولضاعتْ أخلاق البشر، ومن هنا يبدو أثر تراثنا في العلوم الإنسانية الذي نأخذ منه ما يواكب نهضتنا الحديثة ويعلِي بناءَها، ونلتمسُ منه العِبرةَ والعظةَ لمسَايرة أحوال شؤون حياتنا، وقد صدق أمير الشعراء «أحمد شوقي» عندما قال:

وإذا فاتكَ التفاتٌ إلى الماضي

فقد غابَ عنك وجهُ التَّأسي

ويتَّصل بالعلوم الإنسانيَّة كلُّ ما جادتْ به القريحة العربيَّةُ من أشعار على مَرِّ العصور، فهذه الأشعارُ تأخذ بالمشاعر الإنسانيَّة نحو السُّمُوِّ والتَّهذيب، وبالعواطف البشريَّة نحو الرُّقِيِّ والتَّدَفق، فيقبل الإنسان على الحياةِ بنفسٍ راضية، وضمير صافٍ.

إن ضياع شطرٍ كبير من تراثنا العربيِّ ليحزُّ في النَّفسِ من ناحية، ويدفعها نحو الإيغال في مواصلة التَّنقيب عمَّا ضاع لاكتشافِ المجهول منه من ناحيةٍ أخرى، وممَّا امتدتْ إليه يدُ الضَّياع ديوان شاعر، طبَّقت شهرتُه الآفاق في الحياة السِّياسيَّة والثقافيّة، كان وزيرًا في الدَّولة العبَّاسيَّة، وكان مؤلِّفًا مدَقِّقًا وأديبًا بارعًا وشاعرًا موهوبًا، ألَّف في عدَّة اتجاهات ثقافية، فله آثارٌ في الأنساب، وفي السِّياسة، وفي الأدب شعرًا ونثرًا، فقد وقفتُ على بعض مؤلَّفاته المطبوعة، منها: الإيناس في علم الأنساب، وأدب الخَواص، ورسالة في السِّياسَة، هذا الوزير هو - على ما ورد في ديوانه المجموع: «الحسين بن علي بن الحسين»، وكنيته هي «أبو القاسم»، عاشَ في القرنين الرَّابع والخامس الهجريَّين.

وعلى أثر ضياعِ ديوانه نهض العالم الجليلُ الدكتور «إحسان عباس» - برَّد الله ثراه - بجمعِه وتحقيقِه ونشرِه ضمن كتابه الموسوم بـ «الوزير المغربيّ، أبو القاسم الحسين بن علي العالم الشَّاعر النَّاثر الثَّائر: دراسة في سيرته وأدبه مع ما تبقَّى من آثاره»، والمنشور في دار الشُّروق للنَّشر، عمَّان، الأردن، عام ١٩٨٨م، ولم أجدْ منذ ذلك الحين اهتمامًا بهذا الدِّيوان القيِّم لهذا الأديب البارع، لذا رأيتُ إلقاءَ الضَّوءِ على الجديد الذي يُضاف إليه، لعلَّه يجد بعضَ الاهتمام بما يتَّسِق وموهبة صاحبه، والتفات العلاَّمة «إحسان عبَّاس» إليه.

ولا تعدُو هذه الصَّفحات أكثر من أن تكون إضافة إلى هذا الديوان وتنقيحًا له في ضوء ما استُجِدَّ من جديد، احتوت عليه المصادر التي نُشرت بعد نشرِه، ومن ثمّ فهي لا تُنقصُ من عمل المحقق الفاضل شيئًا، ولا تحطُّ من قدر الجهد المشكور الذي بذله في حينه، فهي إضافات فرضتها علينا جميعًا المصادرُ الجديدة التي أرفدتنا بها الجهودُ المخلصة لمحقِّقِي هذه المصادر وناشريها في الفترة الأخيرة، وهذه المصادر وتلك الإمكانيَّات في آليَّات البحث تدعونا إلى إعادة النَّظر في ما نُشِر من تراثنا العربيّ في مختلف تخصُّصاته، ومنها هذا الديوان، ومن المؤكَّد أنها لو أُتيحت لأستاذنا المحقِّق لما كان لهذه السُّطور أثرٌ يذكر هنا، خصوصًا وأنَّه هو من هو في التَّتَبُّع والاستقصاء والخبرة العريضة بنوادر المصادر، وشوارد المطبوعات، ويشهد له بهذا تحقيقه لهذا الديوان، وسائر تحقيقاته التي ملأت المكتبة التراثيّة.

فمن المصادر الجديدة التي نُشرَت بعد نشر الديوان، واشتملت على أشعار جديدة لم تَرِد فيه: «طرائف الطُّرف للبارع البغداديّ ت ٥٢٣ هـ»، و «لُمَح المُلَح للحظيريّ ت ٥٦٨ هـ»، و «تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ت٥٧١ هـ»، و «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشَّام والجزيرة لابن شدَّاد ت ٦٨٤ هـ»، و «الدُّر الفريد وبيت القصيد لابن آيدَمر ت ٧١٠ هـ».

• نصوص شعريَّة جديدة:

وقد أسفر تتبُّع مصادر شعر «الوزير المغربيّ «عن إضافاتٍ جديدة، منها: ما يخصُّ إضافة شعر جديد، ومنها: ما يخصُّ إضافة روايات وتخريجات جديدة، ومنها ما يخصُّ إثبات بعض قصائد الدِّيوان ومقطَّعاته، وما سيدرج هنا وما ضمَّه الدّيوان من شعر ليس هو – بالطبع - كلّ ما نظمه «الوزير المغربيّ»، يدلُّ على ذلك الأبيات التي ضاعت من قصيدته الطَّويلة في رثاء «الشّريف الرَّضيّ»، والتي لم تصل إلينا كاملة، فمن المؤكَّد أنه ما زالت هناك أشعار خفِيتْ عَنّي في مصادر لم أطَّلع عليها، وهي تفتقرُ من الباحثين الفضلاء إلى مواصلة السَّعي المتواصل وراء شعر هذا الشَّاعر لكي تظهرَ شاعريَّتُه بالصُّورة التي تَتَّسق وتنويه النُّقاد القدماء بها، ولا أزعم أن هذه الإضافات لم أسبق إليها فَرُبَّما يكون هناك عملٌ ضَمَّها، لم أعلم به على الرغم من كثرة البحث، لذا رأيت إثبات ما تجمَّع لديَّ بخصوص شعر هذا الأديب السِّياسِيّ، عسى إن يمَثِّلَ دعوةً للعودِة إلى ديوانه بالدُّراسة والتَّحقيق على أساس ما نُشر من مصادر بعد نشره.

وقبل إدراج النُّصوص الشِّعرية الجديدة التي عثرتُ عليها أودُّ أن أنبِّه على أمرين مهمّين، يتَّصلان بإضافة شعر جديد، من واقع بعض المصادر، الأمر الأول بخصوص رسالة «الوزير المغربيّ» التي كتبها لـ «أبي العلاء المعري» وأخيه، وهي مدرجة في كتاب الوزير المغربي ص ١٩٥ – ١٩٨ الذي يضمُّ ديوانه أيضًا، والأمر الثَّاني يتعلَّق بما ورد في كتاب «تاريخ مدينة دمشق».

وبالنِّسبة للأمر الأول أقول: لقد ضمَّ كتاب الوزير المغربيّ رسائله كما ضمَّ ديوان شعره، ومن بين رسائله الرسالة المشار إليها آنفًا، وقد اشتملت على نصوص شعريَّةٍ، لا وجود لها في أماكنها ديوانه، ربَّما لعدم إفصاح «الوزير المغربيّ» صراحة عن كون هذه النصوص هي له في حقيقة الأمر، أو هي من شعر غيره من الشعراء، قام بإدراجها في رسالته على سبيل الاستشهاد، ومن ثم آثرَ المحقق الفاضلُ الحيطة والحذر وطرح المغامرة في نسبة أشعار ربَّما لا تكون له، ورأى أن يتركَ الأمرَ للقارئ ليتَّخذ القرارَ بنفسه مكتفيًا بأن هذه المقطَّعات مذكورة بين دفَّتي الكتاب الذي ضمَّ كل ما يتعلَّق بالوزير المغربيّ.

ولوضع النِّقاط على الحروف في هذه النصوص الشِّعريةٌ أقول: لقد وجدتُ دليلاً على نسبة مقطَّعات من هذه النُّصوص للوزير المغربيّ، هذا الدّليل هو تصريح «ابن آيدَمُر» في كتابه «الدُّر الفريد وبيت القصيد» على نسبتها «للوزير المغربيِّ»، وممَّا أفصح عنه «ابن آيدَمُر»:

أ – القصيدة المذكورة في ص ١٩٨ من كتاب الوزير المغربيّ، وهي في ثمانية أبيات أورِدُها هنا برواية الدُّر الفريد ٢٢٥/١ لإمكانيَّة تثبيت تخريجها، ورصد روايات بعض ألفاظها، وهي: [من الخفيف]

١- أتعَاطَى نـزْحَ الـرَّكـيِّ وقـدْ قصـْ ـــــصَرَ عَـن أنْ يَـنَـالَ مـاءً رشَـاءُ

٢- ولَـعَـهـدي بـفـكـرَتـي وهـي تَنْجَا بُ لـهـا عَـنْ صَـبَـاحِـهـا الظَّلـمَـاءُ

حول ديوان الوزير المغربيّ (٣٧٠ - ٤١٨هـ)

٣- غيرَ أنّي وإن تَعَاوَرَني الهمْ
ـمُ وَشَاءَ الزَّمَانُ مَا لا أشَاءُ

٣- ورَمَانِي مُستَيْقِنًا أنَّ قلبًا
بيـنَ جَنْبَيَّ صَخْرَةٌ صماءُ

٥- لا أبالي ما الليلُ طالَ أم اليَو
مُ كلا الرُّتْبَتَينِ عِندي سَوَاءُ

٦- المغَادي هو المُراوحُ من هَمْ
ـمي فَهَذا الصَّباحُ ذاك المسَاءُ

٧- وإذا العَينُ لم تعاينْ سوى
السُّوء فسيان ظلمةٌ أو ضيَاءُ

٨- وابنيَ الهَمُّ - لا ابنُه أنا - إذ قيـ
ـلَ: ابنُ هَمٍّ بليَّةٌ عَمْيَاءُ

الرِّواية (١) ورد البيت الأوَّل في الدُّر الفريد ٥/٢٠٤، وأعيان الشيعة برواية: «نزح البكاء».

(٥) وورد البيت الخامس في الدُّر الفريد ٥/٢٠٤، وأعيان الشيعة، وأدب الخواص برواية: «لا أبالي باليوم طال أم الليل»، وورد في أدب الخواص برواية: «كلا الدائرتين»، وورد في ديوان الوزير المغربي برواية: «بالليل».

(٦) وورد البيت السَّادس في الدُّر الفريد ٢/٢٤١، ٥/٢٠٤، وأعيان الشيعة، وأدب الخواص برواية: «من هم فهذا»، وورد في ديوان الوزير المغربي برواية: «والمغادي».

(٧) وورد البيت السابع في أعيان الشيعة برواية: «أو ضياء».

(٨) وورد البيت الثامن في ديوان الوزير المغربي برواية: «إذ كل».

الشَّرْحُ: «الرّكيّةُ: بئرٌ تُحْفَرُ، فإذا قلت: الرَّكِيّ فقد جَمَعْت». العين ٥/٤٠٢.

الرشاء: «الحَبْلُ... الذي يُتَوَصَّلُ به إلى الماءُ». تاج العروس ٣٨/١٥٤.

والدليل على أن هذه القصيدة من شعر «الوزير المغربيّ «على الرغم من عدم تصريحه في رسالته بأنّها له أن «ابن آيدمر «نسبها إليه في الدُّر الفريد ١/٢٢٥، ٥/٢٠٤، ونسب البيت السَّادس في ٢/٢٤١، ونُسبت الأبيات كلها إليه في أعيان الشيعة ٦/١١٦، ومقدمة كتاب أدب الخواص ص ٤٢، وفيه تخريج على المصدر الأخير، وهما من مصادر كتاب «الوزير المغربي»، وعجز البيت الأخير تضمين من ديوان الحارث بن حِلِّزَة ص ٦٧، والبيت بتمامه فيه:

أَتَلَهّى بها الهَواجِرَ إذ كُـ
ـلُّ ابنِ هَمٍّ بَلِيَّةٌ عَمياءُ

ب - ومنها النتفة الواردة في ص ١٩٧، وأولها: [من المتقارب]

بأيِّ فُؤَادٍ أقاسي الهُمُوم
وفي أيِّ جَفْنٍ أُحسُّ الرُّقَادَا

وقد أكد نسبتها للوزير المغربي «ابن أيدمر «في كتابه الدُّر الفريد ٣/٦٣.

ج - ومنها المقطعة المذكورة في ص ١٩٦، وهي في ستة أبيات، أولها: [من الطَّوِيل]

وإنِّي لجَاني البُعْدَ والبُعْدُ قَاتلي
وشاحذُ حَدِّ البَينِ والبَينُ لي مُرْدِي

وقد عزز نسبتها إليه «ابن آيدمر «في الدُّر الفريد ٥/٢٥٩ بإيراده أربعة أبيات من نهايتها منسوبة للوزير المغربي، كما نسب البيت الرابع منها إليه في ٤/٢٤٨، وأورد البيت السابق برواية: «أحسُّ الهُمُوم... ألذُّ الرُّقَادَا».

د - ومنها النتفة الواردة في ١٩٥، وهي في

مقالات

بيتين، أولهما: [من الطَّويل]

بقيةُ شِلْوٍ كَسَّرَ البَيْنُ عظمَهُ

وَمَزَّقَ جِلْدًا كان يَسْتُرُ مَا بَقِي

وقد عزز «ابن آيدمر «في الدُّر الفريد ٧٦/٣، نسبتهما «للوزير المغربي». و «الشِّلو: الجسد والجلدُ من كلِّ شيءٍ والشِّلو: العضو». العين (شلو) ٢٨٤/٦. وقال «أبو حاتم: تسمَّى الرِّيشات العشر اللَّواتي في مقدم الجناح القداميات، واحدتها قدامى، والقوادم واحدتها قادمة، وما بعدها من الرّيش الخوافي واحدتها خافية». المخصَّص ١٣٠/٨.

وبناء على ما تقدَّم أرى أن تُوضع هذه أبيات هذه النُّتف والمقطَّعات في نسقها أيضًا في الدّيوان حتى تكون أمام دارس شعره، ويكون لديه يقين بأنَّها له، وأرجِّح نسبة بقيَّة النُّصوص الشِّعريَّة الواردة في هذه الرِّسالة في ص ١٨٥ – ١٨٩ «للوزير المغربيّ»، لأنَّها لم تُنسب لشاعر آخر غيره في ما بحثت، ويفضَّل إدراجها في أماكنها هي الأخرى في ديوانه، وهي تُمثِّل ثمانيَ نُتف ومقطَّعات في عشرين بيتًا.

أما الأمر الثَّاني والمتعلِّق بكتاب «تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر» فقد وقفتُ فيه على اضطراب ظاهر، وتداخلٍ ملحوظ في التَّرجمة لوالد «الوزير المغربيّ»، حيث خلط «ابن عساكر» في التَّرجمة بين الولد وأبيه، فنَسَبَ لأبيه بعض ما هو خاص بابنه، ونسب للأب بعض شعر ابنه، وبعض شعر غيره من الشُّعراء، على الرَّغم من عزوه هذه الأشعار «لأبي القاسم المغربيّ»! لذا كان التَّريُّث أمام هذه الأشعار الواردة في التَّرجمة للتَّأكد من نسبة المقطَّعات الشعرية الواردة في ثناياها، إذ ضمَّت هذه التَّرجمة سبعَ مقطَّعات، آخرها منصوصٌ على نسبتها لشاعر آخر، أما بقيَّةُ المقطَّعات فهذا بيان بها:

- الأولى متدافعة، وقد وردت في بيتين، وهما في التَّذكرة الحمدُونيَّة ١٢٣/٨ منسوبان لأبي الحسن بن المنقذ، ووردت بلا نسبة في أربعة أبيات في معجم الأدباء ص ٤١٢، والنتفة بلا نسبة في التَّذكرة السّعدية ١٣٤، وأثبتها محقّق ديوان الوزير المغربيّ ٢٣٩ في تذييله على الديوان، وقال: لعلَّه تمثَّل بها.
- والثَّانية لأبي العلاء المعَرِّيّ في ديوانه (شروح سقط الزند) ضمن القصيدة التَّاسعة والخمسين، ص ١٢٢٨، ١٢٥٨.
- والثَّالثة تم إدراجهما ضمن النُّصوص التَّالية لنسبتها لأبي القاسم.
- والرَّابعة والخامسة «للوزير المغربيّ «في ديوانه، الأولى منهما فيه برقم (٧٩)، ص ١٤٧، والثَّانية برقم (٤٩)، ص ١٣٥، ونصَّ المحقِّق على تدافعها مع «ابن المعتز».
- والسَّادسة لابن رشيق القيروانيّ في ديوانه ص ١٦٧/٢ (ضمن الجزء الثَّاني من بحوث وتحقيقات العلامّة عبد العزيز الميمنيّ).

أما الأدلَّة على اضطراب «ابن عساكر «في ترجمته «للوزير المغربيّ»، وخلطِه بينه وبين أبيه، ممَّا مثل دافعًا قويًّا لي لأخذ ما لم تتدافع نسبتُه من شعر في التَّرجمة وعزوه للابن، مُستندًا على عدَّة أدلَّة، هي:

١- خلط «ابن عساكر» في الكنية، حيث خلع كُنية الابن، وهي (أبو القاسم) على أبيه في بداية التَّرجمة لأبيه ٤٢٢/٤١، ثم ناقض نفسَه في التَّرجمة نفسها ٤٢٤/٤١، وأثبت كنية أبيه الصحيحة، وهي: «أبو الحسن»، كما أثبتَها في ترجمتِه للابن في ١٠٥/١٤.

٢- اضطرابه في تحديد وفاة الأب، حيث قال في ٤٢٤/٤١: «وجدتُ بخط أبي الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون: الوزير أبو القاسم علي بن

حول ديوان الوزير المغربيّ (٣٧٠ - ٤١٨هـ)

الحسين المغربيّ بميافارقين الأحد الحادي عشر من شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة، يعني مات، وبلغني من وجه آخر: الملقَّب بالحاكم أمر بقتل علي ومحمد ابني الحسين بن المغربيّ، وكان ذلك بعد التّسعين والثلاثمائة، فالله أعلم».

والحقيقة التي أجمعتْ عليها مَصادر التُّراث العربيّ تتمثَّل في أنَّ الذي تُوُفِّيَ عام (٤١٨هـ) هو «أبو القاسم» الابن، أما أبوه فقد تُوُفِّيَ في (نيّف وتسعين وثلاثمائة) على ما ذكر «ابن عساكر «نفسُه في النَّص السَّابق، وعلى ما ورد في تاريخ الإسلام ٨٣٠/٨ (حيث ذكر أنه تُوُفِّي قبل عام ٤٠٠هـ)، وأنَّ الذي مات مقتولاً هو الوالد وليس الابن. يُنظر في ذلك مقدِّمة كتاب أدب الخواص ص ٩.

٣- لم يركِّز أحدٌ من المؤرِّخين على شاعريّة أبيه كتركيز «ابن عساكر» الذي انفرد بنسبة مقطَّعات لم ترد في أي كتاب آخر منسوبة إليه، والأكثر من ذلك أنَّ «ابن عساكر نسبها» لـ«أبي القاسم».

٤- تدافع أكثر الأشعار التي أوردها «ابن عساكر» في ثنايا ترجمته للأب، وهذا يدلُّ على أنه كتَبَ هذه الترجمةَ دون تَأَكُّد من معلوماته، ودون توفُّر المصادر الموثوق بها لديه.

٥- ورود بعض النُّتف ممَّا أورده «ابن عساكر» في ترجمة الأب في ديوان «الوزير المغربي»، وقد سبقت الإشارة إلى هذا.

٦- إفصاح مؤلِّف كتاب «أعيان الشيعة «عن الاضطراب في ترجمة «الوزير المغربيّ»، وذلك في هامش هذا الكتاب ١١٦/٦، حيث قال: «في الجزء ٦٤/٤١ الطبعة الثانية ترجمة للوزير المغربيّ، ذكر فيها خطأ باسم: علي بن الحسين، تضمنت زيادات مهمة، تُراجع، وتُضم هنا».

ففي هذا النَّص تصريح بالخلل الحادث في التّرجمة، بيد أنه لم يذكر الكتاب الواقع فيه الخلل، وقد ذكر الجزء ٤١، ولا يخفى علينا أن مناط الخلل في كتاب «تاريخ مدينة دمشق «كان في الجزء ٤١.

ومن هنا أتى طرح الأشعار المتدافعة في ترجمة والد «الوزير المغربيّ»، والإمساك على المقطعة المشار إليها آنفًا خصوصًا وأنّ «ابن عساكر» نسبها «لأبي القاسم»، وليس «لأبي الحسن»، إذ قدّم لها بقوله: «وأنشدنا أبو الحسن بن الأنقوي لأبي القاسم».

وها هي ذي الأشعار التي استطعْتُ العثورَ عليها، أدرجتُها هنا منسوقة وفق ترتيب قوافيها على حروف الهجاء من الألف إلى الياء، وأتبعتُ كُلَّ مقطّعة برصد مصادر تخريجها، وبعض فروق روايات ألفاظ أبياتها، وشرح لبعض ألفاظها الغريبة:

(١)

قال الوزير المغربيّ في مطلع قصيدة في رثاء «الشريف الرضي»: [من الكامل]

رُزْءٌ أغـارَ بـه الـنَّـعـيُّ وَأَنْـجَـدَا

ومـآتـمٌ راشَـتْ أقـاديـحَ الـرَّدَى

الشرح: راشت: «ورَاشَ السَّهْمَ يَرِيشُه رَيْشاً، بالفَتْح: أَلْزَقَ عَلَيْهِ الرِّيشَ، ورَكَّبَه عَلَيْه». تاج العروس ٢٣٠/١٧.

أقاديحَ: «القِدْحُ، بالكسر: السَّهْمُ قَبْلَ أَنْ يُرَاشَ ويُنْصَلَ. وقال أبو حنيفة: القِدْح: العُودُ إِذا بَلَغَ فَشُذِّب عنه الغُصْنُ وقُطِع على مِقدارِ النَّبْلِ الذي يُراد من الطُّول والقِصَر. وقال الأزهريّ: القِدْح قِدْحُ السَّهْم. و ج قِدَاحٌ، بالكسر. و قِدْحُ المَيْسر، والجمع أَقْدُحٌ وأَقْدَاحٌ وأَقَادِيحُ، الأخيرة جمْعُ الجمْعِ». تاج العروس ٣٨/٧.

التخريج: دمية القصر ٩٧/١، والوافي بالوفيات ٣٧٩/٢، ويوضع في بداية المقطعة رقم (٢٧)، ص ١٢٥ في الديوان، فقد وردت المقطَّعة في دمية القصر كاملةً، وصدره في الديوان.

(٢)

وقال: [من الخفيف]

١- في فُنُونِ الأقْوالِ هَزْلاً وجِدًّا
وارتجَالاً للخُطْبَةِ الغَرَّاء

٢- كيفَ لي لَو قد احتضرْتُ عُكاظيـ
ـيًا وَغبَّرْتُ أوْجُهَ البُلَغَاء ؟

التخريج: المقفَّى الكبير ٣/٥٥٥، وقد دلَّني على مصدرها هذا محقِّق الدّيوان، إذ أشار إلى أن للوزير المغربيّ ترجمة فيه، وذلك في هامش تحقيقه لكتاب معجم الأدباء ص ١٠٩٤، ولأن تحقيقه لمعجم الأدباء صدر بعد صدور كتابه عن الوزير المغربيّ رأيت الرُّجوع إلى كتاب المقفّى الكبير فوجدت فيه ترجمةً موسّعة للوزير المغربيّ، وفيها أشعارٌ كثيرةٌ وردت في الدّيوان، تفيد في تكثيف التّخريج والتّحقيق وتثبيت الرّوايات.

(٣)

وقال: [من السريع]

١- أفْتَنَني الحَاجبُ بالحَاجبِ
والمُقْلَةِ الكَحْلاء والشَّاربِ

٢- والطرَّة السَّوداء قَد صُفِّفَتْ
كأنَّها من قَلَمِ الكاتِبِ

٣- مرَّ عَلى مُهْرٍ له أصْفَرٍ
يختَالُ مثلَ الذَّهَبِ الذَّائبِ

٤- سَكْرانَ إن مَال به سَرْجُهُ
من جَانبٍ عَادَ إلى جَانبِ

٥- فقلتُ لما أن بَدا مُقْبلاً :
يا ليتَني راكبُ ذا الرَّاكِبِ

التخريج: طرائف الطرف ٦١.

(٤)

وقال في مدح «حلب»: [من الكامل]

١- أمّا إلى حَلَبٍ فَقَلْبيَ نازِحٌ
أبَدًا وَماءُ عَلاقَتي مُتَصَوِّبُ

٢- بَلَدٌ عَرفْتُ به العَذُول مُكَمَّمًا
عَنِّي وَشَيْطانَ الغَوايَة يَحْلِبُ

٣- أيّامَ أرْكَبُ مِنْ شَبابي جامحًا
فَيَمُرُّ بي فيما يَشاءُ وَيَذْهَبُ

٤- هَيْهاتَ لا تلْكَ اللَّيالي عُوَّدٌ
أبَدًا وَلا ذاكَ الزَمانُ مُعَقِّبُ

٥- لَهْفي عَلَيْه وَإنْ تَمَطَّقَ عاذِلٌ
فيه وَأفْصَحَ عَنْهُ حَيْسٌ مُهْذَبُ

الشرح: «العَلاقَة : الحُبُّ اللازِم للقَلْب». تاج العروس ٢٦/١٩٠.

تمطق: «التَّمطُّقُ بالشَّفَتَين: أَنْ يَضُمَّ إِحْداهُما بالأُخْرَى مع صَوْتٍ يكونُ مِنْهما». تاج العروس ٢٦/٣٩٨.

الحيس: يقال: «رجلٌ مَحْيُوسٌ: وَلَدَتْه الإماءُ من قِبَلِ أبيه وأمِّه، وقال ابنُ سِيدَه: هو الذي أَحْدَقَتْ به الإماءُ من كلِّ جهةٍ، يُشَبَّهُ بالحيْسِ، وهو يُخلَطُ خَلْطاً شديداً، وقيل: إذا كانت أمُّه وجدَّتُه أَمَتَيْن». تاج العروس ١٥/٥٧٠.

التخريج: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ١/٣٨٧.

(٥)

وقال: [من السريع]

١- تَطْرُقُ أهْلَ الفَضْلِ دُونَ الوَرَى
مَصائبُ الدُّنيا وَآفاتُها

٢- كالطَّيرِ لا تُحْبَسُ مِن بَينِها
إلاَّ التـــــي تَطربُ أصواتُها

الرواية: (١) ورد البيت الأول في الغرر والعرر برواية: «يطري لأهل الفضل»، وورد في وفيات الأعيان برواية: «يقصد أهل الفضل».

(٢) وورد البيت الثاني في الغرر والعرر، ووفيات الأعيان برواية: «لا يحبس».

التخريج: الدُّر الفريد ٣/١٤٣ ، وهما بلا نسبة في وفيات الأعيان ١/١٥٤، الغرر والعرر ١٥٨.

(٦)

وقال: [من البسيط]

١- خَلَّفتُ قَلبي بمصر عندَ خائنَة
على الذُّنوب فَمَا ظني على البعدِ

٢- أما الهواءُ فأحمَى من لَظَى نفسي
والماءُ أغيضُ من صَبري ومن جَلَدِي

٣- حُرًّا (جفاني)، لقد (أثَّرَ) في جَسَدي
ولا كتَأثيرِ حَرّ النَّارِ في كَبدِي

٤- (ويلي) ! قُطعتُ، فلو (قوْتي غدا) بيدي
ما سرتُ إلا اختيارًا (غيرَ) مُضَّطهدٍ بتنى

التخريج: تاريخ مدينة دمشق ٤١/٤٢٣، ووردت المقطعة فيه مضطربة، وغير واضحة المعنى، فقد ورد البيت الثالث فيه هكذا: «حرًّا كجفا لقد أثرت في جسدي»، وورد البيت الرابع هكذا: «وبلي... موتي بدا بيدي.... أغير»، ولا يزال الغموض يسيطر على المقطعة.

(٧)

وقال: [من الكامل]

١- ما كانَ يُعْرفُ عند غيرِكُم
قبلَ السُّؤالِ يُقَدَّمُ الرِّفْدُ !

٢- أَسَمِعْتُمُ بالغَيث جاءَ ولم
يُؤْذَن بِهِ بَرْقٌ ولا رَعْدُ ؟

التخريج: الدُّر الفريد ٥/٧١.

(٨)

وقال: [من الطويل]

١- قطعتُ من الدَّهر التَّجاريبَ مُدَّةً
وقبلَ أشُدِّي قد بلغتُ أشُدَّهُ

٢- فَكُنتُ كَنَصْلِ السَّيفِ يجرحُ غمدَهُ
عليه فلا يَنْفَكُّ يجرحُ غمدَهُ

التخريج: لمح الملح ١/٤٥٩، والبيت الأول في الديوان برواية: «أخذت من... جملة... ما بلغت»، ويوضع البيت الثاني في نهاية القصيدة رقم (٢٦)، ص ١٢٥ من الديوان.

(٩)

وقال: [من الطويل]

وما أم خشف خلفَّتْهُ وَبَكَّرتْ الشرح
لتُكسِبَه طُعْمًا وَعَادَتْ إلى العُشّ

الخشف: قال «ابنُ دُرَيْد: وَلَدُ الظَّبْي أوَّلَ ما يُولَدُ، وقال الأصمعِيُّ: أَوَّلُ ما يُولَدُ الظَّبْيُ طَلاً، ثم خِشْفٌ، وقال غيرُه: هو الظَّبْيُ بعدَ أن كان جِدَايَةً، أَو هو خِشْفٌ أَوَّلَ مَشْيِهِ». تاج العروس ٢٣/٢٠٩ - ٢١٠.

التخريج: تاريخ الإسلام ٩/٢٩٥، ويوضع في أول المقطعة رقم (٦٢)، ص ١٤٠، حيث وردت المقطعة كلها في هذا المصدر منسوبة إليه.

(١٠)

وقال: [من الكامل]

١- حسدَ النَّهارُ وِصالَنا فتبادَرتْ
نَحوي ونحوَك خيلُه بالرَّكضِ

٢- هتفَ المؤذّنُ بالأذانِ مُبادرًا

في جُنحِ ليلٍ قبلَ وَقتِ الفَرْضِ

٣- قامتْ على عَجَلٍ لتلبَسَ خُفَّها

وتكادُ تقطعُ كَفَّها بالعَضِّ

٤- وتقولُ: يا سُؤلي ويا كُلَّ المنَى

هَجَمَ الصَّباحُ بوجْهِهِ المبيضِ

٥- واللهِ لو مُلِّكتُ يومًا دولةً

أو كنتُ سلطانًا شديدَ القبضِ

التخريج: طرائف الطرف ٦١، وقال محققه في ص ١٣٤: «آخر المقطعة بيت لم نستسغ إثباته لمخالفته الشرع الحنيف. والمقطعة ليست في مجموع شعر الوزير المغربيّ صنعة إحسان عباس».

(١١)

وقال: [من المتقارب]

١- إذا عُوفيَ المرءُ في جِسْمِه

ومَلَّكَهُ اللهُ قَلْبًا قَنُوعا

٢- وأَلقَى المَطامِعَ عَن نَفْسِه

فَذاكَ الغَنيُّ وَلَو ماتَ جُوعا

الرواية: (١) ورد البيت الأول في الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، وشذرات الذهب برواية: «إذا المرء».

(٢) وورد البيت الثاني فيهما برواية: «وإن مات».

التخريج : الدُّر الفريد ٢/١١، وأنشدها متمثلا بها إسماعيل بن عبد الله الصالحي في الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ١/١٦٣، وشذرات الذهب ١٠/٦.

(١٢)

وقال: [من البسيط]

١- يَهُزُّني إن رَنَتْ نَفْسي مَلامَهُمُ

حَتَّى تَراني رَحيبًا بالأذَى باعي

٢- فَسَوفَ أَنْهَضُ إمَّا نَالَ ذُو أَرَبٍ

مِنِّي مُناهُ وإمَّا قَامَ بي نَاعِ

التخريج: الدُّر الفريد ٥/٢٩٧، والبيت الثاني فيه ٤/١٩٢، وعجز البيت الأول منهما في الديوان ضمن المقطعة رقم (٦٧)، ص ١٤٣ برواية: «حتى يراني رحبًا بالندى باعي»، والمقطعة كلها في الدُّر الفريد ٥/٢٩٧ في أربعة أبيات.

(١٣)

وقال: [من الخفيف]

١- هلْ لما فاتَ من شَبابي رُجوعُ

أم هو البَينُ منْه والتَّوْديعُ ؟

٢- قد لَبِسناه بُرْهَةً ونَزَعْنَا

هُ وبالرّغم كان ذاك النّزوعُ !

٣- رَبعَ أحبابنا سُقيتَ من المُزْ

نِ كَمَا قَدْ سَقَتْكَ منّا الدُّمُوعُ

التخريج: الوافي بالوفيات ٨/١٥٠، وفيه: «قال: أنشدنا أبو الفرج القاضي الرقي، قدم علينا، لنفسه، وأنشدناها الوزير أبو القاسم المغربيّ لنفسه ولا أدري من الصادق منهما (وذكر الأبيات ثم عقب بقوله). قلت: إذا دار الأمر بينهما فالوزير أقرب إلى الصدق».

(١٤)

وقال في مدح حلب: [من الكامل]

١- مِلْ بي إلى حَلَبٍ أُعَلِّلْ ناظري

فِيها غَداةَ تَحُثُّ بِي الأَشْواقُ

٢- بَلَدٌ أَرَقْتُ بِهِ مِياهَ شَبِيبَتي
حَيْثُ النَجِيعُ إذا أَرَدتُ مُراقُ

الشرح: «النَّجيعُ منَ الدَّم: ما كانَ إلى السَّوادِ، أو هُوَ الدَّمُ مُطْلَقًا». تاج العروس ٢٢/٢٣٣.

التخريج: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ١/ ٣٨٨.

(١٥)

وقال: [من الطويل]

١- قبورٌ ببغدادَ وطُوسٍ وطَيْبَةٍ
وفي سُر مَرًّا والغَريِّ وكَرْبلا

٢- إذا مَا أتَاهَا عَارِفٌ بحُقُوقِهَا
تَرَحَّلَ عَنْهَا بالَّذي كانَ أَمَّلا

الشرح: سر مرا، ورد في معجم البلدان في رسم مدينة سامراء ٣/١٧٣: «وبها السرداب المعروف في جامعها الذي تزعم الشيعة أن مَهدِيَّهم يخرج منه، وقد يُنسبون إليها بالسر مرَى».

التخريج: تاريخ الإسلام ٩/٢٩٦.

(١٦)

وقال: [من البسيط]

١- حتَّى إذا مَا أرادَ اللهُ يُسعدُني
رأيتُهُ فرأيتُ النَّاسَ في رَجُلِ

٢- ولستُ من سُخْطِهِ المردي على خَطرٍ
ما دُمْتُ من عَفْوِه المُحْيي على أَمَلِ

٣- إذا سَطا بَادرتْ هامُ مَصارِعِها
كأنَّما تَتَلَقَّى الأرضَ بالقُبَلِ

التخريج: ورد البيت الأول يتيمًا في الديوان برقم (٨٨) ص ١٥١، وقد وقفت عليه مع البيتين المثبتين إثره هنا في مقطعة منسوبة لابن المغربيّ في البديع لأسامة ٢٢١.

(١٧)

وقال: [من المتقارب]

٨- لقد نصَّ في نَصْبِهِ أَوَّلاً
بدعوتِهِ مِن قُريش الفَصيله

٩- ونصَّ أخيرًا بخمٍ عليه
وما زالَ حَتَّى أفَاضَ رَحيله

الشرح: نصبه: ورد في نهاية الأرب ٦/٤ (ط. دار الكتب العلمية)، ما يقرب معناها، إذ ورد في هذا المصدر: «إذا أراد أهل الاجتهاد نَصْبَ إمام حين لا إمامَ لهم، فأولُ شرائطه أن يكون من قريش. والثانية أن يكون عالماً بأحكام الدين...».

خم: اسم موضع غدير... بئر كلاب بن مرة... الغدير الذي هو بين مكة والمدينة بالجحفة... وقال الحازمي: خم واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير عنده خطب رسول الله ﷺ». معجم البلدان ٢/ ٣٨٩.

التخريج: الطليعة من شعراء الشيعة ٢٧٦، وقد وردت القصيدة فيه في تسع أبيات، لم يذكر منها في الديوان سوى سبعة أبيات تحت رقم (٨١)، ص ١٤٨، لذا يضاف هذان البيتان إليها.

(١٨)

وقال: [من الوافر]

١- ليهن نُوَيقَتي شَوقي وَوجدي
حَزِينٌ فَارقَ الإلفَ الحَزِينَا

٢- إذا خضعتْ أذنتُ لها مَلِيًّا
فقلتُ: رجعها قلبي فُنُونا

٣- ولو وَخَدَتْ بصَاحِي القَلْبِ سال
لجاذبها الأزِمَّة والبُرِينَا

الشرح: «الوَخْدُ للبَعيرِ: الإِسراعُ، أَو هو أَنْ يَرمِيَ بِقَوَائِمِه كمَشْيِ النَّعَام، أَو هو سَعَةُ الخَطْوِ في المَشْيِ». تاج العروس ٢٧٧/٩.

الأزمة: «الزِّمَامُ : الذي تُقادُ به النَّاقة... الزِّمَامُ والحَبْل، فَهُمَا شيءٌ واحدٌ... «وقد يُسمَّى المِقْوَد: زِمامًا، ج: أَزِمَّة ». تاج العروس ٢٠١/١١، ٣٢٨/٣٢.

«البُرين: جمع بُرَة، وهي الحلقة في حِتار أنف البعير إذا كانت من فضّة أو صُفْر». جمهرة اللغة ص ٩٥٧.

التخريج: مثير الغرام الساكن ١٤٦/١ - ١٤٧ (تحقيق: مرزوق إبراهيم)، والبيت الأول فيه هكذا: «حزين يعذر»، ص ١١٣ (تحقيق: مصطفى الذهبي) وحرفت فيه كلمة «المغربيّ» إلى «المغزي»، وورد البيت الأول فيه هكذا: «لمن نويقتي» والبيت الثاني فيه هكذا: «فقلت سجعها»، وكذا ورد في الطبعتين، والبيت الثالث فيه (ط. مصطفى الذهبي) هكذا: «ولو وجدت».

(١٩)

وقال: [من الطويل]

١- فيا دَمْعُ قُلْ لي كيفَ حَالك غُدْوَةً
إذا بَانَ جِيرانٌ وَخَفَّ قَطِينُ

٢- وقد وَعَدُونا بالإيَابِ ومَا دَرَوْا
بأنَّ النَّوَى مِثل الحَدِيثِ شُجُونُ

الشرح: القطين: «هم المُقيمونَ بالمَوْضِعِ لا يَكادُونَ يَبْرَحُونَه». تاج العروس ٥/٣٦.

يكفكف: «وتَكَفْكَفَ دَمْعُه: ارْتَدَّ. وكَفْكَفَه هُوَ: مَسَحه مَرَّةً بعدَ أُخْرَى ليَرُدَّه». تاج العروس ٣٢٨/٢٤.

التَّخريج: المقفَّى الكبير ٥٥٦/٣، وهو مصدر أرشدني إلى الرُّجوع إليه محقق الدّيوان يرحمه الله تعالى.

(٢٠)

وقال: [من الكامل]

وعلى الفَتَى أن لا يُكَفْكِفَ شَأْوَهُ
عِنْدَ الحِفَاظِ ولا يُغَضّ عِيَانُهُ

التَّخريج: طبقات الشَّافعيّة الكبرى ١٥٢/٩، ويوضع هذا البيت ثالثًا في المقطعة رقم (٩٨)، ص ١٥٥ من الديوان، والمقطعة كلها في طبقات الشافعية، وعجز البيت الأول هناك برواية: «فأطاع لي أصحابه ولسانه».

(٢١)

وقال: [من السريع]

جاريةٌ أعينها جَنَّةٌ
وجَنَّةٌ أعينُها جَاريه

التخريج: لم يرد هذا البيت في الديوان، وورد في حدائق الأنوار ٦٧ مع البيت الثاني من النتفة رقم (١١٣)، ص ١٦١ منسوبًا لأبي القاسم المعري، وهو تحريف عن المغربيّ على ما ورد في فهرس الأعلام في نهاية هذا الكتاب، والبيتان بلا نسبة في المستطرف ١١٤/٣، ومن ثم يوضع هذا البيت ثالثًا في المقطعة المشار إلى رقمها هنا.

(١)

ونسب إليه وإلى غيره: [من الكامل]

١- وكأنَّما الشَّمسُ المنيرةُ إذْ بَدَتْ
والبَدْرُ يَجْنحُ للغروبِ وَمَا غَرَبْ

٢- متحاربان: لذا مِجَنٌّ صَاغَهُ
من فضّة ولذا مِجَنٌّ مِن ذَهبْ

الرواية: (١) ورد البيت الأول في غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، ونهاية الأرب برواية: «فكأنما... للمغيب ويغرب»، وورد في معجم الأدباء هكذا: «فكأنما... إذا».

(٢) وورد البيت الثاني في غرائب التنبيهات برواية: «متحاربان مجن ذا قد صاغه ولذا مجن مُذْهَب»، وورد في نسمة السّحر في ذكر من تشيَّع وشعر هكذا: «متجاريان لذي»، ولم أثبتها في النص لتحريفها.

الشرح: «المِجَنُّ بكسْرِ المِيمِ: التُّرْسُ». تاج العروس ١٤٩/٣٦.

التخريج: نسمة السّحر في ذكر من تشيَّع وشعر ٣٨٦ أ، وللطغرائي في غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ٢٤، وفي هامشه تخريج على ديوانه، وهي له أيضًا في نهاية الأرب ٤٨/١، وهي للحسين بن محمد أبو الفرج، المعروف بالمستور النحوي في معجم الأدباء ص ١١٥١.

(٢)

ونسب إليه وإلى غيره: [من البسيط]

١- والله ما طلعَتْ شمسٌ ولا غربَتْ
إلاَّ وأنتَ مُنى قلبي ووَسْواسي

٢- ولا تنفستُ محزونًا ولا فَرِحًا
إلاَّ وذكرُكَ مقرونٌ بأنفاسي

٣- ولا هممتُ بشربِ الماءِ من ظمأ
إلاَّ رأيتُ خيالًا منك في الكاسِ

٤- ولا جلستُ إلى قومٍ أُحدّثهُمْ
إلاَّ وأنتَ حديثي بين جُلاَّسي

الرواية: (١) ورد البيت الأول في ديوان الحلاج برواية: «إلا وحبك مقرون بأنفاسي»، وورد في حماسة الظرفاء برواية: «يا صاح ما طلعت».

(٢) وورد البيت الثاني في ديوان الحلاج برواية:

وَلا ذَكَرتُكَ مَحزوناً وَلا فَرِحًا
إِلاَّ وَأَنتَ بِقَلبي بَينَ وِسواسي

وورد في حماسة الظرفاء برواية: «ولا شفيت محزونًا».

(٣) وورد البيت الثالث في ديوان الحلاج، وحماسة الظرفاء، والمدهش برواية: «من عطش».

التخريج: الأبيات ما عدا الثاني له في السّحر والشعر ١٢٢ (ط. دار الفضيلة)، وغيره، وهي له في ص ٧٠ (ط. فيرير) وحرف اسم الشاعر فيه إلى أبي القاسم العزفي، والأبيات الأربعة بلا نسبة في حماسة الظرفاء ٢٣/٢، وهي ما عدا الثاني في المدهش ٢٢٢، وزهر الأكم ٢٠٠/٣ ما عدا البيت الثاني مع اختلاف الرواية، وهي للحلاج في ديوانه ٩١ ضمن ما نسب إليه وإلى غيره.

(٣)

ونسب إليه وإلى غيره: [من الطويل]

١- وأكثرُ مَن تَلقَى يَسُرُّك قولُهُ
ولكنْ قليلٌ من يَسُرُّك فِعْلُهُ

٢- وقد كانَ حسنُ الظنِّ بعضَ مَذاهِبي
فأدَّبني هذا الزمانُ وأهَلُهُ

٣- وما كلُّ إفضالٍ وإن جَلَّ قدْرُه
يخفُّ على ظهرِ المروءة حملُهُ

التخريج: له في الدُّر الفريد ٣٣٠/٥، والبيتان ١، ٢ للببَّغاء في ديوانه برقم (١١٤) ص ٧٥، وهما لصالح بن عبد القدوس في ديوانه ص ١٥٢، وثمَّة مصادر أخرى ذكرتُها في مجلة العرب ص ١٣٢، ج١، ٢، ١٤٢٦هـ.

(٤)

ونسب إليه وإلى غيره: [من الوافر]

١- رأيتُ الحُسْنَ في أدبٍ وعقْلٍ
وفي الجَهْلِ الدَّمَامَةُ والهَوَانُ

٢- وما حُسنُ الرجالِ لهم بزينٍ
إذا لم يُسْعِدِ الحُسنَ البيَانُ

٣- كفَى بالمرءِ عيبًا أن تراه
له جِسْمٌ وليسَ له لسَانُ

٤- كمثلِ النَّقشِ ليسَ له حَسيسٌ
إذا صَوَّرته ولـه عيَانُ

الرواية: (١) ورد البيت الأول في عيون الأخبار، والغرر والعرر برواية: «له وجه»، وورد في المجالسة وجواهر العلم برواية: «له عقل... زمان».

(٢) وورد البيت الثَّاني فيه برواية: «الحسن البيان»، وورد في معجم الأدباء برواية: «الحسن اللسان».

التَّخريج: الدُّر الفريد ٣/٢٩٨، والبيتان ٢، ٣ بلا نسبةٍ في عيون الأخبار ٢/١٦٩.

وبلا نسبة في المجالسة وجواهر العلم ٦/٣٤٠، في ثلاثة أبيات، ورواها المؤلِّف عن ابن قتيبة المتقدّم زَمَنيًّا عن الوزير المغربيّ، والأبيات الثّلاثة نفسها مكرَّرة في الكتاب ذاته لبعض الشعراء في موضع آخر ٨/١١٥، وفي الموضع الأول منه بعض مصادر تخريج الأبيات، والبيت الثَّاني لشبيب بن شيبة في معجم الأدباء ص ٢١، ومعه البيت التّالي:

وكم من ماجدٍ أضحى عديمًا
له حُسْنٌ وليس له بيانُ

وهذا البيت هو ثالث الأبيات المرويّة في كتاب المجالسة، وفي هامش معجم الأدباء تخريج للبيتين على بعض المصادر الأخرى.

(٥)

ونسب إليه وإلى غيره: [من المتقارب]

١- إذا أَظمَأتكَ أَكُفُّ الرِّجَالِ
كَفَتْكَ القَناعَةُ شبعًا وَريّا

٢- فَكُن رَجُلًا رِجلُهُ في الثرى
وَهامَةُ هِمَّتِهِ في الثُّريّا

٣- أَبيًّا لِنائِلِ ذي ثَروَةٍ
تَراهُ لِما في يَدَيهِ أَبيّا

٤- فَإنَّ إراقَةَ ماءَ الحَيا
ةِ دونَ إراقَةِ ماءِ المُحَيّا

الرواية: (١) ورد البيت الأول في ديوان ابن الحاج البلفيقيّ برواية: «أكف اللئام».

التخريج: الأبيات له ولأبي الحسن النعيميّ في الدُّر الفريد ١/١- ٢٧٤، ولعليّ بن أبي طالب في ديوانه ١٥٣، ولابن الحاج البلفيقيّ في ديوانه ٨١ - ٨٢، وذكر محقِّقُه في الهامش مصادر تخريجها ونسبتها لأبي الحسن النعيميّ وغيره من الشعراء.

المتدافع من شعر الديوان:

وهناك بعض المقطعات متدافعة في المصادر، ولكنَّها غير متدافعة في الدّيوان، فباتت فيه وكأنَّها خالصةُ النسبة للوزير المغربيّ، ومن الممكن أن تُعتمد - إن لم يُنَبَّه عليها - في دراسة شعر الشَّاعر دون قصدٍ، وتُؤَسَّس عليها نتائجُ تخص حياة الوزير المغربيّ وشعره، وستكون هذه النتائج حينئذ مضطربة وغير دقيقة، لذا رأيت الإشارة إلى هذه الأشعار مع تخريجها وإثبات بعض روايات ألفاظها في المصادر التي ذَكَرَتْها.

• المقطعة رقم (٦)، ص ١١٥، وهي: [من الوافر]

١- وطنبورٍ مليحِ الشكلِ يَحْكي
بنغمتهِ الفصيحةِ عَنْدَلِيبَا

٢- رَوَى لمَّا ذوى نَغمًا فصاحًا
حَوَاهَا في تَقَلُّبِهِ قَضِيبَا

٣- كذا مَن عَاشَرَ العُلَمَاءَ طِفْلاً
يَكُونُ إذَا نَشَا شَيْخًا أديبَا

الرواية: (١) ورد البيت الأول في التذكرة الفخرية برواية: «وطنبور رشيق القد»، وورد في نفحة الريحانة برواية: «الصليبة عندليبًا».

(٢) وورد البيت الثاني في التذكرة الفخرية برواية: «حكى لما انتهى نغمًا فصحا × رواها عن عنادله»، وورد في مرآة الجنان برواية: «لما روى»، وورد في نفحة الريحانة برواية: «درى نغمًا فصيحًا».

(٣) وورد البيت الثالث في التذكرة الفخرية، ووفيات الأعيان برواية: «من جالس... إذا انتهى».

التعقيب: خُرِّجت للوزير المغربيّ على طراز المجالس، وهي أيضًا له في نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة ٧٧/٤، وهي ليست خالصة النسبة للوزير المغربيّ، فهي لأبي سعيد المؤَيّد بن محمد الأندلسيّ في مرآة الجنان ٢٤٠/٣، وهي لبعض الشعراء في وفَيات الأعيان ٣٤٧/٥، وبلا نسبة في التَّذْكرة الفخريَّة ٢٢٧، وفي هذا المصدر أنشدها ابن الخبَّاز النَّحوي.

• النتفة رقم (٢٣)، ص ١٢٢، وهي: [من الخفيف]

١- حَلَقُوا شَعْرَهُ لِيَكْسُوه قُبحًا
غيرةً منهم عليه وَشُحَّا

٢- كَان صُبْحًا عليه لَيلٌ بهيمٌ
فَمَحوا لَيلَهُ وَأَبْقَوه صُبْحَا

التعقيب: خُرِّجت هذه النتفة على عدد من المصادر، يضاف إليها نسمة السّحر في ذكر من تشيَّع وشعر ٣٧٥، والكنى والألقاب ٢٥٨/١، وقد وقفت عليها في بعض المصادر مختلفة في رواية بعض ألفاظها منسوبة لشاعر آخر غير الوزير المغربيّ، فهي لأبي عبد الله بن مناو المالقيّ في جذوة المقتبس ٣٩٨، قالها في غلام جميل حلقوا رأسه، وهي له في العمدة ٩٩٥، ينظر هامش العمدة للوقوف على مصادر تخريجها.

• المقطعة رقم (٣٠) ص ١٢٦، وهي:

[من الطويل]

١- أطعتُ العُلَى في هَجْرِ لَيلَى وإنَّني
لأضمرُ فيهَا مثلَ ما يُضْمِرُ الزّنْدُ

٢- صَريمةُ عَزمٍ لم يكنْ مِن رِجَالِها
سواي من العُشَّاقِ قبلُ ولا بعدُ

٣- رَأَيتُ فِراقَ النَّفْسِ أَهونَ ضَيرةً
عليَّ من الفعلِ الذي يكرهُ المجدُ

الرواية: (١) ورد البيت الأول في الوافي بالوفيات برواية: «الزُّبْد».

(٢) وورد البيت الثاني فيه برواية: «قريبة عهد لم».

(٣) وورد البيت الثالث فيه برواية: «أهون لوعة».

التعقيب: خُرِّجت على أدب الخواص، بيد أنها وردت في مصدرين آخرين منسوبة لشاعر آخر، هو: حبشي بن محمد بن حبشي، فهي له في خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق) مج٤/ ج١/ ص ٣٨٧، وقد أنشدها للعماد الأصفهاني على أنها له، وهي له أيضًا في الوافي بالوفيات ٢٨٦/١١.

• القصيدة رقم (٣١)، ص ١٢٦ – ١٢٧،

وهي: [من مجزوء الكامل]

١-مَرضٌ بقلبك لا يُعادُ
وَقتيلُ حُبٍّ ما يقادُ

٢- يا آخرَ العُشّاقِ ما
أبصرتَ أوّلَها يُقادُ

٣- يقضِي المتيَّمُ منهمُ
نحبًا ولو رُدُّوا لَعادُوا

٤- ملكوا النُّفوسَ فَهَل لها
من بعْدِها ما يُستَعادُ

٥- ما خلتُ غِزْلانَ اللِّوَى
كَظِبَاءِ مَكَّةَ لا تُصَادُ

٦- بالعَذْلِ يُوقَدُ لَوْعَتي
وبقَدْحِهِ يُورى الزِّنَادُ

٧- لم يستطعْ إطْفَاءَهَا
دمعٌ كما انخَرقَ المَزَادُ

٨- لا أشكونْ جرحي فللغُنَّ
الِ ألسِنَةٌ حِدَادُ

٩- طمِعٌ وأنتَ برامَةٍ
في مَن تَضمَّنَه النِّجَادُ

١٠- والحيُّ قد هَبَطَتْ خيَا
مُهُمُ وقَعْقَعَتِ العِمَادُ

١١- والوَرْدُ من زَهرِ الخُدُو
دِ كِمامُهُ الكِلَلُ الوِرادُ

١٢- لو يَسْمَعون بوَقْعِه
أتتِ المطَايَا والجِيَادُ

١٣- ولأجلها غَبَطَ الغبيـ
ـطَ حِجَابُ قَلْبي والسَّوادُ

١٤- تعفُو المنَازلُ إن نَأوا
عَنْهَا وتَغبُرُ البِلادُ

١٥- والحيُّ أولَى بالبِلى
شوقًا إذا بَلِيَ الجَمَادُ

١٦- أوَ ما رأت قلبي قريـ
ـشٌ وهو للجلَّى عِمَادُ

١٧- وله المعَاني والمبَا
ني والكَلامُ المُسْتَفَادُ

١٨- فَكَأنَّه قَسٌّ وها
شمُ حول مَنْطِقِه إيادُ

١٩- يا مُصْعَبًا جَرَّته في
أرسَانِها اللِّمَمُ الجِوَادُ

٢٠- ولمن رُضَابُ النَّحْلِ يش
ـهد أنَّ ريقتَه شِهَادُ

٢١- قد كانَ قبلَك في سبيـ
ـلِ الحُبِّ لي أبدًا جِهَادُ

٢٢- حتَّى عفا ذاك الغرا
م وَغَايَةُ النَّارِ الرَّمَادُ

٢٣- فإذا رأيت الكون فاعـ
ـلَمْ أن سَيُتْبِعُهُ فَسَادُ

٢٤- واعجب لقوم في الزَّما
ن على السَّفَاهَة كيفَ سَادُوا

٢٥- لا عندهم كلهم يعـ
ـزّ ولا نُضَارٌ يُسْتَفَادُ

٢٦- أستغفرُ اللَّهَ العَليـ
ـيَ لَقد تَذَأَّبَتِ النِّقَادُ

حول ديوان الوزير المغربيّ (٣٧٠ - ٤١٨هـ)

الرواية: أثبت هنا اختلاف رواية بعض الألفاظ التي وردت في ديوان صر در:

(١) رواية البيت الأول في ديوان صر در برواية: «ما يعاد... لا يقاد».

(٢) ورواية الثاني فيه هي: «أولهم يزاد».

(٤) ورواية الرابع فيه هي: «ما يستزاد».

(٧) ورواية السابع فيه هي: «لا تنكروا جرحي».

(١١) ورواية الحادي عشر فيه هي: «لو يسمحون بوقفة × أبت».

(١٥) ورواية الخامس عشر فيه هي: «أو ما رأيت فتى... عتاد».

(١٦) ورواية السادس عشر فيه هي: «المعاني المستدقة».

(١٨) ورواية الثامن عشر فيه هي: «اللمم الجعاد».

(١٩) ورواية التاسع عشر فيه هي: «ولمىً».

(٢١) ورواية الحادي والعشرين فيه هي: «حتى خبا ذاك الضرام».

(٢٢) ورواية الثاني والعشرين فيه هي: «وإذا... الفساد».

(٢٤) ورواية الرابع والعشرين فيه هي: «لا عندهم كَلِمٌ تغرُّ».

الشرح: ورد في هامش ديوان صر در شرح للكلمات الصعبة في القصيدة، أنقله هنا في النص التالي: «لا يقاد: لا يدفع قوده، وهو الدية... المزاد: وعاء يوضع فيه الزاد، النجاد: حمالة السيف، الكمام: جمع كم، وهو ما يغطي الزهر من الورق الأخضر، كلل: جمع كلة وهي الستر الرقيق، الوراد: الحمر كالورد... الغبيط: الرحل يشد عليه الهودج، (قس، وهاشم): يشير الشاعر إلى قس بن ساعدة الإيادي، وهو من أفصح العرب، يشير إلى بني هاشم بن عبد مناف القرشي، جد أسرة الممدوح، المصعب: الفحل لا يركب لكرامته، أرسان: جمع رسن، وهو الحبل تقاد به الدابة، لمم: جمع لمة، وهو الشعر المجاور شحمة الأذن، جعاد: جمع جعد، وهو الشعر الذي فيه التواء وتقبض... شهاد: جمع شهد، وهو عسل النحل، تذأبت: صارت كالذئاب، النقاد: صغار الغنم».

التعقيب: خرجت هذه القصيدة للوزير المغربيّ على نكت الوزراء، وفي الهامش ما نصه: «هي في سبعة وثلاثين بيتًا، ولكنني لم أستطع قراءة أبيات كثيرة منها». قلت: القصيدة لصر در في ديوانه ص ١٥٨ – ١٦١ في ٤٥ بيتًا، كتب بها إلى الشريف أبي جعفر بن البياضي يداعبه.

- النتفة رقم (٣٩)، ص ١٣٠، وهي:
- [من الطويل]

١- كفَى حزَنًا أنّي مقيمٌ ببلدة
يُعلّلُني بعدَ الأحبّةِ دَاهِرُ

٢- يُحَدِّثُني مِمّا يُجمّعُ عقلُه
أحاديثَ منها مستقيمٌ وجَائِرُ

التعقيب: خرجت على بعض المصادر التي نسبتها إليه، وهي له أيضًا في الوافي بالوفيات ٣٣٤/٣، ولكنها في ديوان أسامة بن منقذ ص ١٢٣ ضمن مقطعة في أربعة أبيات.

- النتفة رقم (٤٠)، ص ١٣٠، وهي: [من الكامل]

١- من بعدِ مُلْكي رُمتمُ أن تغدرُوا
ما بعد فرقةِ بائعينِ تخيُّرُ

٢- ردُّوا الفؤادَ كما عهدتمْ للحَشَا
ولطرفيَ السَّاهِي الكَرَى ثم اهجرُوا

٣- وزَعِمْتُمُ أنَّ اللَّيَالِي غَيَّرَتْ

عهدَ الهَوَى لا كانَ من يَتَغَيَّرُ

الرواية: (١) ورد البيت الأول في يتيمة الدهر برواية: «بيعين تخير»، وورد في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان برواية: «رمتم أن تهجروا... تخيروا».

(٢) وورد البيت الثاني في يتيمة الدهر، وعقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان، ومعاهد التنصيص برواية: «ردوا الهدو كما عهدت إلى الحشا × والمقلتين إلى الكرى».

التعقيب: هي لأبي الفتح البكتمري في يتيمة الدهر ١/١٢١، ومعاهد التنصيص ٤/١١٩، للقاضي عبد الوهاب المالكي ديوانه ص ٦٨، والأول والثاني للوزير المغربيّ في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٠٧.

- النتفة رقم (٤٣)، ص ١٣١، وهي:

[من الطويل]

أَقولُ لَها وَالعيسُ تُحدَجُ للسُّرَى

أَعدّي لِفَقدي ما استَطَعتِ من الصَبرِ

سَأَنفقُ رَيْعَانَ الشَبيبَةِ آنِفًا

عَلى طَلَبِ العَلياءِ أَو طَلَبِ الأَجْرِ

أَليسَ من الخُسْرانِ أن لَياليًا

تمرُّ بلا نَفْعٍ وتُحسَبُ من عُمْرِي

الرواية: (١) ورد البيت الأول في ديوان أبي الحسن التهامي برواية: «تخدع... أعدى لبيني»، وورد في فوات الوفيات برواية: «فقلت»، وورد في مرآة الجنان برواية: «تخدع»، وورد في تاريخ الإسلام برواية: «للسُّرى».

(٢) وورد البيت الثاني في مرآة الجنان برواية: «واثقًا»، وورد في مخطوط نسمة السّحر في ذكر من تشيَّع وشعر برواية: «الشبيبة جاهدًا».

التعقيب: جاء في تخريجها أنها متدافعة، حيث نسبت لعبد الوهاب المالكي في الذخيرة، قلت: هي له في ديوانه ص ٧٤، وهي لرافع بن حسن بن حماد في فوات الوفيات ٢/٢٠، وهي للوزير المغربيّ في تاريخ الإسلام ٩/٢٩٦، ومرآة الجنان ٣/٤٢٦، مخطوط نسمة السّحر في ذكر من تشيَّع وشعر ٣٧٥ ب، والطليعة من شعراء الشيعة ٢٧٦، والنتفة لأبي الحسن التهامي (ت ٤١٦هـ) في ديوانه ضمن قصيدة طويلة تقع في ٥٠ بيتًا ص ٣٦٥ – ٣٦٦، مطلعها:

هيَ البَدرُ لِكن تستر مَدى الدَهرِ

وَكل سِرار البَدر يَومانِ في الشَهرِ

البيتان ١، ٣ للعباس بن الأحنف في الأشباه والنظائر ١/١٦٠، وهما في ديوانه ١٣٦، وورودهما في كتاب الأشباه والنظائر للخالديين يضائل من نسبتهما للوزير المغربيّ، لأن الخالديين متقدمان زمنًا عليه، فأبو عثمان سعيد الخالدي متوفى عام (٣٧١هـ)، وأخوه أبو بكر محمد متوفى عام (٣٨٠هـ)، ومعروف أن الوزير المغربيّ مولود عام (٣٧٠ هـ)، والبيتان ٢، ٣ للوزير المهلبي في الدُّر الفريد ٣/٣٤٤، وينظر بحثي الموسوم بـ" نصوص شعرية جديدة مستخرجة من مخطوط الدُّر الفريد».

- المقطعة رقم (٤٧)، ص ١٣٤، وهي:

[من البسيط]

١- أستارُ بَيتكَ أمنُ الخَوْف منْكَ وَقَدْ

عُلّقْتُها مُسْتَجيرًا منْكَ يا بَارِي

٢- ومَا أَظُنُّكَ لمَّا أنْ عَلقتُ بهَا

خَوفًا من النَّارِ تُدنيني من النَّارِ

٣- وها أنا جَارُ بيتٍ أَنْتَ قُلْتَ لَنَا:
حُجُّوا إليه وقدْ أوْصَيْتَ بالجَارِ

الرواية: ورد البيت الأول في الأمالي الخميسية برواية: «ستور بيتك ظل الأمن منك.... أيها الباري»، وورد البيت الأول في مختصر تاريخ دمشق برواية: «ستور بيتك ذيل الأمن منك وقد».

(٣) وورد البيت الثالث في الأمالي الخميسية برواية: «فها أنا... وصيت». وورد البيت الثالث في مختصر تاريخ دمشق برواية: «قلت أنت».

التعقيب: نسبت للمعري الشاعر في الأمالي الخميسية ١٤٧/١، وقدم لهما بقوله: «وكتب إلي بخطه قال أنشدني أبو عبد الله الحسين بن محمد البغدادي ، قال حججت مع المعري الشاعر وشاهدته واقفًا عند المستجار متعلقًا بأستار الكعبة يقول»، وأنشد المقطعة. كما نسبت لأبي الحسن الدويدة في مختصر تاريخ دمشق ٢٣٤/٢٨، فهل أنشدها كل من هذين الشاعرين على سبيل التمثل؟ ربَّما.

• النتفة رقم (٥٣)، ص ١٣٧، وهي: [من السريع]

١- قَلْبي أسِيرٌ في يَدَيْ مُقْلَةٍ
ضَيِّقةٍ ضَاقَ لَهَا صَبْري

٢- كأنَّهَا في ضِيقِها عُرْوَةٌ
ليسَ لها زرٌّ سِوى السّحر

الرواية: ورد البيت الأول في يتيمة الدهر، ومعجم الأدباء، وفوات الوفيات، والوافي بالوفيات برواية: «تركيَّة... صدري».

(٢) وورد البيت الثاني في المصادر السابقة برواية: «من ضِيقِها».

التعقيب: خرجت على ربيع الأبرار فقط، وهي فيه لأبي الحسن المغربيّ، ومعروف أن الوزير المغربيّ كنيته هي أبو القاسم، وليس أبا الحسن، ولعل هذا يرجح نسبة النتفة لأحمد بن محمد الإفريقي المتيم على ما نسبت إليه في يتيمة الدهر ١٥٨/٤، ومعجم الأدباء ص ٤٨٦، وفوات الوفيات ١٥١/١، والوافي بالوفيات ١٥٧/٨.

• النتفة رقم (٧٨)، ص ١٤٧، وهي: [من الكامل]

١- أَوْحَى لِوَجْنَتِهِ العِذَارَ فَمَا
أَبْقَى على وَرَعِي و لا نُسْكِي

٢- فكأنَّ نَمْلاً قد دَبَبْنَ بِهِ
غُمِسَتْ أكارِعُهُنَّ في مَسْكِ

الشرح: «عِذَارُ الرَّجُلِ: شَعَرُه الثَّابِتُ في مَوْضِعِ العِذَارِ... العِذَارَانِ: جانِبَا اللِّحْيَةِ». تاج العروس ٥٤٧/١٢.

الأكارع: جمع كراع، والكراع من الإنسان مادون الركبة إلى الكعب، ومن الدواب ما دون الكعب». تاج العروس ١١٧/٢٢.

و «المَسكُ بالفَتْحِ: الجِلْدُ عامَّةً ». تاج العروس ٣٣١/٢٧.

التعقيب: خرجت هذه النتفة في ديوان الزير المغربيّ على مصدر واحد، هو سلك الدُّرر، وهو مصدر متأخر عن المصادر الأخرى التي روتها لابن هندو، هي كثيرة، ذكرتها في تحقيقي لديوانه برقم (٨٤)، ص ٢١١ - ٢١٢، ورصدت روايات ألفاظها، ورجحت هناك نسبة النتفة إليه

• المقطعة رقم (٨٢)، ص ١٤٩، وهي: [من الكامل]

١- يا ابنَ الّذي بِلِسانه وبَيانه
هُدِيَ الأنامُ ونُزِّلَ التَنْزيلُ

٢- عن فضْلِه نَطَقَ الكتاب وبَشَّرَتْ
بقُدُومِه التّوْرَاةُ والإنْجِيلُ

٣- لولا انْقِطاعُ الوَحْي بعدَ محمّدٍ
قُلْنا محَمّدٌ من أبيه بَديلُ

٤- هوَ مِثْلُه في الفضْل إلاّ أنّه
لم يأتِه برِسالَةٍ جِبْريلُ

التعقيب: هي لأبي العلاء المعري في ديوانه شروح سقط الزند ٢/ ٨٦٨ - ٨٧٣ متناثرة في قصيدة، مطلعها:

لَيْتَ التّحَمُّلَ عن ذَرَاك حُلولُ
والسّيرَ عن حَلَبٍ إليكَ رَحِيلُ

- المقطعة رقم (٨٣)، ص ١٤٩، وهي:
[من الكامل]

١- بعدوا فلا مستخبرٌ عن حَالهم
غيري ولا مُسْتخبرٌ مسؤولُ

٢- لم يبقَ غير الذلِ من أَسْبَابهم
فأحبُّ من يدنو إليَّ عذولُ

٣- الليلُ عندي والنَّهارُ كَأدْهَمٍ
لا غُرَّةٌ فيه ولا تحجيلُ

الرواية: ورد البيت الثاني في هامش العمدة برواية: «يغدو».

التعقيب: ورد البيتان ١، ٢ منها في العمدة ٧٥٢ منسوبين لأبي العلاء المعري، وينظر هامشه.

- البيت المدرج تحت رقم (٩٢)، ص ١٥٣، وهو: [من الطويل]

ويَعدِلُ في شَرْقِ البلادِ وغَربِها
على أنّهُ للسَّيفِ والمَالِ ظَالمُ

التعقيب: تم تخريجه على تحرير التحبير، وهو ومعه بيت آخر لابن المغربيّ في البديع لأسامة بن منقذ: ١٢٢، (ط. القاهرة)، وهو لابن هانئ الأندلسي في ديوانه ٣٨٣ (ط. دار الغرب)، وص ٧٢٣ (تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ) من قصيدة في (٦٥) بيتًا، مطلعها:

تَظلّمَ منّا الحبُّ والحُبُّ ظالمُ
فَهَلْ بينَ ظلاّمَينِ قَاضٍ وَحَاكمُ

وعجزه فيه برواية: «على أنّهُ للبِيضِ والسُّمْرِ ظالم».

- المقطعة رقم (١٠١)، ص ١٥٦، وهي:
[من مجزوء الكامل]

١- إنـــي أبثُّكَ من حَديـ
ـثي والحديثُ لَهُ شُجُونُ

٢- فَارَقْتُ مَوْضعَ مَرْقَدي
ليلاً فَفَارَقَني السُّكُونُ

٣- قُلْ لي فَأَوَّلُ لَيْلَةٍ
في القَبرِ كَيفَ تُرَى أكُونُ

الرواية: (١) ورد البيت الأول في الفوائد والأخبار برواية: «ذو شجون»، وورد في نسمة السّحر في ذكر من تشيَّع وشعر برواية: «عن حديثي».

(٢) وورد البيت الثاني في المصدر نفسه برواية: «غيرت مسكني يومًا»، وورد في ربيع الأبرار برواية: «غيرت موضع»، وورد في نسمة السّحر برواية: «غيرت موضع»، وورد في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان برواية:

غيرت موضع مرقدي
ليلا فنافرني السكون

(٣) وورد عجز البيت الثالث في ربيع الأبرار

برواية: «في حفرتي أنى تكون»، وورد في نسمة السّحر برواية: «كيف ترى تكون».

التعقيب: خرجت على عدد من المصادر نسبتها للوزير المغربيّ، وهناك مصادر أخرى نسبتها إليه، منها: عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٠٦، ونسمة السّحر في ذكر من تشيَّع وشعر ٣٧٥ ب، بيد أن هناك ما يشكك في نسبتها إليه، حيث وردت في الأخبار الملحقة بكتاب الفوائد والأخبار لابن دريد ص ٣٨، ومعروف أن ابن دريد توفي عام (٣٢٨هـ)، أي قبل مولد الوزير المغربيّ ، وورد البيتان ٢، ٣ منها بلا نسبة في ربيع الأبرار ٥/٢٩١.

• المقطعة رقم (١٠٢)، ص ١٥٧، وهي: [من الوافر]

١- أنِسْتُ بوَحْدَتي حَتَّى لو انِّي ... رأيتُ الإنسَ لاستوحشتُ مِنهُ

٢- ولم تَدَعِ التَّجَاربُ لي صَدِيقًا ... أميلُ إليه إلا مِلْتُ عَنهُ

٣- وما ظَفِرَتْ يَدي بصَدِيقِ صِدْقٍ ... أَخَافُ عليه إلا خِفْتُ مِنْهُ

الرواية: (١) ورد البيت الثاني في الوافي بالوفيات ١٣/٣٢٨ برواية: «وما ترك التجارب لي حبيبًا»، والبيت ملفق مع تاليه فيه.

(٢) وورد البيت الثاني الأمالي الخميسية برواية: «أميل عليه».

التعقيب: في هذه المقطعة تدافع كبير، فهي للحسين بن أحمد بن المغلس في الأمالي الخميسية ٢/١٥٨، وهي للخضر بن محمد بن علي في الوافي بالوفيات ١٣/٣٢٨، والأولان منها في الوافي بالوفيات ٢/٧٥ لأبي نصر المصري، محمد بن أحمد أبو نصر المضري، وهما لعبد المحسن الصوري في ديوانه ٢/٧٨، وهي لبعض شيوخ لسان الدين بن الخطيب في نفح الطيب ٥/٢٠٣ ، وهي بلا نسبة في الغرر والعرر ٤٥٢.

• النتفة رقم (١٠٣)، ص ١٥٧، وهي: [من البسيط]

لو كنتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكرِ مَنْزِلَةً ... أعْلَى مِن الشُّكرِ عند الله في الثَّمَنِ

إذًا مَنَحْتُكما مِنّي مُهَذَّبَةً ... حذوًا على حَذْوِ مَا وَاليتُ من حَسَنِ

الرواية: (١) ورد البيت الأول في الأغاني، ونهاية الأرب، برواية: «أوفى من الشكر».

(٢) ورد البيت الثاني في الأغاني ، ونهاية الأرب هكذا:

أخلصتُها لَكَ مِن قَلْبي مُهَذَّبَةً ... حذوًا على مِثل مَا أوليت مِن حَسَنِ

وورد في بهجة المجالس برواية: «منحتكها مِنّي مُهَنَّدة * شكرًا على صنع ما أوليت من حسن»، وورد في الغرر والعرر برواية: «منحتكها... ما أوليت».

التعقيب: ليست خالصة النسبة للوزير المغربيّ، هي لابن أبي عيينة، فقد نسبت إليه في عدد من المصادر، منها: الأغاني ٢٠/٩٦ ضمن مقطعة في أربعة أبيات، والتذكرة الحمدونية ٤/٨٧، وهما لأبي عيينة بن محمد في نهاية الأرب ٣/٢٤٩، وهما بلا نسبة في بهجة المجالس ١/٣١١ من إنشاد الحسين بن عبد الرحمن، والغرر والعرر ٢٧٥.

• النتفة رقم (١٠٦)، ١٥٨، وهي: [من المتقارب]

١- دُيُونُ المَكَارِمِ لا تُقْتَضَى ... كَمَا تُقْتَضَى وَاجِبَاتُ الدُّيُونِ

٢- ولكنَّها في صُدورِ الكِرام

تجولُ مَجالَ القَذى في العُيُون

الرواية: (٢) ورد البيت الثاني في الدُّر الفريد، ويتيمة الدهر برواية: «في قلوب».

التعقيب: خرجت هذه النتفة للوزير المغربيّ على مخطوط نكت الوزراء، وهي له أيضًا في الدُّر الفريد، بيد أنها لأبي القاسم علي بن بشر الكاتب في يتيمة الدهر ١/٤٢٢.

- المقطعة رقم (١٠٧)، ص ١٥٨، وهي: [من السريع]

١- صلَّى عليكَ الله يا مَنْ دَنَا

مِن قَابِ قَوْسَينِ مَقَامَ النَّبيهْ

٢- أخُوك قد خُولِفتَ فيه كما

خُولِفَ في هَارونَ موسى أخيهْ

٣- هل برسولِ اللَّهِ من أُسوةٍ

لم يقتدِ القَومُ بما سنَّ فيهْ

الرواية: (٢) ورد البيت الثاني في ديوان منصور النمري برواية: «كما خالف موسى قومه في أخيه».

(٣) وورد البيت الثالث في المصدر نفسه برواية «هل في × لو يقتدي».

التعقيب: البيتان ٢، ٣ من هذه المقطعة لمنصور النَّمري في ديوانه ص ٢١١.

• تخريجات وروايات جديدة:

أما ما يخص الروايات والتخريجات الجديدة فهي كثيرة، لم آخذ نفسي باستقصائها، لأنني رأيت أن أترك هذا الأمر لمن يتولى إعادة صنع ديوان الشاعر من جديد، ويكفي أن أذكر أن في بعض المصادر المذكورة سلفًا تراجم للوزير المغربيّ، فيها مقطعات غير مذكورة في الديوان، تم إثباتها هنا، وفيها مقطعات مذكورة في الديوان دون تخريج عليها، من هذه المصادر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) ١٤/١٠٥ - ١٠٩، وتاريخ الإسلام للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ص ٩/٢٩٤ - ٢٩٦، وعقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان للزركشي (ت٧٩٤ هـ) الورقة ١٠٧، والمقفى الكبير للمقريزي (ت ٨٤٥هـ)، والطليعة من شعراء الشيعة للشيخ محمد السماوي (ت ١٣٣٧٠هـ) ص ٢٧٤.

وفي هذه المقطعات روايات مخالفة لروايات الديوان، وعلى العموم فهذه باقة من التخريجات الجديدة، تصحبها روايات لبعض المقطعات، وهي تدل على ما ورد في المصادر ولم أذكره هنا :

- المقطعة رقم (١١)، ص ١١٧ للوزير المغربيّ في تاريخ مدينة دمشق ١٤/١٠٧، وهي له في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٠٧، وورد البيت الثالث فيه برواية: «فما يدوم».
- النتفة رقم (١٥)، ص ١١٨ له في الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ١/٣٨٧ ، وورد البيت الثاني فيه برواية: «الصبا سكني»، وهي له في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٠٧.
- القصيدة رقم (١٦)، ص ١١٨ وردت الأبيات ١- ٣ منها له في نهاية الأرب ٢٨/١١٦ (ط. دار الكتب العلمية)
- النتفة رقم (٢١)، ص ١٢١ له في إخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء ص ٤٧، وورد البيت الأول فيه برواية: «عند فراقه»، وورد البيت الثاني فيه برواية: «عن تفكري».
- المقطعة رقم (٢٤)، ص ١٢٢ له في المجموع اللفيف ٢٢٤، ورواية البيت الأول فيه هي: «سر الوداد نصيح»، ورواية البيت الثاني فيه هي:

«تسر قلوب... أمارات الغرام»، ورواية البيت الثالث فيه هي: «للسر هاتكًا... كيف يبوح».

- المقطعة رقم (٢٧)، ص ١٢٥ له أيضًا في الوافي بالوفيات ٣٧٩/٢، وورد البيت الأول فيه برواية: «طوى عني» بدلا من: «طوى عنا»، وورد البيت الثاني فيه برواية: «يأكل» مكان «تأكل».
- المقطعة رقم (٣٠)، ص ١٢٦ ورد البيتان: الأول والثالث منها له في الدُّر الفريد ١٥٦/٢، والأول برواية: «يضمر الربد»، والثالث في هذه الصفحة، وفي ٣٠٣/٣ برواية «أهون لوعة».
- النتفة رقم (٣٦)، ص ١٢٩ له في تاريخ مدينة دمشق ١٠٨/١٤، ورواية البيت الأول فيه هي: «فقال حبيبي»، ورواية البيت الثاني فيه هي: «فقلت له من أحمر كان»، وهي له كذلك في المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ١١١، وورد البيت الأول فيه برواية : «فقال: حبيبي لم نحيت»، وورد الثاني فيه برواية: «فقلت له من أحمر كان فصه»، وهي له في تاريخ الإسلام ٢٩٥/٦، وعقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٠٧، والبيت الأول فيهما برواية: «فقال حبيبي»، والبيت الثاني في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان برواية: «فقلت له من أحمر كان لونه».
- المقطعة رقم (٤٠)، ص ١٣٠ ورد البيتان: ١، ٢ له في تاريخ مدينة دمشق ١٠٨/١٤، ورواية البيت الأول فيه هي: «فرقة بيعين»، ورواية البيت الثاني فيه هي: «والمقلتين إلى الكرى»، وسبق التعليق عليها ضمن الإفصاح عن الشعر المتدافع في الديوان.
- النتفة رقم (٤٦)، ص ١٣٤، في هامشها إفصاح عن تدافعها ونسبتها لكشاجم، ولسيدوك الواسطي، وفيه مصادر تخريجها لهما، قلت: وهي لابن المعتز أيضًا في المحب والمحبوب ٢٣٧/٢، وفي هامشه مصادر كثيرة.
- المقطعة رقم (٦٢)، ص ١٤٠ له أيضًا في تاريخ الإسلام ٩/ ٢٩٥، وله كذلك في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٠٧، وورد البيت الأول فيه برواية:

فَمَا أُمُّ مَكْحُولِ المَدَامِعِ تَرْتَعِي

تَرَى الوَحْشَ إنسًا وَهْي تَأْلَفُ بالوَحشِ

وورد البيت الثاني فيهما برواية: «غدت فرعت»، وورد البيت الثالث فيه برواية: «ضباع الفلا»، وهو في تاريخ الإسلام برواية: «نهشته أيما نهش»، وورد البيت الخامس في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان برواية: «وأحمالها تحدى»، وهو في تاريخ الإسلام برواية: «وقد لوح النوى».

- المقطعة رقم (٦٣)، ص ١٤١ – ١٤٢ له في تاريخ مدينة دمشق ١٠٧/١٤، ورواية البيت الثاني فيه هي: «من نيل»، ورواية البيت السابع فيه هي: «الحلم والحجى... أنهجن» ، والمقطعة له كذلك في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٠٧، والأول فيه برواية: «وسله فمهما» ، والثاني فيه برواية: «من نيل راحة»، والثالث فيه برواية: «فكن... في اللواح ... مهربًا»، والخامس فيه برواية: «ولكنه أفضى»، والسادس فيه برواية: «العيب فانظر قبيل ما... أنى.. تحطه»، والسابع فيه برواية: «أنهجن مرطه».
- النتفة رقم (٦٦)، ص ١٤٣ له في تاريخ الإسلام ٢٩٦/٩.
- المقطعة رقم (٦٧)، ص ١٤٣ ورد البيت الأول في الدُّر الفريد٢٩٧/٥ برواية: «طلاب غنى... لأمالي وتباغي»، وورد البيت الثاني فيه برواية: «وكل سام».
- المقطعة رقم (٦٩)، ص ١٤٤ له كذلك في

نسمة السّحر في ذكر من تشيَّع وشعر ٣٧٣ أ، والثاني فيه برواية: «ليس يجري»، والثالث فيه برواية: «ما كان انتهاكا».

- المقطعة رقم (٧٢)، ص ١٤٥ له في تاريخ الإسلام ٤/٩٠٠، والأول فيه برواية: «بكرة «بدلا من «زائرًا»، والبيت الثالث فيه برواية: «تنبه غافلا» بدلا من: «تنبه عبرة».
- المقطعة رقم (٧٤)، ص ١٤٦ وورد البيتان: ٢، ٣ له في الدُّر الفريد ٥/٥١٤ ، وورد البيت الثاني فيه برواية: «يقول لي العذول»، والمقطعة له في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٠٧، وورد البيت الثاني فيه برواية: «بالمضمرة العتاق»، وفي تخريجها في الديوان إفصاح عن نسبتها لعبد الوهاب المالكي، قلت: هي في ديوانه ص ٥٣.
- المقطعة رقم (٧٩)، ص ١٤٧ منسوبة لأبيه خطأً في تاريخ مدينة دمشق ٤١/٤٢٣.
- القصيدة رقم (٨١)، ص ١٤٨ نسب البيتان ٣، ٤ منها ليحيى بن الوزير المغربيّ في مناقب آل أبي طالب ١/٢٢٢، وورد البيت الرابع فيه برواية: «وما لعقولهم المستحيلة»، وهما خالصا النسبة للوزير المغربيّ.
- البيت الثاني من النتفة رقم (٨٥)، ص ١٥٠ له في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٠٧ برواية: «وطمعت ألاَّ».
- المقطعة رقم (٨٩)، ص ١٥١ – ١٥٢ له في المجموع اللفيف ص ٣١٧، ورواية البيت الثاني منها فيه هي:

فـمـا يـعـلـم إلا الـدمـــــــــــــــ
ــــــــــع مـــا أحـــيـــت مـــن لـيـلي

- النتفة رقم (٩٣)، ص ١٥٣ له في تاريخ الإسلام ٩/٢٩٦، ونهاية الأرب ٢٨/١١٨ (ط. دار الكتب العلمية)، وورد البيت الأول فيه برواية: «وليس كريمًا من تباس يمينه... يعض»، والدُّر الفريد ٥/٣٠٥، وورد البيت الأول فيه برواية «أمام المجد»، وورد البيت الثاني فيه برواية: «كريما من تباس يمينه».
- المقطعة رقم (٩٤)، ص ١٥٣ له في نسمة السّحر في ذكر من تشيَّع وشعر ٣٧٦ أ، وورد البيت الأول فيه برواية: «يسهل في «بدلا من: «يحسن».
- النتفة رقم (٩٥)، ص ١٥٣ ورد البيت الثاني منها له في الدُّر الفريد ٣/١٠٤، وورد البيت الأخير له فيه ٣/٧١ ، وهي له في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٠٧، وورد البيت الأول فيه برواية: «تبت من»، وورد البيت الثالث فيه برواية: «بعد سبع وأربعين»، ونسمة السّحر في ذكر من تشيَّع وشعر ١٧١، والكنى والألقاب ٣/٢٨٦.
- المقطعة رقم (٩٧)، ص ١٥٣ له في النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ص ٥٨، بالرواية التالية:

إذا شِئتَ أن تَرنُو إلى الطَّفِّ بَاكيًا
فدونك فانظرْ نحو أرضِ المُقَطَّمِ
تجد من رجالِ المغربيّ عصابةً
مضرَّجة الأوداجِ تقطرُ بالدَّمِ
فكم تَركُوا محرابَ آيٍ معطّلٍ
وكم خَلَّفُوا من سُورةٍ لم تُختمِ

- النتفة رقم (١١٠)، ص ١٥٩ له في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٠٧
- البيت المدرج تحت رقم (١١٢)، ص ١٦٠ له

في تاريخ مدينة دمشق برواية: «وهو بار»، وهذا تصحيف، وهو له أيضًا في عقود الجمان وتذييل وَفَيَاتِ الأعيان ١٠٧.

- النتفة رقم (١١٣)، ص ١٦١ له في طرائف الطرف ٦١.
- النتفة رقم (١١٤)، ص ١٦١ له في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٠٧.
- القصيدة رقم (١١٥)، ص ١٦١، ورد منها ثمانية أبيات في ذم الهوى ص ٣٧٩ مختلفة الترتيب، وهي الأبيات ذوات الأرقام: (١– ٧، ١٠)، ورواية البيت الثاني فيه هي: «وعرفت آثار»، ورواية البيت الثّالث فيه هي: «بين أشواقي إليه»، ورواية البيت الخامس فيه هي: «والموج مثل السَّيف»، ورواية البيت السابع فيه هي: «منه السّحر في حركاته أو مقلتيه»، ورواية البيت العاشر فيه هي: «من الحياة بأسرها»، ووردت منها الأبيات: (١، ٤، ٥، ٦، ٧، ١٠) له في عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ١٠٧، ورواية الخامس فيه هي: «النَّهر مثل السَّيف»، ورواية البيت السَّابع فيه هي: «قد ذاب فيه السّحر من أجفانه أو مقلتيه»، وورد البيت الثاني فيه برواية: «آثار النعيم «بدلا من آلات النعيم، وورد عجز البيت العاشر فيه برواية: «بأسرها نظري إليه «وورد البيت الخامس فيه برواية: «والموج مثل السَّيف»، وورد البيت السَّابع فيه برواية:

قد ذاب منه السّحر في
حركاته من وجنتيه

والقصيدة له ما عدا البيتين الثَّالث، والثَّامن في نسمة السّحر في تشيَّع وشعر ٣٦٩ ، ورواية البيت الأول فيه هي: «إني رضيت من الحياة بأسرها نظري إليه»، ورواية البيت الثاني فيه هي: «أسباب النعيم»، ورواية البيت الخامس فيه هي: «فرنده في جانبيه»، وبها ينشأ إيطاء مع البيت السابق عليه في هذا المصدر، ورواية البيت السادس فيه هي: «من مائه شيئًا»، ورواية البيت السَّابع فيه هي: «فيه السّحر»، وورد البيت التَّاسع هكذا: «صبغة بياض النيل صبغة حمرة». و القصيدة له تاريخ الإسلام ٢٩٤/٩ ما عدا البيتين: الثامن والتَّاسِع، ورواية البيت الثَّاني فيه هي: «آثار النعيم... في وجنتيه»، ورواية البيت الثالث فيه هي: «بين أشواقي»، ورواية البيت الخامس فيه هي: «والموج مثل»، ورواية البيت السابع فيه هي:

قَدْ ذَابَ مِنْهُ السّحر في
حَرَكَاتِهِ من مُقْلَتَيْهِ

هذا ما تجَمَّع لديَّ بخصوص ديوان «الوزير المغربيّ»، أثبتُّه هنا لعلَّه يفيد في دراسة حياته وشعره، أو يُلفت الأنظار إليه كشاعر مجيد، كان له دور بارز في الشّعر لا يقلُّ أبدًا عن دوره في تأليف المؤلَّفات، والقيام بالمهام السياسية التي أُسنِدت إليه، أثبتُّ ما لديَّ من إضافات جديدة هنا لعلَّ الشاعر يأخذ مكانته التي تليق بموهبته النَّديَّة في سماء الشعر العربيّ، ولا أزعم أن ما رصدتُه بخصوص هذا الدّيوان مبرَّأً من الخطأ والنَّقص، فهو لا يعدو أن يكون عملاً بشرِيًّا يعتريه القُصور والخطأ، وحسبي أنّني اجتهدتُ وما قصَّرتُ، والحمد لله رب العالمين.

المصادر

١- إخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء: للمنصور الأيوبي (ت٦١٧هـ): تحقيق: ناظم رشيد، بغداد، ٢٠٠١م.

٢- أدب الخواص: للوزير المغربيّ (ت٤١٨ هـ)، تحقيق: الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة للنشر، الرياض، ١٩٨٠م.

٣ – الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: للخالديين، أبو عثمان سعيد (ت ٣٧١ هـ)، وأبي بكر محمد (ت ٣٨٠ هـ)، تحقيق: السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٦٥م.

٤ – الإشارة إلى من نال الوزارة: لعلي بن منجب الصيرفي (ت ٥٤٣ هـ)، تحقيق: عبد الله مخلص، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩٢٣م.

٥– الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة: لابن شداد (ت ٦٨٤ هـ)، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.

٦– أعيان الشيعة: للعاملي (١٣٧١ هـ)، تحقيق: محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٧– الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦ هـ)، تحقيق: لفيف من المحققين، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٢م.

٨– الأمالي الخميسية للإمام المرشد بالله (ت ٤٧٩ هـ)، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

٩– البديع في نقد الشعر: لأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ)، تحقيق د: أحمد بدوي و آخر، مصطفى الحلبي،١٩٦٠م.

١٠– بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس: لابن عبد الله القرطبي (ت٤٦٣ هـ)، تحقيق د: محمد الخولي، دار الكتب العلمية، د. ت.

١١– تاج العروس: للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق نخبة من المحققين، طبعة حكومة الكويت.

١٢– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

١٣– تاريخ مدينة دمشق: لابن عساكر (ت٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق: محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

١٤– التذكرة الحمدونية: لابن حمدون (ت ٥٦٢ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، وآخر، دار صادر، بيروت ١٩٩٦م.

١٥– التذكرة السعدية في الأشعار العربية: لمحمد العبيدي (ق ٨هـ)، تحقيق د: عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٦– التذكرة الفخرية: لبهاء الدين المنشي الإربلي (ت ٦٩٢ هـ)، تحقيق د. حاتم الضامن، وآخر، عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٧م.

١٧– جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: للحميدي (ت ٤٨٨ هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

١٨– جمهرة اللغة: لابن دريد الأزدي (ت ٣٢١ هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.

١٩– حدائق الأنوار وبدائع الأشعار: جنيد بن محمود (ت بعد ٧٩٠ هـ)، تحقيق: هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥م

٢٠– حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء: للعبد لكاني الزوزني (ت٤٣١ هـ): تحقيق: محمد بهي الدين سالم، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٩٩٩م.

٢١– خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق)، للعماد الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق محمد بهجة الأثري، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٣م.

٢٢– خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: للمحبي (ت ١١١١هـ)، المطبعة الوهبية، ١٢٨٤م.

٢٣– الدُّر الفريد وبيت القصيد: لمحمد بن آيدمر (ت٧١٠هـ)، مخطوط طبعه مصوراً د. فؤاد سزكين، فرانكفورت، ١٩٨٩.

٢٤– دمية القصر وعصره أهل العصر: الباخرزي (ت٤٦٧هـ)، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، القاهرة، ١٩٧١م.

٢٥– ديوان الببغاء ضمن كتاب: عبد الواحد بن نصر المخزومي (ت ٣٩٨ هـ): حياته، ديوانه، رسائله، قصصه: جمع وتحقيق: هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٢٦– ديوان أبي البركات ابن الحاج البلفيقي (٧٧١هـ)، بعناية: عبد الحميد الهرامة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط١، ١٩٩٦م.

٢٧– ديوان الحارث بن حلزة اليشكري (ت نحو ٤٣ ق. هـ)، صنعة: مروان العطية، دار ابن الإمام النووي، ودار الهجرة، دمشق، ط١، ١٩٩٤م.

٢٨– ديوان أبي الحسن التهامي (ت ٤١٦ هـ)، تحقيق د. محمد الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨٢م.

٢٩– ديوان الحلاج: جمعه وقدم له: سعدي ضناوي، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م.

٣٠– ديوان ابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ)، جمع وتحقيق: عبد العزيز الميمني، (ضمن كتاب بحوث وتحقيقات العلامة عبد العزيز الميمني)، أعدها للنشر: محمد عزيز شمس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.

٣١– ديوان صالح بن عبد القدوس: جمع وتحقيق عبد الله الخطيب، دار البصري، العراق، ١٩٦٧م.

٣٢- ديوان صر در (ت ٤٥٦هـ)، طبعة دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٩٥م.

٣٣- ديوان الصوري (عبد المحسن بن غلبون ت ٤١٩ هـ)، تحقيق: شاكر شكر، وآخر، بغداد، ط١، ١٩٨١م .

٣٤- ديوان العباس بن الأحنف (ت ١٩٢هـ)، تحقيق: عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٤م.

٣٥- ديوان عبد الوهاب المالكي، جمع وتحقيق: د. عبد الحكيم الأنيس، دار البحوث الإسلامية، دبي، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٦- ديوان علي بن أبي طالب – t – تحقيق د: محمد خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، د. ت.

٣٧- ديوان محمد بن هانئ الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ): تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥م، وطبعة أخرى بعنوان تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربيّ: زاهد علي، مطبعة المعارف ومكتبتها، مصر، ١٣٥٢هـ.

٣٨- ديوان منصور النمري (ت ١٩٣هـ):جمع وتحقيق د. عبد الحفيظ عبد الهادي، مكتبة الآداب، القاهرة.

٣٩- ديوان ابن هندو (ت ٤٢٣ هـ)، جمع وتحقيق: عبد الرازق حويزي، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٤٠- ديوان الوزير المغربيّ، ضمن كتاب أبي القاسم الحسين بن علي العالم الشاعر الناثر الثائر: دراسة في سيرته وأدبه مع ما تبقى من آثاره "، د. إحسان عباس، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، عام ١٩٨٨م.

٤١- ذم الهوى: لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط١، ١٩٦٢م.

٤٢- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط١، ١٩٩٢م.

٤٣- زهر الأكم في الأمثال والحكم: للحسن اليوسي (ت ق١١): تحقيق: محمد حجي، دار الثقافة، المغرب ١٩٨١م.

٤٤- السّحر والشعر: لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ)، تحقيق: ج. م. كونتننته فيرير، بدايات للطباعة والنشر، سورية، ط١، ٢٠٠٦م ، وطبعة أخرى بتحقيق: محمد شبانة، وآخر، دار الفضيلة، ١٩٩٩م.

٤٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وآخر، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٤٦- شروح سقط الزند: للتبريزي، والبَطَلْيَوْسِيِّ، والخوارزمي على ديوان أبي العلاء المعري، تحقيق لجنة من المحققين بإشراف د: طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

٤٧- طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي (ت ٧٧١ هـ)، تحقيق: محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٦٤م.

٤٨- طرائف الطرف: للبارع البغدادي (ت٥٢٣ هـ)، تحقيق: هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٤٩- الطليعة من شعراء الشيعة: الشيخ محمّد السَّماوي (ت ١٣٧٠ هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار المؤرّخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٥٠- عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان (مخطوط): لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، نسخة مكتبة الفاتح بالسليمانية، رقم (٤٤٣٤).

٥١- العمدة: لابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: النبوي شعلان، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٩٧م.

٥٢- العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ومهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

٥٣- غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات: لعلي بن ظافر (ت ٦٢٣ هـ)، تحقيق: مصطفى الجويني، وآخر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

٥٤- غرر الخصائص الواضحة ودرر النقائص الفاضحة: لبرهان الدين الكتبي (ت ٧١٨هـ)، دار الطباعة السنية، بولاق، ١٢٨٤هـ.

٥٥- الفوائد والأخبار: لابن دريد (ت ٣٢١ هـ)، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٠م.

٥٦- فوات الوفيات والذيل عليها: لابن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

٥٧- الكنى والألقاب: لعباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ)، مكتبة الصدر، طهران.

٥٨- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: للغزي (ت١٠٦١هـ)، نشره: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٥٩- لمح الملح: لأبي المعالي الحظيري الخزرجي (ت ٥٦٨هـ) المعروف بدلال الكتب، تحقيق: يحيى عبد العظيم، ط. دار الكتب، ٢٠٠٧م.

٦٠- مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن: لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق د. مرزوق إبراهيم، دار الراية، السعودية، ط١، ١٩٩٥م، وتحقيق: مصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

٦١- المجالسة وجواهر العلم: لأبي بكر الدينوري (ت٣٣٣ هـ)، خرج أحاديثه وآثاره، ووثق نصوصه وعلق عليه: مشهور بن حسن آل سليمان، جمعية التربية الإسلامية، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٦٢- مجلة العرب، ج١، ٢، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٦٣- المجموع اللفيف: للأفطسي (ت ٥١٥ هـ)، تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٥م.

٦٤- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب: للسري الرَّفاء (ت ٣٦٢ هـ)، تحقيق: ما جد الذهبي، دمشق ١٩٨٦م.

٦٥- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: لابن منظور (ت ٧١١ هـ)، ج ٢٨، اختصرته على نهج ابن منظور وحققته د: سكينة الشهابي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

٦٦- المدهش: لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ضبطه وصححه د. مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٦٧- مرآة الجنان: لليافعي اليمني (ت ٧٦٨ هـ) نشره: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٦٨- المستطرف من كل فن مستظرف: للإبشيهي (ت ٨٥٢هـ): تحقيق: إبراهيم صالح - دار صادر، ط١، ١٩٩٩م .

٦٩- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: لابن النجار (ت ٦٤٣ هـ)، انتقاه ابن الدمياطي (ت ٧٤٩ هـ)، تحقيق: قيصر فرح، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

٧٠- معاهد التنصيص: لعبد الرحيم العباسي (ت ٦٩٣ هـ)، بعناية: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، القاهرة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧م.

٧١- معجم الأدباء: لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، تحقيق د: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م.

٧٢- معجم البلدان: لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، دار صادر، بيروت.

٧٣- المقفى الكبير: للمقريزي (ت ٨٤٥ هـ)، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩١م.

٧٤- مناقب آل أبي طالب: لابن شهرا شوب (ت ٥٨٨ هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦م.

٧٥- موسوعة الشعر العربي (cd)، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الإصدار الأول.

٧٦- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة: أَتَمَّه ابن سعيد (ت٦٨٥ هـ)، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب المصرية، ١٤٢١هـ.

٧٧- نسمة السّحر في ذكر من تشيَّع وشعر (مخطوط)، يوسف ابن يحيى (١١٢١ هـ)، جامعة الملك سعود، الرياض، برقم (٧٩٤٩).

٧٨- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للمقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، تحقيق د: إحسان عباس، دار صادر ، ١٩٨٦م.

٧٩- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: لمحمد أمين بن فضل الله المحبي (١١١١هـ)، تحقيق: أحمد عناية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

٨٠- نهاية الأرب في فنون الأدب: للنويري (ت ٧٣٣ هـ)، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، وقد أشير إليها في مواضعها، وهي بتحقيق لفيف من المحققين.

٨١- الوافي بالوفيات: للصفدي (ت ٧٦٤ هـ): تحقيق لفيف من المحققين، فيسبادن، طبع على سنوات متعددة.

٨٢ - وفيات الأعيان: لابن خلكان (ت٦٨١ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٨٣- يتيمة الدهر: للثعالبي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٢، ١٩٥٦م.

طرائق فكاك الأسرى المسلمين من الصليبيين

٤٩٠-٦٩٠هـ / ١٠٩٧-١٢٩١م [★]

أ.د. طه خضر عبيد
قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة الموصل

المقدمة:

بدأت الحملات الصليبية (الفرنجة أو الأفرنجة عند المؤرخين العرب) [★★]، سنة ٤٨٩-٤٩٠هـ /١٠٩٦-١٠٩٧م، وكانت قبل قيامها، وفي أول أمرها مشروعا أوربيا، بدأته البابوية، فقد أطلق البابا أوربان الثاني (Urban II)(١٠٨٨-١٠٩٩م) دعوته لها، مستغلا استغاثة سابقة للامبراطورية البيزنطية، التي خسرت الحرب وهزمت واسر إمبراطورها رومانوس الرابع ديوجنتيس (Romanos IV Diogentes)(١٠٦٨-١٠٧١م)، في معركة مانزكريت، ملازكرد، ملاذكرت، ملاسكرت، سنة ٤٦٣هـ /١٠٧١م، وكان أول إمبراطور بيزنطي يقع في أسيراً في يد المسلمين عند القائد السلجوقي ألب ارسلان.[١]

لقد شارك كل من الاقطاع والنبلاء والفلاحين الفقراء وملوك أوربا إلى جانب البابوية دعوتها للحرب ضد المسلمين، واستعدوا للحرب معبرين عن روحية المجتمع الغربي الأوربي وأفكاره الحربية والسياسية والدينية السائدة، وبدوافع متداخلة عديدة، التقت جميعها في محور الاطماع للتوجه نحو المشرق العربي الإسلامي وبخاصة بلاد الشام التي فيها الأماكن المقدسة، وكذلك مصر، وكانت دعوة البابا التي وردت في خطابه الذي رددته جموع الحاضرين في منطقة كليرمون الفرنسية (Clermont)وقوله «Deus Lo Volt أي الرب يريدها»، تلك الصرخة التي علت في كل معارك الصليبيين ضد المسلمين[٢]. ونجح البابا أوربان الثاني من عقد مجمعا في آذار سنة ١٠٩٥م في بياكنتزا في ايطاليا، حضره أساقفة الكنائس في أوربا وعدد من زعمائها، وفي ذلك الاجتماع تجدد طلب بيزنطة في مساعدتها ومناصرتها ضد المسلمين، وبذلك تهيأت للكنيسة الفرصة في إعلان الحرب والعمل على تحريك أول حملة صليبية ضد المسلمين.[٣]

لا شك، أن أوضاع المشرق العربي الإسلامي المتردية، كانت من العوامل التي شجعت الغرب الأوربي للتقدم نحوه، وقد اتسمت تلك الأوضاع بالتمزق السياسي والتناحر العسكري بين أمراء المدن والامارات الهزيلة المتخاصمة، والتي عدها إبن الأثير[٤]، من الأسباب لتلك الحرب بقوله: «لما استطال الفرنج - الصليبيون - خذلهم الله

مقالات

تعالى بما ملكوه من بلاد الإسلام، وأتفق لهم اشتغال عساكر الإسلام وملوكه بقتال بعضهم بعضا، فتفرقت حينئذ بالمسلمين الآراء، واختلفت الأهواء، وتمزقت الأحوال».

تعاقبت الحملات الصليبية التي قادها ملوك أوربا وأمراؤها ورجال الدين بصورة متقطعة إلى سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، ولم تواجه أولاها سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م مقاومة تتناسب وحجمها من سلاجقة الروم في نيقية، كما لم تكن هناك قوة إسلامية موحدة في بلاد الشام والجزيرة تمنعها من التقدم، واستطاعت تلك الحملة من احتلال الأرض وتكوين إماراتها الأربعة: الرها، أنطاكية، طرابلس، القدس «وتقوت شوكة الصليبيين، ولم تظهر المقاومة القوية المنظمة الواسعة إلا بعد أكثرمن ربع قرن من زمان الحملة الأولى، عندما بدأت على يد الزنكيين في الشام وبعدهم الأيوبيين، اللذين قادوا حركة تحرير ومقاومة شديدة بعد أن امتلكوا القوة وعدوا مستلزمات الجهاد وتوحيد جبهة الجزيرة وبلاد الشام والمقاومة ضد الاحتلال الصليبي وإسقاط إماراته.

لسنا بصدد الحملات وقادتها وأهدافها والإمارات وأمرائها ونتائج ذلك، بقدر التركيز على قضية أشغلت المسلمين قادة وأفرادا كبارا وصغارا نساء ورجالا، هي وقوع أعداد كبيرة من المسلمين أسرى وسبايا بأيدي الصليبيين، والعمل على فكاكهم وتخليصهم من الأسر.

لقد ترتب على الحروب والعمليات الحربية بين المسلمين والصليبيين، وبسبب التداخل المكاني بينهما، وعدم وجود جبهة فاصلة بينهما كما هو مألوف في حروب المسلمين وأعدائهم من قبل، فقد وقعت أعداد كبيرة من المقاتلين أسرى ومن المدنيين سبايا، يزيد ذلك غليانا ذلك الصراع في بلاد الشام الذي كانت تتقاسمه ثلاث قوى هي:

١. القوى)الإسلامية صاحبة الأرض والسكان.
٢. القوى الصليبية المتعددة وحملاتها من أوربا.
٣. الإمبراطورية البيزنطية المتذبذبة الموقف والطامعة في استعادة سيطرتها على بلاد الشام.

ولا يمكن تقديم إحصائية دقيقة عن أعداد الأسرى والسبايا، لأن المصادر تكتفي بالقول، أعداد من الأسرى وأحيانا تصرح بالأرقام، ولكن من السياق التاريخي فان أعدادهم تقدر بمئات الآلاف ومن الطرفين، وهناك عوامل أثرت في تزايد أعدادهم منها اختلال التوازن من الناحية العسكرية وطبيعة فنون القتال المتبعة وطبيعة القوى السياسية في بلاد الشام ومصر، فضلا عن الظروف التي مرت بها تلك القوى.

الواقع، إن الزنكيين والأيوبيين قد بذلوا جهودا جبارة سجلتها المصادر، واتبعوا سبلا مدروسة من اجل تخليص الأسرى المسلمين، يدفعهم إلى ذلك الواجب الديني والأخلاقي والمسؤولية التاريخية التي أوكلت إليهم في رعاية مصالح المسلمين طيلة تلك المدة.

تعددت طرائق فكاك الأسرى المسلمين وتخليصهم من الصليبيين، وربما تداخلت أكثر من طريقة في الوصول إلى هدفهم، ونجد أن أكثر الطرائق حضورا هي:

أولا: الاستنقاذ بالقوة.

ثانيا: المعاهدات والاتفاقيات والصلح بين الطرفين.

ثالثا: محاصرة وتحرير المدن والقلاع والحصون.

رابعا: الفداء بالمال.

خامسا: الهدايا.

سادسا: شراء الأسرى من التجار والأسواق.

أولا: الاستنقاذ بالقوة

امتلك الزنكيون ومن بعدهم الأيوبيون عناصر القوة السياسية والحربية والاقتصادية الكفاءة القادرة على صد الصليبيين أولا، وتحرير الأرض بشكل مخطط ومدروس وتدريجي وإسقاط إماراتهم ومدنهم ثانيا، فتوجهوا إلى الاستنقاذ الذي أصبح نهجا معروفا، مستندا على الجهاد لفكاك الأسرى المسلمين وتخليصهم بالقوة والشوكة، وقد أتى ذلك النهج ثماره وحقق أهدافه، ويأتي في مقدمة عمليات الاستنقاذ، تلك التي حصلت على يد القائد نجم الدين إيلغازي بن ارتق عندما توجه إلى الرها وشدد عليها الحصار سنة ٥١٣هـ /١١١٩م، مما اضطر من بها من الصليبيين إلى مصالحته، لقاء تنازلهم عن الأسرى المسلمين الموجودين بها، فأجابهم ايلغازي إلى ذلك [٥].

وفي سنة ٥٣٢هـ /١١٣٨م، وقع عدد من الأسرى المسلمين من حصن البزاغة بيد البيزنطيين المتحالفين مع الصليبيين، ونقلوهم إلى قلعة الأثارب، واستطاع بعض الأسرى المسلمين أن يفروا إلى حلب لأن حاميتها غير كافية، وأخبر هؤلاء الفارين القائد سوار بضعفها ووجود أسرى مسلمين آخرين فيها، فأسرع إلى الإغارة على القلعة واستنقذ الأسرى المتبقين فيها[٦]. واستطاع القائد أسد الدين شيركوه عقب استشهاد السلطان عماد الدين زنكي سنة ٥٤١هـ /١١٤٦م، من استنقاذ الأسرى المسلمين عندما أدرك الصليبيين يسوقون الأسرى فقاتلهم واستنقذ الكثير من الأسرى من أيديهم[٧]. وتمكن القائد صلاح الدين الأيوبي أن يدخل نابلس سنة ٥٨٠هـ /١١٨٤م واستنقذ عدد من أسرى المسلمين الذين كانوا محتجزين فيها[٨]. وشهدت سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م أكبر عملية استنقاذ للأسرى المسلمين من الصليبيين، عندما استطاع القائد صلاح الدين الأيوبي من استنقاذ زهاء أربعة آلاف أسير مسلم من عكا، وأعطى الأسرى نفقة يصلون بها إلى بلادهم وأهلهم، وبلغ عدد الأسرى المسلمين الذين خلصهم عشرين ألف من مدن مجدل، يافا، حيفا، صفورية، والغولة وتبنين، صرخد، صيدا، بيروت وجبيل[٩]، وسيَّر القائد صلاح الدين الأيوبي ابنه الظاهر غازي صاحب حلب سنة ٥٨٣هـ /١١٨٧م فحاصر سرمنية وضيق على أهلها، وكان في الحصون والقلاع المجاورة عدد كبير من أسرى المسلمين، فأطلقوا وأعطاهم الكسوة والنفقة[١٠]، وخلص القائد صلاح الدين الأيوبي في السنة نفسها زهاء ثلاثة آلاف أسير مسلم من القدس[١١]، وفي سنة ٥٨٩هـ/١١٩٤م، وتمكن القائد صلاح الدين الأيوبي عند محاصرته لحصن تبنين، من استنقاذ ما فيه من الأسرى ويقدر عددهم مائة، وكذلك حاصر جبيل واستنقذ جميع الأسرى المسلمين المحتجزين فيه[١٢]، وتمكن الملك العادل الأيوبي سنة ٦٠٣هـ من إطلاق جميع الأسرى المسلمين من عكا خلال رحلته من مصر إلى بلاد الشام، كما استطاع المسلمون من استنقاذ عدد من الأسرى المسلمين سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥ م من مدينة صفد [١٣].

عدت عمليات حصار المدن والحصون والقلاع شكلا من أشكال الاستنقاذ بالقوة وتخليص أعداد كبيرة من الأسرى المسلمين.

يبدو أن القوة المتاحة للزنكيين كانت كافية لإيقاع الضربات الموجعة للصليبيين الذين خسروا فيها مقاتليهم، وأسر قادتهم وأمراءهم، ودمرت قوتهم، وتحطمت معنوياتهم،وكثر إختلافهم فيما بينهم، وتم استرجاع ما يمكن استرجاعه من المدن والقلاع والحصون من أيديهم، قد أكدت جميعها أن عملية استنقاذ الأسرى المسلمين بالقوة قد نجحت في تحقيق أهدافها، وبثت روح الجهاد في صفوف المسلمين فخلصوا عشرات الآلاف من أسرى المسلمين، وقد استكمل الأيوبيون المهمة بنجاح ولا يقل جهدهم شأنا عن الزنكيين، ولذلك

بدأ الصليبيون يفكرون بنقل الأسرى المسلمين إلى عمق نفوذهم وبعيدا عن المسلمين واختاروا عكا ويافا[١٤].

لم يقتصر الاستنقاذ على القوات الحربية الزنكية والأيوبية، بل أسهم فيه سكان المدن الشامية، فعلى سبيل المثال، ما حدث في سنة ٥١٥هـ /١١٢١م عندما أنقذ الحلبيون خمسين أسيرا من أهل مدينتهم ممن وقع في يد الصليبيين الذين استغلوا خلو حلب من قوة ايلغازي، فشنوا هجوما على الأثارب، إلا أن الحلبيين لم يكتفوا بإنقاذ أسراهم، بل اجبروا العدو على التقهقر والتراجع إلى أنطاكية[١٥]، كما أسهم الأفراد من الفرسان الشجعان على استنقاذ إخوانهم الأسرى المسلمين من الصليبيين، فعلى سبيل المثال، قصة الفارس جمعة النميري الذي استنقذ أسيرا مسلما من الصليبيين قرب أنطاكية[١٦].

ومن الطريف، أن الأسرى أنفسهم خلصوا أنفسهم من الأسر، فعند محاصرة قلعة برزية سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، التي كان فيها أسرى مسلمين محتجزين، وعندما حل الخطر بالقلعة بمحاصرتها، نقل الصليبيون الأسرى المسلمين إلى سطح القلعة وأرجلهم في القيود والخشب المثقوب، فلما سمعوا تكبير المسلمين المحاصرين للقلعة، كبر الأسرى من السطح، فظن الصليبيون أن المسلمين قد صعدوا إلى السطح، فاستسلم الصليبيون واستنقذ الأسرى أنفسهم بهذا الذكاء.[١٧]

ثانيا: المعاهدات والاتفاقيات والصلح

كان أحد بنودها الهدنة، وتبادل الأسرى أو إطلاق سراحهم، وكانت معظم تلك المعاهدات والصلح تأتي بمبادرة وإرسال الرسل من الصليبيين إلى المسلمين، الذي يضطرهم إلى ذلك ضعفهم وظروفهم الصعبة عدا تلك التي حصلت في عهد الملك العادل الأيوبي[١٨]، وبما أن تلك الطريقة في تخليص الأسرى تدل على تفوق قوة المسلمين في مواجهة الصليبيين،وحققت أهدافها، والأمثلة عديدة نورد أشهرها، ومنها ما حصل سنة٥٥٩هـ/ ١١٦٣م عندما اتفق السلطان نور الدين محمود زنكي مع الصليبيين على إطلاق سراح بوهيمند أمير أنطاكية (١١٦٣-١٢٠١م) بعد أن دفع الأخير فدية كبيرة، وتعهد أن يرسل مالا كثيرا، ،أن يطلق سراح الأسرى المسلمين في إمارته[١٩]، وجدير بالقول، أن أسر الأمراء والقادة الصليبيين كان أسلوبا مفضلا عند الزنكيين والأيوبيين وسلاحا ماضيا استخدم فحسن استخدامه، وحقق المسلمون من خلاله جملة أهداف منها:

١. إضعاف الصليبيين عسكريا واقتصاديا.

٢. بث روح الاضطراب في صفوف أتباعهم وتحطيم معنوياتهم.

٣. أمن أموال المسلمين التي استُخدمت منها لفداء الأسرى المسلمين.[٢٠]

وعقد الصلح بين السلطان نور الدين محمود زنكي والصليبيين سنة ٥٦٣هـ /١١٦٧م ومن شروطه:

١. تبادل الأسرى بين الطرفين.

٢. إطلاق سراح الجند النوري داخل الإسكندرية[٢١]

وفي سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م، حاصر القائد صلاح الدين الأيوبي حصن مخاضة الأحزان قرب بانياس، وتم إطلاق ألف أسير من المسلمين.[٢٢]، وفي السنة نفسها أسر المسلمون ٢٧٠ أسيرا من قادة وفرسان الصليبيين، وأطلق الصليبيون ثلاثة آلاف أسير من أسرى المسلمين ألفين في بلاد الشام وألف في مصر مقابل إطلاق سراح هؤلاء الأسرى الصليبيين [٢٣]، وجاءت سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م التي تمكن فيها القائد صلاح الدين الأيوبي من تخليص عشرين ألف أسير مسلم من الأسرى المحتجزين

في تبنين [٢٤]، وفي السنة نفسها وقع الصلح بين القائد صلاح الدين الأيوبي في حملته على أرمينيا فاتفق مع أمير قليقيا روبين الثالث ومن شروطه أن يشتري الأخير خمسمائة أسير مسلم ممن أسرهم الصليبيين.[٢٥]

وحصل اتفاق سنة ٥٨٧هـ /١١٩١م بين القائد صلاح الدين الأيوبي والصليبيين في مملكة صيدا والذين طلبوا الصلح وكان من بنوده، أن يطلقوا كل أسير مسلم في المملكة [٢٦].

إن تعدد الأطراف الصليبية المتمثلة بالإمارات والمتخاصمة أحيانا، قد أدى إلى أن تعقد اتفاقات وصلح ثنائية مع القادة المسلمين وتبعا للظروف المحيطة بتلك الأطراف، ومنها ما حصل بين القائد صلاح الدين الأيوبي والبيمند «البوهيمند» صاحب أنطاكية سنة ٥٨٧هـ /١١٩١م وتوقيع الصلح على أن يطلق الأخير ما عنده من أسرى المسلمين[٢٧]، كما إتفق الملك العادل الأيوبي مع صاحب جبيل الصليبي الذي كان أسيرا عنده من أجل فكاك أسره، مقابل ذلك يطلق جميع الأسرى في بلده[٢٨]، وأبرم الملك الكامل نيابة عن والده الملك العادل سنة ٦١٨هـ /١٢٢١م اتفاقية مع الصليبيين ومن بنودها:

١. هدنة أمدها ثمان سنوات.

٢. أن يطلق كل فريق ما عنده من الأسرى.[٢٩]

وفي السنة نفسها، استطاع الوزير الصاحب صفي الدين بن علي بن أشكر أن يطلق ما كان بمصر من أسرى المسلمين عند الصليبيين.[٣٠]، وعقد الملك الصالح نجم الدين الأيوبي صلحا مع الصليبيين سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م مشروطا، بأن يطلقوا أسرى المسلمين.[٣١]

ووقع المسلمون والصليبيون صلحا سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، عندما كان الملك لويس التاسع أسيرا عند المسلمين ومن بنوده:

١. يلزم أن يفتدي الملك لويس التاسع نفسه بمبلغ كبير من المال «مليون بيزنط».

٢. أن يطلق سراح عدد كبير من أسرى المسلمين.

٣. تسليم مدينة دمياط للمسلمين.

٤. مدة الهدنة والصلح عشر سنوات.[٣٢]

وأبرمت اتفاقيات ثنائية أخرى منها، أن سلطان دمشق وصاحب أنطاكية اتفقا على:

١. هدنة أمدها عشر سنوات.

٢. إطلاق سراح الأسرى المسلمين.[٣٣]

كما صالح عماد الدين صاحب أنطاكية دون غيره من الصليبيين على أن يطلق الأخير سراح أسرى جميع المسلمين الذين عنده.[٣٤]

ويبدو أن تلك الاتفاقيات كانت متواصلة وتدل على طبيعة الصراع الدائر وظروف الأطراف الداخلية التي جعلت للسلام مساحة من العلاقات التي تحقق مصلحة كل طرف.

لا شك، أن الصليبيين لم يحترموا دائما الاتفاقيات والمعاهدات مع المسلمين، وكانوا ينكثون العهد ويخرقون تلك الاتفاقيات مغلبين مصالحهم ومستغلين ظروف المسلمين، ولم يكتفوا بذلك، بل أنهم كانوا يعاملون الأسرى المسلمين معاملة قاسية وغير إنسانية، ويعاملونهم بأبشع صور التعذيب والإذلال والقهر التي تصل إلى القتل، لأنهم لا يملكون رحمة، وفتكهم بالأسرى كان معروفا، ومن ذلك يبين ابن جبير[٣٥]، أن «من الفجائع التي يعانيها من حل بلادهم أسرى المسلمين يرسفون في القيود ويصرفون في الخدمة الشاقة تصريف العبيد، وكذلك الأسيرات المسلمات»، ويروي المؤرخون رواية مفادها، أن ريتشارد قلب الأسد، غدر بأهل عكا الذين طلبوا الأمان بعد تغلب الصليبيين على بلادهم، فاحضر الأسرى وأوثقهم بالحبال وحملوا عليهم حملة واحدة وقتلوهم ضربا

بالسيف، وكان عددهم (٢٧٠٠) أسير مسلم.[٣٦]

وعامل بولدوين الثالث (٥٣٩-٥٥٧هـ/ ١١٤٤ -١١٦٢م) أمير عكا الذي وعد ركاب أحد المراكب) الإسلامية بالأمان، ولكنه انتهى الأمر به إلى تجريد الرجال من الأسلحة وسلب حلى النساء، مقابل تسليم المدينة لهم، ولم يحترم المواثيق[٣٧]، وأخل الصليبيون بالعهود ونهبوا الأموال وعذبوا الناس «فكان الغدر وقتل الأسرى من قبل الصليبيين ضد المسلمين معروفا»[٣٨]

ويبدو من هذه المعاملة القاسية للأسرى المسلمين أنها كانت من الدوافع التي قادت الزنكيين والأيوبيين على الإصرار والعزم على العمل لفكاكهم وبما يمتلكون من قوة ومال ودهاء.

ثالثا: تحرير المدن والقلاع والحصون

إن هذه الطريقة غير مباشرة ومتداخلة مع طرائق أخرى لتخليص الأسرى المسلمين، فعند محاصرة القوات الزنكية والأيوبية تلك المدن كان هدفها الحصول على أعداد كبيرة من أسرى الصليبيين الذين سيتم تبادلهم بالمسلمين، والتي تعد من أنجح الأساليب والطرائق لاجبار العدو على طلب الصلح وتوقيع الاتفاق الذي بموجبه واحد بنوده تبادل الأسرى، وبدأت تلك الخطة منذ سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٨-١١٠٩م، عندما تم إطلاق سراح (١٦٠) أسيراً مسلماً كدفعة أولى ومعظمهم من أهل حلب، تبعها إطلاق عدد كبير من أسرى حران[٣٩]. واتسع العمل في هذا السبيل سنة ٥١٢هـ /١١١٨ -١١١٩م التي شهدت أسر أصحاب القلاع وخيرة قادة الصليبيين ومنهم ابن البمند «بوهيمند» صاحب أنطاكية ورسول إمبراطور بيزنطة ومعهم قرابة ثلاثين أسيراً صليبيا[٤٠]، واستطاع القائد ايلغازي أمير حلب سنة ٥١٣هـ /١١١٩-١١٢٠م من أسر أكثر من سبعين فارساً صليبيا[٤١].

واتسع نطاق تلك العمليات الحربية سنة ٥٢٤هـ /١١٢٩م عندما أقدم الزنكيون بتنفيذ خطة حربية فاعلة بالهجوم على المواقع الصليبية مستهدفين أشهرها وأقربها وأخطرها على مدينة حلب، وكان في مقدمتها تلك العمليات التي استهدفت حصن الأثارب المجاور، وعد ذلك هدفا أوليا بسبب ما يلحقه من أضرار وأذى بالفلاحين المسلمين، وبعد معركة ضارية قتل فيها أعدادٌ من الصليبيين وأُسر عددٌ آخر[٤٢]، وتم تحرير الحصن وتخريبه وكان هذا الانتصار قد فتح صفحة جديدة في الصراع بين المسلمين والصليبيين، لأنه أظهر قوة الزنكيين وشجعهم على المضي قدما لتحرير مواقع أخرى، فشهدت الأعوام ٥٢٥-٥٢٨هـ / ١١٣٠-١١٣٣م هجمات أخرى على مواقع عديدة، وتعاقبت الهجمات الزنكية في السنوات ٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٨ هـ /١١٣٤، ١١٣٥، ١١٤٣م التي تكللت بالنصر وتحرير الحصون العديدة وفتحت الباب واسعا أمامهم للتوجه نحو إمارة الرها الصليبية، وحققت العمليات الحربية التي قادها سوار في السنوات ٥٣٠-٥٣٩هـ /١١٣٥-١١٤٤م من أسر حوالي تسعة آلاف صليبي موزعين، سبعة آلاف في سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م وألف في سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م وتسعمائة في سنة ٥٣٦هـ / ١١٤١م[٤٣]. واستطاع القائد نور الدين زنكي من أسر أعداد كبيرة من الصليبيين وأرسلهم إلى أخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م.[٤٤]

وتوجت معركة حارم سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣-١١٦٤م تلك الانتصارات عندما أسر أغلب الجيش الفرنسي ومنهم ثلاثون من قادتهم وأشهرهم ريموند الثالث وجوسلين الثالث كوزنتاري وقسطنطين لولوبان ومعهم ستة آلاف أسير صليبي[٤٥].

وتمكن القائد صلاح الدين الأيوبي في قتاله ببانياس سنة ٥٧٥هـ /١١٧٩م من أسر أعداد كبيرة من الصليبيين[٤٦]، وتمكن من أسر أعداد أخرى سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م[٤٧]، وأسر في معركة حطين سنة

٥٨٣هـ /١١٨٧م ستة عشر ألفا من الصليبيين[٤٨]. وأسر الأيوبيون خمسمائة أسير صليبي سنة ٥٨٨هـ /١١٩٢م،[٤٩]، كما أسروا أربعمائة وخمسين أسيرا سنة ٥٩٤هـ /١١٩٧م،[٥٠] وبلغ عدد أسرى دمياط سنة ٦٤٧هـ /١٢٤٩م، ألف وستمائة أسير موزعين على أيام الحرب هناك[٥١].

ومجمل القول، أن وقوع عشرات الآلاف من الأسرى الصليبيين بعمليات محاصرة المدن والقلاع والحصون، قد هيأ المجال أمام المسلمين لترجيح كفة القوة وإجبار الصليبيين على طلب الصلح وتبادل الأسرى بين الطرفين عن طريق الاتفاقيات والمعاهدات والصلح والهدنة.

لقد شكلت العمليات الحربية الزنكية والأيوبية المتعاقبة، السوط الضاغط على الصليبيين للإسراع في فك أسرى المسلمين وعودتهم إلى أهلهم، كما أنها حققت أموالا طائلة من فداء القادة الصليبيين الذين وقعوا بالأسر، وكانت تلك الأموال قد أمنت موردا مهما للزنكيين والأيوبيين واستخدم جزء منها لفداء بقية الأسرى المسلمين من الصليبيين[٥٢].

كان تمسك المسلمين من الأهالي في المناطق الخاضعة لنفوذ الصليبيين بهويتهم وعقيدتهم الحضارية والدينية وبمختلف صورها هو الآخر قد أسهم في فكاك الأسرى المسلمين وتخليصهم من الأسر، إذ أن سكان المناطق الريفية المجاورة لمدينة عكا مثلا، كانوا يخفون الأسرى المسلمين عن عيون الصليبيين ويساعدوهم من الوصول إلى ديارهم[٥٣].

رابعا: الهدايا

إن هذه الطريقة في تخليص الأسرى المسلمين كانت محدودة في أعدادهم، لكنها شكلت حضورا، لتعبر عن محاولة إبداء حسن النية والتمهيد للصلح الذي يطلبه الصليبيون من المسلمين، ويلجأ الصليبيون إلى ذلك عندما يمرون بحالة ضعف ولكسب الوقت فيراسلون ويقدمون الهدايا إلى أمراء المسلمين، ومن تلك الهدايا عددا من الأسرى، فعلى سبيل المثال، سيَر أمير طرابلس بوهيمند الرابع إلى الملك العادل الأيوبي سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٧م، هدايا ثمينة وثلاثمائة أسير مسلم مقابل الموافقة على الصلح[٥٤]، وأرسل الصليبيون سنة ٦٦٥هـ /١٢٦٦م إلى حاكم غزة هدايا وعدداً من الأسرى المسلمين[٥٥]، ويشير النويري[٥٦] «أن الصليبيين أرسلوا جماعة من الأسرى المسلمين هدايا».

خامسا: الفداء بالأموال

يعد أهم الطرائق وأوسعها طيلة قرنين من الزمان على الرغم من أن الإحصائيات لا توردها المصادر بقدر الإشارة إلى حضورها، وتم تأمين الأموال اللازمة من نفقات الدولتين الزنكية والأيوبية لفكاك الأسرى، وهما يطبقان الشريعة) الإسلامية باجماع وجوب تخليص الأسرى المسلمين من أعدائهم بالقوة والقتال كالاستنقاذ الذي مر آنفا، أو بالمال أو بأية طريقة مناسبة ومتاحة، ولأجل ألا يترك المسلمون أسراهم تحت الأعداء مضطهدين معذبين، فإن على المسلمين في فيئهم أن يفادوا أسراهم[٥٧]، وأصبح من واجب من يتحمل مسؤولية المسلمين ومصالحهم من حكام وسلاطين، تخليص أسراهم بالوسائل المستطاعة، ومنها المال، وعد هذا الأسلوب واضحا من أجل تأمين الأموال المخصصة للفداء، فهناك عدة منافذ وموارد لذلك وهي:

١. مسؤولية الدولة بتخصيص النفقات اللازمة لتخليص الأسرى وفدائهم.

٢. الأوقاف العامة والخاصة.

٣. من الغنائم وأفدية الأمراء والقادة الصليبيين الأسرى.

٤. مشاركة الأمراء والفقهاء والأثرياء والعامة من الناس.

وعلى سبيل المثال، عن مسؤولية الدولة، نجد أن السلطان نور الدين محمود زنكي قد خصص الأموال لذلك، وأنه أنفق ذات مرة أكثر من اثني عشر ألف دينار لفداء الأسرى المغاربة[٥٨]، كما أوقف الأوقاف الخاصة لفكاك الأسرى[٥٩]، وخصص القائد صلاح الدين الأيوبي مائتي ألف دينار لفكاك أهل القدس[٦٠]، وأوقف مغل بلبيس في مصر لفكاك الأسرى المسلمين[٦١].

وكانت الغنائم بحق تشكل موردا من أوسع موارد الدولة الزنكية التي كانت دوما في حالة حرب على الأعداء، وكانت من نتائج الحرب المادية والمعنوية تأتي لصالحها أغلب الأحيان، ويقول سبط بن الجوزي،عاد نور الدين بعد فتح حارم سنة ٥٥٩هـ /١١٦٣م إلى حلب بالأسارى ثم فداهم بالمال فأخذ منهم ستمائة ألف دينار، وكان نور الدين يحلف بالله أن جميع ما بناه من المدارس والربط والمارستان وغيرها من هذه المفاداة وجميع ما وقفه منها،[٦٢] ولما وقع صاحب طرابلس الصليبي أسيراً بيد نور الدين زنكي أطلقه لقاء ثلاثمائة ألف دينار ومائة وخمسين أسيرا من المسلمين.[٦٣] وكان جمال الدين، محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني (ت٥٥٩هـ) وزير صاحب الموصل قطب الدين بن مودود بن زنكي يفتدي من الأسرى كل سنة بعشرة آلاف دينار.[٦٤]

أما بخصوص الأوقاف الخاصة بفكاك الأسرى المسلمين من الصليبيين فهي كثيرة،ويعد بذل المال الموقوف من أعظم القربات إلى الله سبحانه وتعالى، فقد أوقف السلاطين والقادة أوقافاً خاصة لفداء الأسرى ومنهم السلطان نور الدين محمود زنكي، وفعل مثله السلطان صلاح الدين الأيوبي،كما مر، ودفع الملك المعظم أبو سعيد كوكبري (٥٤٩-٦٣٠هـ / ١١٥٤-١٢٣٣م) صاحب أربل من صدقاته وأوقافه لتخليص الأسرى المسلمين من الصليبيين ودفع ستون ألف دينار[٦٥] ومما يقوله ابن جبير كذلك[٦٦] أن هناك شخصين من تجار بلاد الشام المسلمين هما نصر بن قوام وابن الدار ياقوت مولى العطافي نصبها الله لفكاك الأسرى المسلمين وبخاصة من هم من أهل المغرب، وأودعت عندهما أموال الوصايا فضلا عن أموالهم لهذا الغرض.[٦٧]،

وأوقف القاضي الفاضل أوقافا لفكاك الأسرى[٦٨]، ومنها تلك الصدقات الجارية الكثيرة ومن أشهرها ريع ربع «دار» بمصر تؤجر بمبلغ كبير، مما قاله في توجهه إلى الحج «اللهم إنك تعلم أن هذا الربع ليس شيء أحب إلي منه، اللهم أشهد أني أوقفته على فكاك الأسرى»[٦٩]. وكان تقي الدين أبو بكر بن يوسف الحكيم(٦٥٧هـ / ١١٦١م) قد أوصى بثلث ماله يصرف على الصدقة وفكاك الأسرى[٧٠]، وكان للأمير علاء الدين طيبرس الوزيري صهر السلطان الملك المظفر (ت٦٨٩هـ / ١٢٩٠م) أوقافا لفكاك الأسرى، ومنها أنه خصص خاناً بدمشق أوقفه لفكاك الأسرى المسلمين وفي السنة يفتك أسرى بالجملة[٧١]، وكان لنائب القاهرة حسام الدين أبو سعيد طرنطاي بن عبد الله المنصور (ت٦٨٩هـ /١٢٩٠م) أوقافا خصصت لتخليص الأسرى المسلمين وفدائهم[٧٢]، وأوقف القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني دار التمر المعروفة بسعتها وتعدد أقسامها ودورها وحوانيتها لفكاك أسرى المسلمين من الصليبيين[٧٣]. وفي سنة ٦٦٤هـ /١٢٦٥م قدم فخر الدين بن جلبان من بلاد الصليبيين بعدة من الأسرى قد فكهم بمال الوقف المسير من جهة الأمير جمال الدين

النجيبي نائب دمشق[٧٤]، كما جهز فخر الدين بن جلبان ومعه القاضي شمس الدين الإخنائي مسؤول الخزانة بثلاثمائة ألف دينار مصرية لفكاك الأسرى سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م[٧٥].

وأسهمت الخواتين من النساء وأهل اليسار والثراء في تخصيص أموالهم في سبيل فك الأسرى وفداهم، كما شارك أهل الشام من الأمراء والعامة في هذا العمل الذي يبغون الصدقة لوجه الله تعالى لتخليص أسراهم.[٧٦].

سادسا: شراء الأسرى من التجار

إن عملية شراء الأسرى المسلمين من التجار والأسواق معروفة، وهناك الكثير من الشواهد التاريخية، ومنها ما قام به قاضي القضاة جلال الدين القزويني (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) الذي خصص لكل من يحضر أسيرا مسلما من الصليبيين مبلغا من المال وكتب بذلك مكتوبا، وعرفه التجار، فسعوا فيه وجعلوه من جملة سلع التجار.[٧٧] وقام بعض الأمراء المسلمين ومنهم من آل منقذ بشراء الأسرى المسلمين وتخليصهم من الصليبيين، فعم أسامة – عزالدين أبو العساكر- فك أسر مسلمة واشتراها بخمسمائة دينار وسلمها إلى أهلها، وافتدى أسامة بن منقذ من ملك الصليبيين فلك أف أنجو (Folk of Anjou)، ويروي أسامة أن أحد القراصنة الصليبيين واسمه وليام، خرج في مركب في البحر، فاستولى على مركب لحجاج مسلمين مغاربة وعددهم قرابة أربعمائة حاج، فعرضهم للبيع في أسواق القدس، فاشترى أسامة بن منقذ عددا منهم من أمواله، كما اشترى عدداً آخر للأمير معين الدين أنر [٧٨].

وكان تبادل النصر والهزيمة بين المسلمين والصليبيين، قد أوقع أعدادا كبيرة من الأسرى من الطرفين، وتحول من هؤلاء الأسرى إلى الأسواق ليباعوا رقيقا، ومنهم من استخدم في أعمال السخرة والأعمال الحقيرة والبناء.

وأسهم التجار الصليبيون في نقل جماعة من أسرى المسلمين وأنزلوهم المدرسة العادلية الكبيرة وتم فكاكهم من ديوان الأسرى بنحو ستين ألف دينار بشرائهم من هؤلاء التجار[٧٩].

الخاتمة

نستنتج مما تقدم، أن الزنكيين والأيوبيين قد أدوا دورا تاريخيا مشهودا بفكاك الأسرى المسلمين من أعدائهم الصليبيين بطرائق عدة وفقا لظروفهم وظروف الصليبيين، وخلصوا عشرات الآلاف من ضنك الأسر والعذاب ليعودوا إلى أهلهم وبلدانهم أحرارا، ويسهموا بالجهاد مع إخوانهم الآخرين، وكانت طرائق الفكاك متداخلة بعض الشيء، إلا أن لكل طريقة مساحتها في تخليص الأعداد التي أوردتها المصادر التاريخية، وحقيقة الأمر أن الزنكيين والأيوبيين قد تحملوا المسؤولية التاريخية في رعاية مصالح المسلمين، وأنجزوا واجبهم بشكل مشرق.

المصادر والمراجع

★ من المؤرخين والبلدانيين الذين أطلقوا على الصليبيين تسمية الفرنجة أو الأفرنجة هم: ابن القلانسي، ابن الأثير، ابن العديم، ابن واصل، ابن شداد، العماد الأصفهاني، المقريزي، القلقشندي، ابن تغري بردي، ابن كثير، بدر الدين العيني وغيرهم.

★★ الباحث ركز على الدولتين الزنكية والأيوبية،وهناك تكملة في العصر المملوكي يمكن أن يفرد لها بحث خاص.

١. عن معركة ملازكرد، ينظر للمزيد: عبيد، طه خضر: تاريخ الدولة البيزنطية ٣٢٤-١٤٥٣، عمان، دار الفكر، ٢٠١٠، ١٨٥-١٨٦.

2. Robert, Le ,Moin '' History Iherosotimitana ,R.u.c. occt.117,727-730.pp.405; Munro, D.C., The Speech of Pop Urban II at Clermont ,American Historic Review, XI, 1906, pp.234-242.

٣. قاسم، قاسم عبده: ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة (١٤٩)، الكويت، دار السلاسل،١٩٩٠، ٩٢-٩٣.
٤. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٠،١٩٦٦/٣٧٣.
٥. ابن الأثير، المصدر السابق، ١٠/ ٥٥٣-٥٥٤ ؛ خليل، عماد الدين: الامارات الارتقية في بلاد الشام والجزيرة (٤٦٥-٨١٢هـ /١٠٧٢ - ١٤٠٩م)، بيروت مؤسسة الرسالة،. ٢٤١.
٦. أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي: أخبار النورية والصلاحية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧، ١/ ٧٥.
٧. أبو شامة: المصدر السابق، ١/ ٥٧.
٨. ابن العديم، كمال الدين أبي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦،. ١/ ٤٠٠؛أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر،بيروت، دار المعرفة، د.ت، ١/٣٥٦؛ المقريزي: السلوك، ١/ ١٥.
٩. ابن شداد: النوادر السلطانية في المحاسن اليوسفية،أو سيرة صلاح الدين،تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤ ١/ ١٣، ٢٤؛ المقريزي، المواعظ، ٢/ ٤٣٨؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن،: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر د.ت، ٢/ ١٢٧.
١٠. ابن الأثير، المصدر السابق، ١١/ ٥٤٥؛ ابن شداد، المصدر السابق، ١/ ١٣٢.
١١. ابن شداد، المصدر السابق، ١/ ٦٣.
١٢. ابن الأثير، المصدر السابق،١١/ ؛ ابن شداد، المصدر السابق، ٦٦، ٦٧؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤ ، ٢٨/ ٢٦٨.
١٣. أبو الفداء: المصدر السابق، ١/ ٣٨٣؛ المقريزي، السلوك، ١/ ١٨٤.
١٤. عن الأسرى الصليبيين، ينظر، عمران، محمود سعيد: القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين ٤٩٣-٥٣١هـ /١١٠٠-١١٣٧م، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٦؛ وعن نقل الأسرى المسلمين إلى يافا وعكا ينظر:ابن منقذ، مؤيد الدين أبو مظفر بن مرشد الكناني الشيرزي: كتاب الاعتبار،تحقيق فيليب حتي، بيروت، الدار المتحدة للنشر، ١٩٨١، ٨٩،٨٢.
١٥. ابن العديم: المصدر السابق، ٢/ ١٩٩.
١٦. ابن منقذ، المصدر السابق،٨٩،٨٢.
١٧. ابن الأثير: المصدر السابق،١١/ ٥٤١.
١٨. للمزيد عن اتفاقيات الملك العادل ينظر: غوانمة، يوسف: معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج، عمان، دار الفكر، ١٩٩٥.
١٩. أبو شامة، المصدر السابق، ١/ ١٤٤.
٢٠. عوض، محمد مؤنس احمد: فن الصراع الإسلامي الصليبي، السياسة الخارجية للدولة النورية، القاهرة، بيت الدراسات والبحوث، ١٩٩٨، ١٧٤ وما بعدها؛ وعن الأمراء الصليبيين الأسرى، ينظر، عمران، المرجع السابق.
٢١. أبوشامة: المصدر السابق،١/ ٤٢٨؛وليم الصوري:الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٠، ٢/ ٩١٩-٩٢٠.
٢٢. ابن الأثير، المصدر السابق، ١١/ ٤٥٥-٤٥٧.
٢٣. النويري: المصدر السابق، ٢٨/ ٢٦٣.
٢٤. النويري: المصدر السابق، ٢٨/ ٢٦٨.
٢٥. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال ،الفاهرة، جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٣،١/ ٩٩.
٢٦. ابن شداد: المصدر السابق، ١/ ١٩٤.
٢٧. ابن الأثير، المصدر السابق، ١١/ ٥٣٩؛ ابن شداد: المصدر السابق، ١/ ١٣٢.
٢٨. النويري: المصدر السابق، ٢٨/ ٢٦٩.
٢٩. أبو الفداء: المصدر السابق، ١/ ٣٥٩؛ النويري، المصدر السابق، ٢٩/ ٧٥.
٣٠. المقريزي، احمد بن علي:السلوك لمعرفة دول الملوك،تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٧١، ١/ ٦٣.
٣١. المقريزي: السلوك، ١/ ٩٨.
٣٢. النويري: المصدر السابق، ٢٩/ ٣٥٦.
٣٣. بدر الدين العيني، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ابن حسين الغيتاني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت،١/ ١١٨.
٣٤. ابن العديم: المصدر السابق، ١/ ٤١٦.
٣٥. ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد الكناني: رحلة ابن جبير، بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٨١، ٢٥٢؛ ابن شداد: المصدر السابق،١/ ١٧٤.
٣٦. ابن الأثير، المصدر السابق، ١١/ ٥٣٩.
٣٧. ابن شداد: المصدر السابق، ١/ ١٦٥.
٣٨. ابن الأثير، المصدر السابق، ١٢/ ٦٧.
٣٩. ابن العديم، المصدر السابق، ١/ ٢٧٤.
٤٠. ابن الأثير، المصدر السابق، ١٠/ ٥٤٣-٥٤٤.
٤١. ابن الأثير، المصدر السابق، ١٠/ ٥٥٣-٥٥٥.

42. ابن العديم، المصدر السابق، ١/٣١٤؛ النويري، المصدر السابق، ٩٢/٢٧.
43. أبو الفداء، المصدر السابق، ١/٣٢٣.
44. أبو الفداء، المصدر السابق، ١/٣٣٧؛ وليم الصوري،المصدر السابق، ٢/٨٨٩.
45. ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية،بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٧، ١٢/٣٠٢.
46. ابن كثير: المصدر السابق، ١٢/٣٤٨.
47. ابن شداد: المصدر السابق، ١/٧٧؛ العماد الأصفهاني، محمد بن صفي: الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود، القاهرة، الدار القومية للطباعة، ١٩٦٥، ١٩٧؛ ابن كثير، المصدر السابق، ١٢/ ٣٤٨.
48. ابن كثير، المصدر السابق، ١٢/ ٣٤٨.
49. أبو شامة: الذيل على الروضتين، ١٣.
50. المقريزي، السلوك، ١/١١٠.
51. المقريزي، السلوك، ١/١١٠.
52. ابن منقذ: المصدر السابق ،١٠٦.
53. المقريزي، السلوك، ١/٤٦.
54. المقريزي، السلوك، ١/١٨٧.
55. النويري: المصدر السابق، ٣٠/٨٨.
56. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي: الجامع الصحيح، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، السعودية، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ٨/١٧؛ابن تيمية احمد بن عبد الحليم: الفتاوى، تحقيق أنور الباز وعامر الجزار ، السعودية، دار الوفاء، ٢٠٠٠، ٢٨/٦٣٥؛ والنووي، محيي الدين: روضة الطالبين وعمدة المفتين، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت ، ١٠/٢١٦.
57. أبو شامة: المصدر السابق، ١/٣١.
58. ابن جبير، المصدر السابق، ٢٨٠.
59. أبو شامة: المصدر السابق، ١/١٨٩.
60. أبو شامة، المصدر السابق، ١/١٨٢.
61. سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر بن قزاوغلي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر آباد – الدكن، دار المعارف العثمانية، ١٩٥٢ ، ٨/٢٤٧-٢٤٨.
62. ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٠/٢٤٩.
63. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ت، ٢٢/٣٣٦؛ ابن كثير، المصدر السابق، ١٣/١٣٧.
64. العصامي، عبد الملك حسين بن عبد الملك: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، القاهرة، د.ت،٤/٤؛ ابن كثير: المصدر السابق، ١٢/ ٢٤٨.
65. ابن جبير، المصدر السابق، ٢٥٢.
66. ابن جبير، المصدر السابق، ٢٥٣.
67. العماد الاصفهاني، البرق الشامي، تحقيق فالح حسين، عمان، مؤسسة عبد الحميد شومان، ١٩٨٧،٢/٣٤٠؛ الذهبي، المصدر السابق، ٢١/٣١٠.
68. الذهبي، المصدر السابق، ٢١/٣٠٠؛المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٢/٢٣١؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار ابن الاثير،٢٠٠٤ ، ٦/٥٣٣.
69. الصفدي، صلاح الدين بن ايبك: الوافي بالوفيات، بيروت، دار إحياء التراث العربي،٢٠٠٠، ٣/٤١٨.
70. بدر الدين العيني ، المصدر السابق، ١/٢١٧؛ ابن كثير، المصدر السابق، ١٣/٣١٩.
71. ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٣/٣٧١؛ الصفدي، المصدر السابق، ٥/١.
72. المقريزي: المواعظ ٢/٣١.
73. المقريزي، السلوك، ١/١٨٣.
74. المقريزي، السلوك، ١/٢٠٠.
75. ابن جبير، المصدر السابق، ٢٥٣.
76. النويري، المصدر السابق، ٣٣/١٨٤.
77. ابن منقذ، المصدر السابق، ١٠٦.
78. ابن كثير، المصدر السابق، ١٤/١٢٩، وعن ديوان الأسرى ينظر المقريزي، الخطط ٣/١١؛ ويذكر القلقشندي، أن ديوان الأسرى هو المختص بالأوقاف التي تخصص لفداء الأسرى المسلمين،احمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق يوسف علي طويل، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٧،٤/ ١٨٨، ١٢/ ٣٩٠.

عبد الرحمن الجيلالي
المؤرخ الرائد والعلاّمة المجدِّد

الأستاذ/ محمد سيف الإسلام بوفلاقة
عنابة – الجزائر

عبد الرحمن الجيلالي المؤرخ الرائد والعلامة المجدِّد

بعد مسيرة حافلة امتدت أكثر من قرن وسنتين(١٩٠٨-٢٠١٠م) رحل العلاّمة الجزائري الكبير عبد الرحمن الجيلالي بالجزائر يوم: ١٢تشرين الثاني(نوفمبر)٢٠١٠م.

لقد كان الراحل مؤسسة قائمة في رجل ، قدم خدمات جليلة، وأعمالاً هامة، تعجز عن القيام بها فرق بحث في مؤسسات كبيرة، شملت نشاطاته مختلف الميادين الأدبية، والتاريخية، والفنية، والدينية، والإعلامية، وقد أنتج كتباً، وبحوثاً أفادت، وستظل تفيد أجيالاً، نظراً لشموليتها، وعدم اقتصارها على فترات، وعصور محددة.

وقد ظل الفقيد –رغم تقدم سنه –يتمتع بحيوية عجيبة، وحضور عقلي واجتماعي متميز...، كما ظل طوال مسيرته دائم الحركة والعمل، بشوشاً خلوقاً مع كل من يلقاه أو يتحدث إليه.. حمل الجزائر في عقله، وقلبه، ووجدانه، وحسه وطناً وتاريخاً وجغرافية، وأمة، وحضارة، وقيماً، كما تميز بالتواضع والبساطة، ورحابة الصدر، والمثابرة، والصبر، والدأب، فهو لا يكل ولا يمل من البحث والتنقيب في مآثر شعبه الجزائري والعربي ، ما إن انتهى من بحث حتى شرع في آخر، مذللاً شتى الصعاب التي واجهته، وما أكثرها.



صورة للعلاّمة الشيخ عبد الرحمن الجيلالي

وتميز عبد الرحمن الجيلالي بدفاعه عن اللغة العربية، والدين الإسلامي الحنيف الوسطي المعتدل، داعياً إلى الحوار، والتسامح، ونبذ التطرف والغلو، وهو واحد من المصلحين المجددين ممن أسهموا في إثراء الحركة العلمية، والفكرية ببلادهم، واستنهضوا الهمم إلى النهضة والتحديث، وحرصوا على تقديم صورة صادقة

مقالات

وموضوعية عن تاريخ بلادهم بفضل موسوعيته، وشموليته، وبفضل تفقهه في الدين أضحى أحد أهم المراجع الدينية في الجزائر.

جمع الشيخ بين العلوم الدينية، والشرعية، والتاريخ، والأدب، عرفناه فقيهاً مُلماً بالتاريخ، والأدب، والفكر الإسلامي، قدم دراسات رصينة، ومعمقة عن حركة المجتمع الجزائري، والعربي الاجتماعية والسياسية. وعنه يقول صديقه الشيخ عبد الرحمن شيبان؛ رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إنه«شخصية متعددة الفضائل في شتى المجالات، فهو من الناحية الثقافية: أديب، مؤرخ، وفقيه، وهو من الناحية الاجتماعية: معلم، وواعظ مرشد، وهو من الناحية الدينية: متق لله تعالى، عامل بكتابه وسنة رسوله، ﷺ، نصوح للأمة، صالح مصلح، يؤيد الحق...، ومن الناحية السلوكية، فهو لطيف المعشر، يألف ويؤلف، يقدر أهل العلم والفضل»[١].

وكما يصفه الدكتور عمّار طالبي؛ رئيس المجلس العلمي للشؤون الدينية بالجزائر فهو«يمثل جيلاً كاملاً، وشاهداً على عصر تاريخ الجزائر الحديث، انتفعت الجزائر برمتها من علمه ومعارفه، وهو أحد المحدثين والفقهاء الذين يصعب مجاراتهم علمياً، وأول من ألف في التاريخ الجزائري بعد أحمد توفيق المدني، ومبارك الميلي، ويُعتبر ممن عاصروا سلاسل من الأحداث التاريخية»[٢].

إن عبد الرحمن الجيلالي واحد«من أولئك الذين خفقت قلوبهم بعامل عاطفة العروبة والإسلام، ومن أولئك الأشراف الذين تحلوا بأخلاق الدين الإسلامي الحنيف، واجتهدوا في نشر تعاليمه بمختلف الوسائل». فهو« قطب من الأقطاب، وعلم من الأعلام، وركيزة من ركائز العلم في التاريخ والثقافة والجهاد والانضباط، ملتزم في أخلاقه، وعلمه، ووطنيته وقضايا أمته، كذلك في مواعيده، بحيث يمكن لأي إنسان ضبط ساعته على مواعيده، هو قرن من العطاء درس على يد أعلام الجزائر العاصمة، وواصل على درب أساتذته في التعليم، والتربية، والكتابة والتأليف، وهو واحد من الذين كونوا جيلاً من العلماء والمجاهدين»[٣] وظل معطاء لوطنه الجزائر، وأمته العربية، والإسلامية إلى آخر أيام حياته.

وتتجلى أهميته في حركة التفكير التاريخي بالجزائر، من حيث إنه أحدث جملة من التحولات بإسهاماته، وقد شكل إنتاجه نقلة لها وزنها، فبعد أن كان التاريخ الجزائري بيد المستعمر الفرنسي الذي عمل على تزويره، وتحريفه، وطمسه، وتشويهه نهض عبد الرحمن الجيلالي بمهمة جليلة لملم من خلالها تراث بلاده من خلال كتابه الشهير: «تاريخ الجزائر العام»، ومن يطلع على هذا الكتاب يُلاحظ بأنه قد اتسم برؤية علمية موضوعية، وتصدى للطروحات الاستعمارية، وكان هدفه الرئيس هو ربط وطنه بعالمه العربي والإسلامي، متصدياً للأهداف الاستعمارية التي تسعى إلى تفتيت البلاد الجزائرية، وفصلها عن بعدها الحضاري العربي والإسلامي. وقد كتبه بأسلوب علمي واضح، ولغة فصيحة بينة، فكان نموذجاً للمؤرخ الوفي المثابر، هانت أمامه الصعاب والمثبطات، وقدم دراسة هامة، وموسوعة لا يمكن لأي مهتم، وباحث في التاريخ الجزائري أن يتجاوزها، فكشف النقاب عن الكثير من الخبايا، واستطاع تصويب جملة من المفاهيم، فهي درة فريدة رفدت ذاكرة التاريخ الجزائري على مر العصور والأزمنة الغابرة.

حياته (موجز ترجمته):

ولد عبد الرحمن الجيلالي بحي بولوغين بالجزائر العاصمة سنة: ١٩٠٨م، ويعود نسبه إلى آل الشجرة الموسوية القادرية، ويذكر الدكتور الهاشمي العربي أن نسبه يعود إلى قبيلة «زوّارة»

من منطقة القبائل الكبرى، وأصله من قرية «سيدي علي موسى» التي تنسب إلى ولي صالح من مدينة«معاتقة».

حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ودرس على عدة شيوخ في المساجد والزوايا، وتلقى بالجزائر العاصمة مبادئ اللغة العربية، وعلم الفقه، وعلوم الشريعة، وعلم الكلام، وتتلمذ على عدد من كبار العلماء الجزائريين الذين يعدون من وجوه النهضة الجزائرية في ذلك الزمن، فقد كانت مدينة الجزائر العريقة«في بدايات القرن الماضي فضاءً خصباً لنشاط ثقافي وديني غني قاده أعلام من الفقهاء والأدباء والكتاب، من أمثال: الشيخ محمد السعيد بن زكري الزواوي المتوفى سنة: ١٩١٤م، الذي كان مدرساً بالجامع الأعظم، وإماماً بجامع سيدي رمضان بالقصبة ومفتياً شهيراً على المذهب المالكي، وكذلك الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان يشرف على تسيير الحركة التعليمية بالمدارس الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي كان مقرها بنادي الترقي بساحة الشهداء بالعاصمة، والذي كان ملتقى للنخبة المثقفة حيث كان يحتضن أمسيات ثقافية كان ينشطها مجموعة من الأعلام من أمثال: الطيب العقبي، والشيخ العربي التبسي، وغيرهما من المشايخ»[٤]. ومن أبرز الأساتذة الذين درّسوه العلاّمة الشيخ عبد الحليم بن سماية؛الذي كان أحد كبار العلماء في ذلك الزمن، وترك عدداً من الآثار الهامة من بينها كتاب: «فلسفة الإسلام»وكتاب: «اهتزاز الأطوار»، وكتاب: «الكنز المدفون والسر المكنون»، والشيخ العلاّمة أبو القاسم الحفناوي؛ صاحب الكتاب الشهير الموسوم ب: «تعريف الخلف برجال السلف»، والشيخ المولود الزريبي؛المصلح، والمناضل الثائر، والعلاّمة الفذ الدكتور محمد بن أبي شنب؛شيخ المحققين الجزائريين في ذلك الزمن، والمترجم البارز، وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق، والذي يعتبره الكثير من الدارسين بأنه أول من حصل على شهادة الدكتوراه في الوطن العربي، والشيخ محمد السعيد بن زكري الزواوي، الذي كان يعمل إماماً بجامع سيدي رمضان بحي القصبة.

ولا ريب في أن تتلمذه على عدد من أمثال هؤلاء العلماء الأفذاذ قد أثر أيما تأثير في شخصيته وتكوينه، إضافة إلى عصاميته، واعتماده على ذاته، واجتهاده الشخصي، وبعد انتهاء تعليمه درّس الشيخ الجيلالي في عدة مدارس من بينها: «مدرسة الشبيبة الإسلامية»التي كان يديرها أمير الشعراء الجزائريين؛محمد العيد آل خليفة، ومارس الخطابة، والإمامة بعدة مساجد، مثل: «الجامع الكبير»، و«الجامع الجديد»، و«جامع سيدي رمضان».

وبعد الاستقلال عين أستاذاً باحثاً بالمتحف الوطني للآثار بالجزائر، وعين سنة: ١٩٧٠م أستاذاً للفقه المالكي بمعهد تخريج الأئمة بولاية البليدة، كما تولى تدريس مادة: «مصطلح الحديث» بجامعة الجزائر المركزية سنة: ١٩٨٣م، ونظراً لتعدد اهتماماته، وثقافته الموسوعية، وفكره العميق، فقد عين في الكثير من اللجان العلمية التاريخية والدينية، كما كان عضواً بالمجلس الإسلامي الأعلى، وكان من أبرز المساهمين في لجنة الفتوى التي كان يشرف عليها العلاّمة أحمد حماني، إضافة إلى عضويته في الديوان الوطني لحقوق التأليف، والعديد من اللجان الأخرى.

حصل الشيخ عبد الرحمن الجيلالي عبر مسيرته على العديد من الجوائز والتكريمات، من بينها: جائزة الجزائر الأدبية الكبرى سنة: ١٩٦٠م، كما كرمه رئيس الجمهورية الجزائرية الأسبق الشاذلي بن جديد سنة: ١٩٨٧م، ومنحه شهادة اعتراف وتقدير لجهوده العلمية الكبيرة،

وخدماته الجليلة التي قدمها للثقافة العربية والإسلامية.وفي سنة: ٢٠٠٣م، وبتوصية من رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة، كرّمته جامعة الجزائر، ومنحته شهادة دكتوراه فخرية، تقديراً لإسهاماته الكبيرة، وقد سلمها له الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، وبمناسبة بلوغه قرن من العمر سنة: ٢٠٠٨م، كرمته مؤسسة الشروق في احتفالية ضخمة حضرها عدد كبير من كبار العلماء الجزائريين.

جهوده العلمية، وإسهاماته الإعلامية:

تنوعت، وتعددت نشاطات وأعمال الشيخ عبد الرحمن الجيلالي، في شتى مجالات المعرفة، فقد ترك إنتاجاً علمياً زاخراً في شتى الميادين التاريخية، والأدبية، والدينية، والإعلامية.

لقد كان شغوفاً بالدراسات التاريخية الوطنية، وصاحب وعي كبير برسالة المؤرخ في نفض الغبار عن تاريخ بلده، فنجح في ذلك نجاحاً كبيراً، من خلال سعيه لتصفيته من الشوائب التي علقت به، و إبراز رموزه، وبطولاته، وتعريف الأمم والشعوب بالجهد الذي بذله القُدامى في البناء الحضاري، والثقافي، والعلمي.

وقد تجسد اهتمامه وشغفه من خلال الكثير من الكتب التي ألفها، في طليعتها كتابه: «تاريخ الجزائر العام»، و هو الكتاب الذي اشتهر به، حتى أضحى لصيقاً باسمه، فعندما يتحدث المرء عن عبد الرحمن الجيلالي المؤرخ يتبادر إلى ذهنه مباشرة كتاب: «تاريخ الجزائر العام»الذي هو عبارة عن موسوعة ضخمة، يعتبر من أهم ما كُتب عن تاريخ الجزائر منذ العصور الغابرة، وصولاً إلى ما بعد العهد العثماني، وهو«يشتمل على إيجاز واف مفصل لتاريخ القطر الجزائري في جميع أطواره وحركاته السياسية، والاجتماعية والعلمية والدينية والأدبية والفنية والاقتصادية والعمرانية والصناعية مع تراجم العباقرة وأرباب القرائح من مشاهير الجزائريين منذ أقدم العصور إلى غاية تاريخ تأليفه، ويحتوي الكتاب على جملة من الخرائط التاريخية الهامة، ولوحات مصورة»(٥). وقد تولى الشيخ توسعته، وتنقيحه من طبعة إلى أخرى، وأعيد طبعه أكثر من عشر مرات، كانت طبعته الأولى سنة: ١٩٥٣م، في جزء واحد، ثم صدر بعدها في جزأين، ثم في أربعة مجلدات ضخمة، وصدر مؤخراً في خمسة أجزاء.

وقد ألف العلاّمة عبد الرحمن الجيلالي هذا الكتاب بعد إلحاح العديد من الكتّاب والأدباء عليه للنهوض بتأليف كتاب شامل عن تاريخ الجزائر، بعد أن عرفوا موسوعيته، وأدركوا إلمامه الوافي بالتاريخ الجزائري والعربي التليد، وعن دوافع تأليفه لهذا السفر الضخم يقول عبد الرحمن الجيلالي في تقديمه للكتاب: «باسم الحرية المقدس أتقدم مُلبياً إخواني حفظهم الله تعالى الذين هم كثيراً ما أسمعوني إلحاحهم المؤكد في وضع كتاب موضح لتاريخ الوطن الجزائري الكريم جامع للحقائق التاريخية مجردة آتٍ بذكر تفاصيل الوقائع معللة بأسبابها ونتائجها منذ أقدم العصور إلى الآن... مع اشتراطهم عليّ بأن يكون ذلك في أسلوب سهل، وتعبير حر، ونظام عصري، وطريقة واضحة...! ولعمري إن البعض من هذا في موضوع واسع كهذا لينوء بالعصبة أولي القوة فكيف بهذا العاجز الضعيف!... فاعتذرت للرفقة الكرام بشتى المعاذير فلم يقبلوا، وشرحت لهم ضعفي وقصوري أمام كل هذه القيود والظروف الضيقة فلم ينصفوا، بل إنهم ثبتوا مصممين على رأيهم راسخين فيه رسوخاً لا يغيره تنقل الزمان وتلونه، ولا علل الدهر وحوادثه... بل ما زادهم ذلك إلا صلابة في التمسك برأيهم وحدة فيه، ولسانهم الناطق يقول: لا ملجأ ولا منجى لك منه ولا سبيل إلا إليه. فلله الأمر من قبل ومن بعد!..وأخيراً رضخت لطلبهم وأسعفتهم

في اقتراحهم (مكره أخاك لا بطل) بوضع هذا السفر المتواضع، مقتصراً فيه على ذكر الأهم فالأهم من حوادث التاريخ الجزائري الماجد، مُحكماً فيه الروح العلمية والأمانة التاريخية المحضة، مُتجرداً ما استطعت من كل تحمس أو انفعال كيفما كان نوعه أو تعدد مثاره.جامعاً فيه ما لا يسع الإنسان جهله. ولا يحسن-بالجزائري على الأخص-إغفاله، مكتفياً في بعض المواضع بالإشارة الخاطفة إلى أبرز الوقائع وأهمها، وذلك لضيق المجال عن التفصيل، أو لقلة فائدته؛مع الالماع إلى سير العمران والحضارة الجزائرية وسيرة مشاهير الوطنيين من عباقرة الجزائر في مختلف العصور والأحقاب»[٦].

وقد حرص الشيخ في تأليفه لهذا السفر على تقديمه بأسلوب سهل، ومبسط، ومفيد، حتى يستفيد منه الباحثون المتخصصون، وعامة القراء، وعند حديثه عن منهجه في الكتاب تظهر لنا أخلاق الشيخ الفاضلة، وتواضعه الجم، حيث يقول: «نزهته جهد المستطاع عن كل تعقيد وإبهام، سالكاً فيه مسلكاً سهلاً بسيطاً لا يحتاج فيه المتعلم الناشئ، و لا القارئ العادي إلى كدح ذهن، ولا جهد فكر، ولا إعنات روية. ولا أدعي الفضل في ذلك، حيث إنني لم أجيء فيه بشيء جديد أو مبتكر حديث، وإنما هو جمع وتدوين لما كنت سطرته لنفسي وجمعته من تاريخ وطني العزيز المشتت هنا وهناك!... مع تنسيق نصوصه الوثيقة ووضعها حسب نظامها الطبيعي من فجر التاريخ إلى الآن. وتعمدت الإيجاز في القسم الأول الخاص بما قبل الإسلام لعدم تعلق الغرض الشديد به اليوم، وأسهبت مشبعاً البحث في العصور الإسلامية إسهاباً يحمل الشاب المسلم الجزائري على احترام بلاده، وتمجيد تاريخه اللامع العظيم، والثقة بمستقبله الزاهر النير، مع نفخ روح القومية فيه، وإعداده لوصل حاضره بماضيه، حتى تتكامل فيه أركان الحياة الأربعة: المحافظة على شخصيته وميزته، وتقديس أسلافه الأمجاد، والتمسك بدينه، والعمل على الإشادة بوطنه...، وأعتقد أنني بذلك خلصت تاريخنا الماجد من أن يبقى مكتوباً عرضاً ضمن تاريخ الأمم والشعوب، والأقطار المستعمرة، أو أن يكون كفصل ملحق بكتاب مبعثر مشوه العرض، أرجو ذلك إن شاء الله»[٧].

وبعد صدور الجزء الأول من الكتاب عن المطبعة العربية سنة: ١٩٥٣م ، حينما كانت الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي«سارعت جريدة المنار إلى بيت الشيخ الجيلالي، وحاورته في مضمون هذا الكتاب، ودوافع تأليفه وهو مازال قيد الطبع، قال لهذه الجريدة أن دافعه الأساس من كتابة هذا التاريخ هو غموضه، وتشعبه وتشتته. وأنه لحد الآن لم يدرس دراسة واضحة فأردت أن أطهره من هذه العيوب كلها التي جعلت الناس يجهلونه، وسيردد هذا الكلام في عام: ١٩٩٠م عندما صرح لجريدة السلام قائلاً: لأنني رأيت الجزائر مهضومة التاريخ كتبت تاريخ الجزائر. وأضاف الشيخ عبد الرحمن الجيلالي في الحوارين السابقين أنه كان يقصد من تأليف ذلك الكتاب بث الوعي القومي لدى الجزائريين، عند قراءتهم لهذا التراث الذي يؤكد لهم أنهم ينتمون لأمة تملك تاريخاً ماجداً تستطيع أن تفتخر به.

وكانت طريقة الشيخ الجيلالي في كتابة التاريخ تعتمد على سرد الأحداث حسب تسلسلها التاريخي، وذكر مشاهير الجزائر في ذلك العصر، ووضع جدول تاريخي يلخص ما ورد في الكتاب»[٨].

كما ذكر في إحدى المرات بأنه قد شرع في تأليف كتاب: «تاريخ الجزائر العام» منذ شبابه، حينما كان يُدرس بمدرسة الشبيبة الإسلامية، حيث إنه كان يُلفي صعوبة كبيرة في تدريس تاريخ الجزائر، والكتاب المؤلف والمتوفر آنذاك هو كتاب العلاّمة

التونسي عثمان الكعاك الموسوم ب: «موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي»، ومنذ ذلك الحين عزم على تأليف كتاب: «تاريخ الجزائر العام»، مُستعيناً بالمخطوطات التي كانت عنده، وفي بعض المساجد، إضافة إلى كراريسه التي يحضر فيها الدروس لطلبته، وقد نجح الشيخ الجيلالي أيما نجاح في تأليفه لذلك الكتاب الهام فمن يتأمله يدرك بأن الرجل قد اعتزل الناس، وقضى حياته بين الكتب والأوراق، باحثاً ومُنقباً، وبفضل هذا السفر النفيس، كما رأى الدكتور أبو عمران الشيخ؛رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، أنقذنا العلاّمة عبد الرحمن الجيلالي من السموم التي بثها بعض المستشرقين المجحفين في كتاباتهم التي غزت الجامعات، والمعاهد، والمكتبات الجزائرية والعربية.

وقد رأى العلاّمة الجزائري الدكتور عبد الملك مرتاض في كتابه: «نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر: ١٩٢٥-١٩٥٤م» أن كتاب الشيخ عبد الرحمن الجيلالي أحد أهم الكتب التي أسهمت في بروز النهضة التاريخية في الجزائر، حيث يقول عن الكتاب: «تقرأ تاريخ الجيلالي، فتجدك أمام مؤرخ غني، يريد أن يُطلعك على كل شيء، ويريد أن يجعلك تلم بما ألم، وتفيد من كل ما قرأ، أو درس من كتب تاريخية، وغير تاريخية، فالتاريخ للأمة الجزائرية وحدها، ولكن الجيلالي لم يقنع بهذا، فمضى يتحدث لك عن الأمة العربية بوجه عام، وأنها أعقل الأمم وأرقاها تفكيراً...

إن هذا التاريخ ذو شأن أي شأن في النهضة الثقافية الجزائرية المعاصرة.فقد أنفق الجيلالي من الوقت، وعانى من الجهد، في تأليف هذا الكتاب، ما تشهد به مادته الخصبة، ومعارفه الواسعة.فهو كتاب هام لا غنى عنه لأحد يريد أن يلم بتاريخ الجزائر خلال أطوار التاريخ المتباعدة التي عالجها، ونحسب مخلصين، أن الجيلالي قد أدى بهذا الكتاب لنهضتنا الثقافية المعاصرة في الجزائر صنيعاً عظيماً»(٩).

كما قدم الدكتور عبد الملك مرتاض دراسة وافية عن هذا الكتاب، وقسم محاسنه إلى خمسة محاسن رئيسة، حيث يقول عنه: «وأول ما تبدى لنا من محاسن هذا الكتاب، أنه يعد موسوعة ضخمة للمعارف التاريخية، فهو خليق بأن يفيد القارئ إفادة عميقة، إذ كان عبارة عن عرض مفصل طويل لسائر الأحداث الهامة التي كان لها صلة مباشرة أو غير مباشرة، بالجزائر منذ العصور البعيدة الممعنة في القدم إلى أيام الأتراك. فهو تاريخ غزيرة مادته، غنية معارفه، وواسعة مسالكه. فالذي يقرؤه لا يخرج منه بإلمامة شاملة لتاريخ الجزائر فحسب، ولكنه يخرج منه ملماً بكل ما يتصل بذلك من قريب أو بعيد، فقد يستطيع القارئ أن يلم بطرف صالح من تاريخ الإسلام، وبشيء كثير من أحوال الدول التي اعتورت أرض الجزائر خلال العصور التاريخية المتباعدة، وبمقدار هام يتصل بالدول التي كانت تجاور الجزائر، أو تتصل بها على نحو أو على آخر كدول المغرب وتونس، ومصر.

ثانياً: إن الجيلالي لم يفته أن يثبت جداول تاريخية تقيد الحوادث التاريخية الهامة التي وقعت على عهد الدولة التي يؤرخ لها في كل فصل من فصول كتابه الرئيسية، ولم يعن بالحوادث التاريخية في هذه الجداول فحسب، وإنما عمد إلى إثبات فهارس تاريخية تتصل بالدول الأخرى كالدولة العباسية مثلاً...

وتسائلني عن فائدة كل هذا، فلا أملك إلا أن أسارع إلى القول، بأن فائدة هذا عظيمة جداً، لأن القارئ يستطيع أن يجني ثمرة الكتاب التاريخية من أقرب طريق، وأيسر سبيل...

وثالث المحاسن في كتاب الجيلالي ما خصصه

من فصول لدراسة النواحي الثقافية، والحضارية، والمذهبية خلال الفترة الزمنية التي أرخ لها.فهو بعد أن يعالج المسائل التاريخية البحتة، يخلص إلى الأنحاء الفكرية والمذهبية فيتناولها في إيجاز، ولكنه نافع مفيد.فكان هذا الكتاب من أجل ذلك مصدراً هاماً من مصادر المعرفة ليس في مجالي التاريخ والحضارة فقط، ولكن في الثقافة والفكر بوجه عام أيضاً. وهذه حسنة مشرفة من حسنات الكتاب...

ورابع محاسن هذا الكتاب خلوه من الانفعالات العاطفية، لأن المؤرخ ينبغي له أن يتحلى بصفة الهدوء والتروي في معالجة الوقائع التاريخية، وتحليلها تحليلاً موضوعياً هادئاً رزيناً...

وخامس محاسن الكتاب استشهاده بالنصوص الكثيرة الطويلة المختلفة التي تؤيد مذهبه، أو تدعم حجته في تقرير رأي، أو إصدار حكم، ولم تك هذه النصوص تاريخية كلها، بل إن المؤرخ عول على النصوص الأدبية كثيراً. وقد عول على النصوص الشعرية بوجه خاص. وهذه طريقة ناجحة في تعجيل وقائع التاريخ، لأن المؤرخ البارع ينبغي له أن لا يحجم عن الاستعانة بالنصوص الأدبية في تفسير حادثة، أو للتدليل على أمر ذي بال»(١٠).

ومن الكتب التاريخية الهامة التي ألفها عبد الرحمن الجيلالي كتاب: «ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب»، وهو كتاب هام ألفه عن أستاذه العلاّمة الكبير بن أبي شنب الذي توفي سنة: ١٩٢٩م، وعرض فيه لجهوده العلمية، وخدماته الكبيرة في ميدان تحقيق التراث، والتأليف وقد لقي هذا الكتاب أصداء طيبة، وقبولاً واسعاً، ورحبت به مجلة «الشهاب» الجزائرية أيما ترحيب، كما دعت في حديثها عنه كل جزائري يجري في عروقه دم الشهامة والغيرة الإسلامية إلى اقتناء هذا الكتاب ومطالعته.

كما ألف كتاب: «تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدية، مليانة)»، وذلك بمناسبة مرور ألف سنة على تأسيس هذه المدن من قبل«بولوغين بن زيري الصنهاجي»، وقد عرض في هذا الكتاب باستفاضة، وتوسع لتاريخ الثلاث مدن، مُركزاً على التطورات، والتحولات التي شهدتها هذه المدن منذ تأسيسها، وقد طبع هذا الكتاب في الجزائر، وصدر سنة: (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، وهو عبارة عن إعداد ودراسة وتمهيد وتعليق.

ومن كتبه الهامة كتاب: «ابن خلدون في الجزائر»، تحدث فيه عن العلاّمة عبد الرحمن ابن خلدون حينما حلّ بالجزائر، وأقام فيها عبر مراحل مختلفة.إضافة إلى كتاب عن: «عملة الدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر» نشرته إدارة التربية الوطنية بالجزائر، وكتاب عن: «الثقافة والحضارة والعمران بالجزائر»، سلط فيه الضوء على أهم المعالم الإسلامية، والآثار الخالدة بالجزائر، مُركزاً على الجوانب العمرانية، والحضارية.

ومن خلال كتابه: «المستشرقون الفرنسيون والحضارة الإسلامية»أبرز رؤية عدد من المستشرقين الفرنسيين للثقافة والتراث الإسلامي، وقد اعتمد في هذا الكتاب على التحليل، والتعمق مع كتاباتهم، ورؤاهم المقدمة عن الحضارة والفكر الإسلامي.

وقد ركز في مقالاته، وأبحاثه على الدين الإسلامي، وعلوم الفقه، ومن بين مؤلفاته في هذا المجال نذكر كتاب: «عناصر الفقه المالكي»، وكتاب: «الحج إلى بيت الله الحرام»، وكتاب خاص بالمساجد في الجزائر: نشرته وزارة الأخبار في مجلدات سنة: ١٩٦٧م، سلط فيه الضوء على المساجد العريقة بالجزائر، إضافة إلى الكثير من الدراسات الإسلامية، والفتاوى.ومن أعماله التي لا

تزال مخطوطة كتاب: «الاستشراق الغربي والثقافة الإسلامية»، وكتاب: «تاريخ الموسيقى العربية»، وكتاب: «شرح على كتاب الجوهر المرتب في العمل على الربع المجيب»للشيخ المكي بن عزوز.

كما كتب مجموعة من النصوص الأدبية، منها أعمال مسرحية، مثل: «المولد»، و«الفجر»، وقد حظيت باهتمام كبير من قبل الكتاب، والأدباء، وأعجبوا بها أيما إعجاب، داخل الوطن وخارجه، فمسرحية: «المولد»مثلت عدة مرات، وبُثت في الكثير من الإذاعات العربية، والدولية في مصر، ولندن، ونيويورك، وباكستان، وغيرها من البلدان.

ولا يمكن أن تُذكر جهود العلاّمة عبد الرحمن الجيلالي، ويغض الطرف عن جهوده وإسهاماته في ميدان الإعلام، فقد التحق بالقسم العربي بالإذاعة الجزائرية سنة: ١٩٤٠م، وأسهم في تطويرها، وإثرائها ببرامجه المتميزة مدة ما يزيد عن أربعين عاماً، فعُرف في البدء ببرنامج: «لكل سؤال جواب»، و«كان يُركز فيه على مفاخر التاريخ القومي الإسلامي، فاستحسنته الجماهير، ونال رضاها، وبسبب نجاحه قررت إدارة الإذاعة إنتاج برنامج آخر هو «رأي الدين في أسئلة المستمعين» الذي لعب دوراً كبيراً في توعية الناس بحكم اعتماده على نهج الإصلاح الديني، وقد كان يجيب فيه على أسئلة المستمعين بطريقة مبسطة، وأسلوب سهل يفهمه الجميع، وفق منهج وسطي معتدل، ثم تحولت أحاديثه إلى دروس ونشريات دقيقة مباشرة، مكتوبة بأسلوب متميز سهل الفهم بعيد عن التعقيد»[١١].

لقد انطلق فضيلة الشيخ«يناضل، ويجاهد بالكلمة الصادقة، ويساهم من خلال الراديو في النهضة من أجل الإصلاح الديني، وتوعية الجماهير العريضة، وقد تطوع الشيخ فجعل من أحاديثه دروساً غاية في الدقة ذات أسلوب متميز، سهل المنال، لا غموض فيه، كلمات منقحة يستحسنها الخاص والعام بعيدة عن التفلسف، والآراء الضيقة... ومع الأيام حول الإذاعة إلى منبر للتربية والتوجيه، وتميزت أحاديثه الإذاعية بالجدية، والدقة، والصرامة، واستحسنها الجمهور العريض، ودعمها بكثرة رسائله فأصبحت حصصاً أسبوعية قارة ودائمة في البرنامج يتولى فيها فضيلة الشيخ الجواب على أسئلة المستمعين، ويدلي برأي الدين في مختلف القضايا المادية، والمعنوية فأخذت شكلاً من أشكال الفتوى والتوجيه الديني، يُراسلها كل الناس، ويستفتونها في قضاياهم الدينية والدنياوية، واستمرت الحصة بدون انقطاع»[١٢]، ودامت أكثر من أربعين عاماً، وبفضل هذه الحصة ازداد الشيخ شهرة حتى أضحى«أيقونة دخلت كل البيوت، وتربت على صوته أجيال من الجزائريين، فمن ذا الذي ينسى صوت ذلك الشيخ العاصمي الوقور، وهو يقول مع بداية كل حصة: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، قبل أن يشرع في إرشاد الجزائريين إلى دينهم، مستعيناً ببرهان العالم، وبيان الفقيه، وسعة إطلاع المؤرخ»، ونشير إلى أن منهج الشيخ عبد الرحمن الجيلالي في قراءة وفهم الإسلام هو منهج وسطي معتدل، حيث يذكر في هذا الشأن تلميذه، ورفيق دربه الدكتور الهاشمي العربي الذي رافقه في جميع رحلاته تقريباً إلى الكويت، ومصر، ولبنان، وتونس، والعراق، وسوريا، وليبيا، أن عبد الرحمن الجيلالي كان يعمل بالمنطق إلى أقصى الحدود، وكل ما هو مضاد للمنطق في الإسلام غير مقبول لديه، بل ومرفوض رفضاً مُطلقاً، وما تميز به في محاضراته، وأحاديثه، وأبحاثه هو أنه«كان يعتمد في محاضراته على المراجع الدينية الأساسية، والبحوث الحديثة في مجالات الطب والاجتماع. وفي هذا السياق ألقى محاضرة في شبابه في نادي النهضة بالبليدة في ماي: ١٩٣٣م استشهد فيها بموقف ولي عهد السويد الذي أعلن لمواطنيه أنه

أقلع عن شرب الخمر، ودعاهم إلى الاقتداء به في ذلك. وتحدث أيضاً عن قيام الولايات المتحدة الأمريكية بتحريم الخمور بسائر أنواعها، وتكلم عن عدد من الدراسات الحديثة التي أثبتت علمياً أضرار الخمر المختلفة»[١٣].

وفي أواخر الثمانينيات، ومع التحولات التي عرفتها الجزائر انفصل عن الإذاعة، ولما نصب الروائي الراحل الطاهر وطار مديراً للإذاعة الوطنية الجزائرية، حرص على إعادة الشيخ عبد الرحمن الجيلالي للإذاعة الوطنية، وطلب منه أن يواصل تقديم برنامجه الذي اشتهر به، كما وضع الطاهر وطار سيارة تحت تصرف الشيخ، ولكنه رفضها، وفضل المشي على الأقدام، وقد ساهم في الإذاعة في هذه المرحلة لفترة قصيرة، وسرعان ما غادرها نظراً للظروف الصعبة التي كانت تمر بها الجزائر، وعن إسهاماته في الإذاعة، ومدى تأثيره في المستمعين يقول الروائي الراحل الطاهر وطار: «صار صوت الشيخ عبد الرحمن الجيلالي جزءاً من وجداننا، وصارت حصته، هي كل كتابنا المرجعي، الإمام مالك وسيدي خليل، وابن أبي زيد القيرواني...لا أحد منا يشكك فيما أفتى به الشيخ، بل إن معلمي القرآن، ومن يمكن تسميتهم بفقهاء الدشرة، وحفاظ سيدي خليل، يعتمدونه اعتماداً مُطلقاً»*.

وفيما يتعلق بإسهاماته الصحفية، فللشيخ بصمات راسخة في التأسيس للنهضة الصحافية بالجزائر حيث إنه كتب عشرات المقالات المتنوعة منها التاريخية، والأدبية «في عدة جرائد ومجلات من بينها: النجاح، والإقدام، والبصائر، والشهاب، وهنا الجزائر، والأصالة، والثقافة، والشعب...إلخ. وركز في مقالاته وبحوثه على أعلام الجزائر أمثال: المكي بن عزوز، ومحمد البشير الإبراهيمي، ومبارك الميلي، وعبد الحليم ابن سماية، وحواضرها مثل: الجزائر، بجاية، تلمسان، قسنطينة، المدية... ليبين إسهامات هذه البلاد في الثقافة العربية الإسلامية في العصور القديمة والحديثة، وقد حفر بكتاباته ومحاضراته وأحاديثه مكاناً مرموقاً بين الفقهاء والمؤرخين»[٤]. ولعب الشيخ دوراً بارزاً في النهوض والارتقاء بالمجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، حيث كان يؤكد على ضرورة تنظيم الحياة الأدبية والروحية، وبالتالي فلابد من تنشيط الحركة الإعلامية من خلال تكثيف المنشورات الثقافية والإعلامية المتخصصة، فساهم في تأسيس مجموعة من الصحف، والمجلات، من بينها مجلة: «الأصالة»الجزائرية التي كانت واحدة من أهم المجلات الثقافية، والفكرية في المغرب العربي، وكانت تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر، وساهمت في الترويج لملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر، وهو ملتقى عالمي كان يحضره عمالقة المفكرين في العالم الإسلامي، إضافة إلى مفكرين من العالم الغربي، وكانت تدار فيه مناقشات فكرية هامة ، ويقول عبد الرحمن الجيلالي في حديثه عن هذه المجلة«أردنا أن تكون هذه المجلة منبراً حراً، وباباً للمناقشة، والرد فيها مفتوح للجميع، وسخرنا لهذا النشاط الأدبي مجهودات كبيرة، فانعقدت الملتقيات، واشتهر منها (ملتقى التعريف بالفكر الإسلامي)، والتي كان يُستدعى إليها أساتذة جامعيون، وباحثون، من العالم الإسلامي وغيره، ويتضمن جدول الملتقيات مواضيع رئيسية تهم الأجيال الصاعدة»[١٥]. وبدوره أسهم في ملتقى الفكر الإسلامي بأبحاثه، ومحاضراته، وتعقيباته، ومناقشاته، في أربع عشرة طبعة منه، وكذلك لعب دوراً هاماً في تنظيم نظارات وزارة الشؤون الدينية في العديد من الولايات الجزائرية، وكتب الكثير من الأبحاث عن المعالم التاريخية الهامة في الجزائر، وركز على الآثار الإسلامية العريقة، والمباني المعمارية العتيقة المنتشرة بالجزائر

العاصمة، مثل: الجامع الكبير، وجامع سيدي رمضان، ومسجد ضريح العلاّمة عبد الرحمن الثعالبي، وسواها من المعالم التاريخية التليدة، «كما توسع في أبحاثه، وركز على الزخارف المعمارية، والصناعية الدقيقة، واهتم بأشكال المحارب، والمنابر، والمنارات وغيرها، وذهب يشير إلى الحفريات الأثرية، ونتائجها الإيجابية والسلبية، وتعددت أبحاث الشيخ، وشملت العمران والإنسان في مختلف مراحل أطوار حركة المجتمع الجزائري السياسية والعلمية، وتميزت كتاباته بالدقة والشمولية، واتسعت إلى البحوث والكشوف الأركيولوجية، والأثرية، وهذا ما جعلها تحظى بإعجاب، وتقدير، واهتمام الدارسين، في الجزائر، والوطن العربي، والعالم الغربي، وقد استفاد منها عدد كبير من الباحثين المعاصرين، وتناولوها في دراساتهم وأبحاثهم بالإشادة والتقدير، واتخذوها مصادر وشواهد في كتاباتهم»[١٦]. وكثيراً ما كان عبد الرحمن الجيلالي يربط تاريخ الجزائر بتاريخ الوطن العربي، ويربط المدن الجزائرية بالمدن العربية، بغرض توطيد الصلات بين أقطار الوطن العربي، وتسليط الضوء على التراث المشترك، والعلاقات الوطيدة، وعندما طُلب منه الكتابة عن مدينة تلمسان الجزائرية سنة: ١٩٧٥م في مجلة: «الأصالة»، في العدد الخاص الذي خُصص لتاريخ مدينة تلمسان وحضارتها، لم يختر أي موضوع سوى موضوع علاقة تلمسان بالقدس العربي الشريف، فأسهم في ذلك العدد بمقال موسوم ب: «تلمسان والقدس الشريف»، ومما قاله في ذلك المقال: «أنا لا أكاد أرتاح لذكر مدينة الجدار تلمسان، إلا بذكر اسمها مقروناً باسم مدينة القدس المباركة من تلك الأرض المقدسة أرض فلسطين؛ بل ولا أجد في نفسي اطمئناناً، ولا أشعر برضى من التاريخ-وأنا أكتب كلمتي المختصرة هذه عن تلمسان والحرب اليوم قائمة مابين العرب عرب فلسطين، وإسرائيل فلا يطيب لي ذلك ما لم أذكر بالروابط التاريخية العديدة التي تربط بين تلمسان والقدس فهي تمتد إلى زمن بعيد ضاربة في أعماق التاريخ القديم والحديث أيضاً، وهي تزيد على رابطة الجنس والدين، واللغة بما تأصل هناك من روابط وصلات أخرى أدبية، واجتماعية، وسياسية، وما إلى ذلك من أعمال كثيرة هي من قبيل البر، والخير، والإحسان. إن تضامن الجزائر مع فلسطين ليس هو وليد الساعة، ولا هو بنتيجة ظروف خاصة، وإنما هو متأصل في القدم له جذوره العميقة في الأزل يجمعه بها شعور إنساني عام فوق ما هنالك مما يجتمعان عليه من لحمة الدم واللغة و التاريخ، ومنها تلك الروابط الوثيقة التي كان أن ربطها بين البلدين رواد المغرب العربي، ونزلوا خير منزل بتلك الديار المقدسة أرض فلسطين العربية الشهيدة...»[١٧]. وختم المقال بقوله: «أنا أقترح اليوم ربط مدينة تلمسان بمدينة القدس الشريف تثبيتاً وثيقاً لما بينهما من علاقة الصداقة والود والإحسان حتى تستمر هذه العلاقة متصلة فتضل منتظمة لا تنفصم و لا تزول بحول الله»[١٨].

وفي العدد الذي خصصته مجلة: «الأصالة» لمدينة بجاية وحضارتها عبر العصور ساهم فيه ببحث عنوانه: «لمحة عن زحف علي بن غانية الميورقي على بجاية: ٥٨٠هـ/١١٨٤م».

إضافة إلى كتابته للعديد من الأبحاث الهامة في مجلة: «الثقافة» التي تصدر عن وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، من بينها بحثه الهام الذي كتبه عن العلاّمة الشيخ مبارك الميلي بمناسبة مرور أربعة عقود على وفاته سنة: ١٩٨٤م، فتحدث عنه بإسهاب مُعدداً خصاله، ومناقبه، ومُشيداً بجهوده، وخدماته الجليلة، وجميع ما ذكره عبد الرحمن الجيلالي عن العلاّمة مبارك الميلي ينطبق عليه انطباقاً تاماً، فهو يتحدث عنه، وكأنه يصف نفسه، فيقول: «لقد وُفق حقاً وصدقاً فيما اختاره هذا الرجل العظيم

لخدمة أمته، فإن أهم ناحية يخدم بها العالم العامل أمته هي تطهير المعتقد مما لصق به من الضلالات والخزعبلات وتجلية عقيدة التوحيد، وإرجاع قوة الإسلام بنفي العقائد التي هي أجنبية عنه، والتي أدخلت الضعف في نفوس أهله حتى أصبحوا بسببها في أسوء حال من حيث أوضاعهم الاجتماعية وحياتهم السياسية والاقتصادية، فللعقيدة الدينية الدور الأهم في كل ما قام به هذا الشعب الجزائري من أعمال في مختلف الميادين خلال التاريخ من يوم اعتناقه للإسلام، وذلك لأن للعقيدة الدينية دخلاً كبيراً في جميع الحركات والسكنات عند المسلمين قاطبة...، ولقد كان لعلم التاريخ فضل علينا عظيم في تعرفنا إلى هذه الشخصية البارزة العظيمة، وقد كان طيب الله ثراه صبوراً دؤوباً على البحث مغال في التحقيق والتدقيق مع مهارة منقطعة النظير في المقابلة بين النصوص، وكانت له نظرة صائبة في استجلاء الغوامض، وحكم صادق في أسباب الحوادث ونتائجها، ومهارة في الترتيب والتبويب مع حسن سبك يجعل التاريخ كالسلسلة المفرغة»[١٩].

كما كان عبد الرحمن الجيلالي مُلماً، وخبيراً بفن الموشحات، ولاسيما منها الموشحات الدينية، وقد زاوج بين الجوانب الدينية، والفنية، وتعود معرفته بهذا الفن منذ مزاولته لدروسه بمسجد ضريح الشيخ عبد الرحمن الثعالبي حيث«كانت فرقة الحضرة تعقد هناك حلقات للذكر كان يشرف عليها فضيلة الشيخ بوقندورة المفتي المالكي للعاصمة، وهو أستاذ محيى الدين باشا تارزي، عميد الحركة المسرحية بالجزائر، ومن مزايا احتكاك الشيخ الجيلالي ببعض أفراد هذه المجموعة الصوتية للمدائح الدينية، اهتمامه واطلاعه الواسع بأصول الطرب التقليدي الكلاسيكي، حيث التفت إلى فن النغم، والموشحات والأزجال الأندلسية، وهو فضيلته متمكن من هذه الفنون، ويدرك أصولها حق الإدراك»[٢٠]، وعندما قرر الديوان الوطني الجزائري لحقوق التأليف تدوين الإبداعات الأدبية والفنية الجزائرية القديمة، من قصص، وألغاز، وأمثال شعبية، وموشحات، وأشعار، وغيرها من شتى الفنون الشعبية كان من أوائل الذين تمت الاستعانة بهم الشيخ عبد الرحمن الجيلالي، فأدى مهمته خير أداء، وأفاد اللجان المتخصصة في جمع التراث الغنائي والشفوي أيما إفادة، حيث إنه كان يحفظ عشرات الأمثال، والحكم، والقصص، والأشعار، والأغاني القديمة عن ظهر قلب، ولولاه لضاع جزء كبير من ذاكرة الآداب، والفنون الجزائرية.

فذلكة:

لقد احتل عبد الرحمن الجيلالي مكانة علمية راقية، فالمتطلع لمسيرته يقف إجلالاً، واحتراماً لهذه الشخصية العلمية المتميزة، بأعمالها، وإبداعاتها الكثيرة، والمتنوعة في شتى حقول المعرفة، و إذا كنا نرغب في جمع خصال الشيخ العلمية والأخلاقية فإننا نقول لقد كان عبد الرحمن الجيلالي رجلاً لطيف المعشر، واسع العلم، غزير الإنتاج، سلس الكلام، هادئ المعاملة، دقيق الملاحظة، عزيز النفس، وبرحيل هذا العلاّمة فإن الجزائر، والأمة العربية والإسلامية تكون قد فقدت رجلاً مخلصاً وطنياً متمسكاً بثوابت وطنه، وأمته. سيظل نضاله، وعطاؤه، وفكره المستنير ساكناً فينا ما حيينا. وسيبقى خالداً بأعماله، وإنجازاته، وكتاباته التاريخية، والفقهية، ومواقفه الصلبة، وستتخذه الأجيال الصاعدة قدوة لها في الدفاع عن قيم البلاد ووحدتها، وفي تأصيل البحث التاريخي. ولعل خير ما نختتم به هذه الورقة فقرة كتبها العلاّمة عبد الرحمن الجيلالي عن الشيخ المكي بن عزوز«وهو يعدد خصاله، ويشيد بجهوده، ويدعو إلى الوفاء لذكراه، وهي عبارة. تنطبق عليه اليوم، حيث يقول: إن هذا الرجل أحيى هذا القطر بعلمه فمن الواجب على القطر أن يحيى ذكره، ويخلده بعد موته»[٢١].

عبد الرحمن الجيلالي المؤرخ الرائد والعلامة المجدِّد

الهوامش والإحالات:

(١) ينظر كلمة الشيخ عبد الرحمن شيبان؛ رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، يوم تكريم العلاّمة عبد الرحمن الجيلالي بمؤسسة الشروق بمناسبة بلوغه قرن من العمر سنة: ٢٠٠٨م، منشورة تحت عنوان: «عبد الرحمن الجيلالي، بطاقة تعريف موجزة»، أسبوعية البصائر الجزائرية، العدد: ٤٠٩، ١٤-٢٠ رمضان١٤٢٩هـ/١٥-٢١سبتمبر٢٠٠٨م، ص: ٠٢.

(٢) ينظر شهادة الدكتور عمّار طالبي، جريدة الجزائر نيوز، السبت: ١٣ تشرين الثاني(نوفمبر)٢٠١٠م، في قسم: قالوا عن العلاّمة.جمعها: عبد اللطيف بلقايم، ص: ٢٤.

(٣) يُنظر شهادة الشيخ محمد إيدير شوشان، جريدة الخبر، السبت، ٧ ذي الحجة١٤٣١هـ، ١٣ تشرين الثاني(نوفمبر)، قسم قالوا عن الشيخ عبد الرحمن الجيلالي، ص: ١٧، جمعتها: هيبة داودي.

(٤) ينظر أسبوعية البصائر: العلاّمة عبد الرحمن الجيلالي سيرة ومسيرة، قسم: رجال صدقوا، العدد: ٥٢٢، ٠٩-١٥ذو الحجة١٤٣١هـ/١٥-٢١نوفمبر٢٠١٠م، ص:١٧.

(٥) عبد الكريم ليشاني: الشيخ عبد الرحمن الجيلالي نجح بعلمه الغزير وثقافته الموسوعية، أسبوعية البصائر الجزائرية، العدد: ٥٢٤، ٢٣-٢٩ذو الحجة١٤٣١هـ/٢٩نو فمبر٥٠ديسمبر٢٠١٠م، ص: ١٣.

(٦)عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت، بالاشتراك مع مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط: ٠٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م، ج: ٠١، ص: ٧-٨.

(٧)عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج: ٠١، ص: ٨-٩.

(٨) د.مولود عويمر: العلاّمة عبد الرحمن الجيلالي: ذاكرة الأمة، ينظر: أسبوعية البصائر الجزائرية، العدد: ٥٢٣، ١٦-٢٢ ذو الحجة١٤٣١هـ/٢٢-٢٨نوفمبر٢٠١٠م، ص:١٧.

(٩) د.عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ١٩٢٥-١٩٥٤م، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٣م، ص: ٢٢١، ٢٣٨.

(١٠) د.عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ١٩٢٥-١٩٥٤، ص: ٢٢٤ وما بعدها.

(١١) ينظر: جريدة الشروق اليومي الجزائرية: الشيخ العلاّمة عبد الرحمن الجيلالي، مائة عام في خدمة القرآن والجزائر، العدد: ٢٤٠٣، ١١ رمضان١٤٢٩هـ/١١سبتمبر٢٠٠٨م، ص: ٨.

(١٢) عبد الكريم ليشاني: الشيخ عبد الرحمن الجيلالي نجح بعلمه الغزير وثقافته الموسوعية، المرجع السابق، والصفحة نفسها.

(١٣) د.مولود عويمر: المرجع السابق، والصفحة نفسها.

* جريدة الجزائر نيوز، السبت: ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر)٢٠١٠م، ص: ٢٤.

(١٤) د.مولود عويمر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(١٥) عبد الكريم ليشاني: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(١٦) عبد الكريم ليشاني: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(١٧)عبد الرحمن الجيلالي: تلمسان والقدس الشريف، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد: ٢٦، رجب-شعبان١٣٩٥هـ، جويلية-أوت١٩٧٥م، ص: ١٠٤-١٠٥.

(١٨) عبد الرحمن الجيلالي: تلمسان والقدس الشريف، المرجع نفسه، ص: ١١٠.

(١٩) عبد الرحمن الجيلالي: من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلاّمة النابغة الشيخ مبارك الميلي (رحمه الله)، مجلة الثقافة، السنة الرابعة عشرة، العدد: ٨٠، جمادى الثانية، رجب١٤٠٤هـ، مارس-أبريل١٩٨٤م، ص: ١٨٩ وما بعدها.

(٢٠) عبد الكريم ليشاني: المرجع السابق، والصفحة نفسها.

(٢١) د.مولود عويمر: المرجع السابق، والصفحة نفسها.

الأهمية الاستراتيجية لدُور صناعة السفن في فتح الأندلس وجزرَ البحَر المتوسط

الدكتور عماد هادي علوّ
بغداد - العراق

المقدمة

لمَّا كان لموقع الحدث التاريخي تأثيرات مباشرة وغير مباشرة على مجريات الأحداث التاريخية، تفرضه المنطقة أو السكاني، جغرافي الذي تجري عليه الأحداث التاريخية، فإن منطقة **البحر المتوسط** تميزت بأهمية موصولة لا تكاد تنقطع من النواحي الاقتصادية والسياسية والجيوستراتيجية وهذه الأهمية جعلت البحر المتوسط جسراً للتبادل الحضاري بين الشعوب التي عمرت سواحله من خلال تفاعلها الحضاري فكان البحر المتوسط مركزاً حضارياً ومنطقة التقاء وتفاعل بين حضارات الشرق والغرب. لذلك فإن حرص العرب المسلمين على بناء وعمارة الموانئ والمدن الساحلية في **البحر المتوسط** وجعلها مراكز للجذب السكاني، تجسد من خلال تأسيس صناعة بحرية متميزة مكنتهم من السيطرة على البحر المتوسط خصوصاً خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين. حيث أسهم العرب في دراسة تطوير فن الحرب لاسيما في الجوانب الإدارية والفكرية والإستراتيجية والعلمية، خاصة إبان الفتوحات الإسلامية التي انطلقوا بواسطتها لنشر الدعوة الإسلامية وإيذاناً ببدء بناء مجد إسلامي حربي عظيم ساهم في إغناء الفكر البشري والتراث الإنساني بما يتعلق بفن الحرب أو الإستراتيجية الحربية في البر أو البحر، وبذلك سبقوا في فهمهم ونظرتهم للحرب المفكرين الأوربيين في إعطاء أهمية للجانب العلمي والصناعي في الإعداد والاستعداد للحرب، لاسيما الحرب في البحر من خلال الاهتمام الكبير ببناء دور صناعة السفن ونشرها في المناطق الساخنة أو مناطق التعرض والاحتكاك المحتملة مع العدو. ومن هنا فان البحث في الأهمية الإستراتيجية لدور صناعة السفن ودورها في فتح الأندلس وجزر البحر المتوسط، يكتسب اليوم أهمية كبيرة في ضوء تصاعد أهمية البحار والقوات البحرية.

إن الهدف الذي تطمح إليه هذه الدراسة هو الوقوف على الأهمية الإستراتيجية لدور صناعة السفن الإسلامية في فتح الأندلس وجزر البحر المتوسط، ودورها في نشوء وظهور تجمعات سكانية إسلامية امتهنت حرفة ركوب البحر واتخذتها وسيلة للجهاد في سبيل الله و جعل كلمته هي العليا.

ولقد استرشدنا في هذه الدراسة بالمنهج التاريخي، الذي يعتمد في دراسة الظواهر التاريخية

والمعطيات الحضارية على تحليل المعطيات البحثية التي احتوتها المصادر التاريخية حول دور صناعة السفن، وذلك لغرض الوقوف على أهمية الدور الإستراتيجي الذي لعبته دور صناعة السفن في فتح الأندلس وجزر البحر المتوسط.

واستناداً إلى منهج الدراسة، فقد تم تقسيمها على ثلاثة مباحث: تناول المبحث الأول منها: أهمية البحر المتوسط في كتابات المؤرخين المسلمين، لما لذلك من أهمية في الوقوف على طبيعة وانعكاس ذلك على الإستراتيجية العسكرية الإسلامية بشكل عام. أما المبحث الثاني: فقد سلط الضوء على أهم الأماكن والحواضر الإسلامية التي أقيمت وأنشأت بها دور صناعة السفن. في حين انصرف المبحث الثالث: إلى دراسة الدور الذي لعبته ودور صناعة السفن في فتح الأندلس وجزر البحر المتوسط.

المبحث الأول

أهمية البحر المتوسط في كتابات المؤرخين المسلمين

لقد أولى المؤرخون المسلمون لوصف البحر المتوسط أهمية متميزة، وأطلقوا عليه أسماءً عدةً تعكس الاهتمام الكبير للجغرافيين والمؤرخين المسلمين بهذا البحر وسواحله وجزره المهمة ذات الموقع والتأثير الاستراتيجي في منطقة حوض البحر المتوسط، والتي لعبت دوراً مهماً في تاريخ البحر المتوسط وأثرت على مجمل النشاط العسكري والاقتصادي فيه.. فقد وصفه ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان بقوله[1]: «بحر المغرب وهو بحر الشام والقسطنطينية مأخذه من البحر المحيط ثم يمتد مشرقاً فيمر من شماليه بالأندلس كما ذكرنا ثم ببلاد الإفرنج إلى القسطنطينية فيمر ببنطس[2] المذكور آنفاً، ويمتد من جهة الجنوب على بلاد كثيرة أولها سلا ثم سبته وطنجة وبجايه ومهديه وتونس وطرابلس والإسكندرية ثم سواحل الشام إلى إنطاكية حتى يتصل بالقسطنطينية وفيه من الجزائر المذكورة: الأندلس وميورقة وصقلية وأقطريش وقبرص ورودس وغير ذلك كثيرة» [3].

ويؤكد ياقوت الحموي أن تسميات بحر الأندلس وبحر المغرب وبحر السكندرية وبحر الشام وبحر القسطنطينية وبحر الإفرنج وبحر الروم جميعه واحد[4] يراد به البحر المتوسط، الأمر الذي يؤشر إلى تصور وانطباع العرب المسلمين ومنهم ياقوت الحموي حول الوحدة الجغرافية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط لاسيما في حقبة كانت فيها الدوافع الاقتصادية أحد الأسباب الرئيسة للصراع العسكري البحري الذي شهده البحر المتوسط. كما وصفه ابن خلدون في مقدمته المشهورة بقوله: «ومن هذه القطعة تحت طنجة من البحر المحيط إلى البحر الرومي في خليج متضايق بمقدار اثني عشر ميلاً ما بين طريف والجزيرة الخضراء شمالاً، وقصر المجاز وسبته جنوباً، ويذهب مشرقاً... ويسمى هذا البحر البحر الشامي أيضاً، وفيه جزائر كثيرة أعظمها في جهة الغرب يابسة ثم مايرقه ثم منرقه ثم سردانيه ثم صقلية وهي أعظمها ثم بلونس ثم أقطريش ثم قبرص، كما نذكرها كلها في أجزائها التي وقعت فيها ويخرج من هذا البحر الرومي عند آخر الجزء الثالث منه وفي الجزء الثالث من الإقليم الخامس خليج البنادقة. ويخرج منه أيضاً في آخر الجزء الرابع شرقاً من الإقليم الخامس خليج القسطنطينية يمر في الشمال متضايقاً في عرض رمية السهم إلى آخر الإقليم»[5] أن هذا الوصف الدقيق من قبل ابن خلدون لشكل البحر المتوسط ومواقع جزره المهمة تدل على تصور وإلمام دقيق بالملامح الجغرافية لحوض البحر المتوسط من قبل العرب المسلمين، لاسيما المهتمين بشؤون هذه المنطقة والعاملين

فيها، ويستطرد ابن خلدون في وصفه فيتطرق إلى الموانئ المهمة على سواحل البحر المتوسط فيقول «وأما شرقي الأندلس فعلى ساحل البحر الرومي منها بعد المريه قرطاجنه ثم لفته ثم دانيه ثم بلنسية إلى طرطوشه.. ثم في الشرق عن مدينة سالم قلعة أيوب ثم سرقسطه ثم لارده» [٦].

مضايق البحر المتوسط

تُعدُّ مضايق البحر المتوسط جسوراً عبر منها الفاتحون المسلمون باتجاه أوربا. ويُعدُّ مضيق جبل طارق المنفذ الوحيد للبحر المتوسط على المحيط الأطلسي. أما مضيق صقلية فأنه يفصل الساحل الجنوبي الغربي لجزيرة صقلية عن الساحل التونسي بما يساوي مائة وأربعين أو مائه وستين ميلاً وأقرب الأماكن التونسية للجزيرة هي أقليبية[٧] «وهو يومان للريح الطيبة أو أقل[٨]» أو يوم وليله. والساحل الشمالي لجزيرة مالطة امتداده (٤٥) ميلاً بحرياً وعرضه (٤٥) ميلاً بحرياً. ويفصل الطرف الجنوبي الغربي لإيطاليا عن الطرف الشمالي الشرقي لصقلية مضيق مسينا الذي يسميه العرب **مجاز الغار** الذي يبلغ طوله (٢١) ميلاً بحرياً وعرضه من (٢-١١) ميلاً بحرياً وإن الإنسان يذهب إلى إيطاليا ويرجع إليها مرتين أو ثلاث مرات في اليوم[٩]. إن وجود المضايق في البحر المتوسط جعلها مناطق وثوب مثالية لعبور القوات المنقولة على السفن، وكذلك مناطق بؤرية للتصادم والصراع بين الأساطيل[١٠]. ولقد ذكر البلاذري في كتابه فتوح البلدان: ((غزا طارق بن زياد عامل موسى بن نصير الأندلس - وهو أول من غزاها - وذلك سنة اثنتين وتسعين فلقيه إليان وهو وال على مجاز الأندلس)) [١١] ومجاز الأندلس هو ما سمي لاحقاً بمضيق جبل طارق. كما عبر أسد ابن الفرات مضيق صقلية فاتحاً جزيرة صقلية سنة (٢١٢ هـ) [١٢]. وفي سنة(٢٢٨هـ/٨٤٢م) حاصر الفضل بن جعفر الهمذاني بحملة بحرية ضخمة مدينة مسينا[١٣] وفتحها وسيطر المسلمون بعد ذلك على مضيق مسينا ليعبروا إلى جنوب إيطاليا حيث استولى المسلمون على مدينة طارنت[١٤]. لقد كانت مضايق البحر المتوسط كما ذكرنا مناطق التقاء واحتكاك بين أوربا المسيحية والدول العربية الإسلامية، وأن محاور الحركة التي قامت بها الجيوش والقوافل التجارية كان لابد لها أن تمر عبر هذه المضايق عند حركتها من الجنوب إلى الشمال وبالعكس.

جزر البحر المتوسط

أهم الجزر التي لعبت دوراً مهماً وبارزاً في تاريخ حوض البحر المتوسط هي ما يلي:.

- **جزر البليار**. وقد سماها العرب (الجزائر الشرقية) نظراً لوقوعها شرق الأندلس وقد ذكر ابن خلدون أكبر جزر أرخبيل البليار وهي جزيرة مايرقة ومنرقة التي اعتبرها من جزر البحر المتوسط الكبيرة والعامرة [١٥]. وقد بقيت جزر البليار حقبة طويلة مسرحاً للصراع البحري بين العرب المسلمين والفرنجة [١٦].
- **جزيرة سردانية**. ذكرها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان بقوله: «جزيرة في بحر المغرب كبيرة ليس هناك بعد الأندلس وصقلية وأقطريش أكبر منها، وقد غزاها المسلمون وملكوها في سنة (٩٢هـ) في عهد موسى بن نصير»[١٧].
- **كورسيكا** وتقع شمال جزيرة سردينيا، أقرب إلى الساحل الإيطالي منه للساحل الفرنسي. وهي جزيرة جبلية غزاها العرب سنة ٢١٣هـ(٨٢٨م). وجزيرة كورسيكا ذات موقع استراتيجي يفوق في الأهمية موقع جزيرة سردانية[١٨].
- **صقلية**. وهي جزيرة كبيرة مثلثة الشكل، تقع

بين شبه جزيرة إيطاليا والسواحل التونسية. كما أن موقعها الاستراتيجي المقابل لسواحل إفريقية[١٩] يتحكم في الممر ما بين شرق وغرب البحر المتوسط، ولا يفصلها عن إيطاليا إلا مضيق مسينا الذي لا يتجاوز طوله بضع كيلومترات. كما أنها قريبة من اليونان؛ وبالتالي فأن أرضها شهدت صراعاً مريراً بين مختلف الحضارات عبر التاريخ للسيطرة عليها. يقول ياقوت في معجم البلدان: «إن بصقلية ثلاثة وعشرين مدينة وثلاثة عشر حصناً ومن الضياع ما لا يعرف»[٢٠] كما يقول: إن فيها معدن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزئبق وجميع الفواكه على اختلاف أنواعها..

- **أرخبيل مالطة**: يتألف من جزيرتين كبيرتين هما مالطة وقودس تتوسطهما ثلاث جزر صغيرة، هي: جزيرة الكمون اركومنيو وجزيرة كومينوتو وجزيرة فلفولة[٢١]. فتح العرب المسلمون مالطة في زمن الأغالبة سنة (٢٥٦هـ/٨٦٩-٨٧٠م)[٢٢] وأنشؤوا فيها داراً **لصناعة السفن من أشجار الصنوبر** التي تكثر فيها. وأصبحت على هذا النحو قاعدة بحرية هامة دخل منها المسلمون إلى البحر المتوسط والبوابة التي خرجوا منها [٢٣]. وقد استخدمها المسلمون لتأكيد سيادتهم على البحر المتوسط وتأمين سلامة القواعد البحرية ودور الصناعة في صقلية وشمال إفريقيا[٢٤]، وطال مقامهم في مالطة أكثر من صقلية بدليل كون اللغة المالطية عربية تشابه في لهجتها [٢٥] لهجات العرب الشرقيين والمغاربة.

- **جزيرة قوصرة(بونتالاريا)** جزيرة بركانية خصبة تقع في منتصف أقصى مسافة بين الشاطئين الأوربي والأفريقي. في سنة(١٣٠هـ/٧٤٧م) فتح المسلمين قوصرة على يد القائد العربي عبد الرحمن بن حبيب الفهري[٢٦]. وكانت لسيطرة المسلمين على قوصرة (بونتالاريا) أثر كبير في تأمين الدفاع عن سواحل إفريقيا الإسلامية واتخاذها أي قوصرة[٢٧] نقطة وثوب باتجاه صقلية وسردانيا والسواحل الإيطالية[٢٨].

- **جزيرة أقطريش(كريت)**: لعبت أقطريش[٢٩] أو كريت دوراً مهمًّا في العلاقات السياسية البحرية بين المسلمين والبيزنطيين على مدى قرن ونصف من الزمان امتدت من بداية القرن الثالث الهجري وحتى منتصف القرن الرابع الهجري. وهي جزيرة مستطيلة الشكل تبعد(٢٠٠) ميل عن الساحل الأفريقي حيث يقابلها من بر إفريقية لوبيا كما ذكر ياقوت في معجم البلدان [٣٠].

- **جزيرة رودس**. وتقع قرب الساحل الجنوبي لاسيما الصغرى على طريق بحر إيجة وقد تطرق إليها البلاذري في فتوح البلدان حيث قال: « رودس من أخصب الجزائر وهي نحو ستين ميلاً فيها الزيتون والكروم والثمار والمياه العذبة» [٣١] وقد فتحها العرب سنه ٥٢هـ حيث استخدمها المسلمون كنقطة وثوب على الأراضي البيزنطية، لاسيما عند محاصرتهم للقسطنطينية [٣٢].

- **جزيرة قبرص** [٣٣]. «وهي جزيرة في البحر فيما يقال ثمانين فرسخاً في مثلها» [٣٤]. تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من حوض البحر المتوسط قريبة من سواحل الشام الإسلامية، كما تواجه السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى البيزنطية فيما يعرف بإقليم كبيرهايوتس. إن هذا الموقع الاستراتيجي المهم لجزيرة قبرص دفع العرب إلى غزوها سنة(٢٩هـ) وبقي أهلها موزعي الولاء بين المسلمين والبيزنطيين [٣٥].

مقالات

المبحث الثاني

أهم الأماكن والحواضر التي أقيمت وأنشِئَتْ بها دور صناعة السفن

أسباب تأسيس دور الصناعة

لقد واجه بنو أمية تفوق الروم في البحر المتوسط وكثرة عدد سفنهم وحسن درايتهم بالبحر وأحواله وتعرضهم لسواحل المسلمين الواسعة شرق وجنوب البحر المتوسط بترتيب من المقاتلين المسلمين في الثغور والأربطة والمحارس المطلة على البحر على امتداد تلك السواحل. أي بعبارة أدق إيجاد وتكوين مجتمع بحري أو تجمعات سكانية تعمل في البحر وتمتهن حرفته وفنه، وهذه أرفع درجات التخطيط المستقبلي وبعد النظر الاستراتيجي للسيطرة على البحر المتوسط[٣٦]. ولكن هذا الاستعداد والتيقظ لمواجهة هجمات الأسطول البيزنطي لم يكن ليمنع أن يتسلل البيزنطيون لمهاجمة السواحل الإسلامية؛ ولهذا فقد « كان بنو أمية يغزون الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتيه مما يلي ثغور الشام والجزيرة، وتقيم المراكب للغزو وترتب الحفظة في السواحل[٣٧] مما سبق يمكننا القول أن **المسلمين سواء في العصر الأموي أو في العصر العباسي قد أولوا عناية بالغة لاختيار مناطق الثغور والأربطة والمحارس البحرية التي شكلت الأساس الطبيعي لإنشاء وتأسيس دور صناعة السفن والمراكب البحرية لمواجهة الأساطيل البيزنطية في البحر المتوسط.**

وهذا ما يؤكده البلاذري فيقول: «فلما وُلِّيَ أبو جعفر المنصور تتبع حصون السواحل ومدنها فعمرها وحصنها وبنى ما احتاج إلى البناء منها وفعل مثل ذلك بمدن الثغور، ثم استخلف المهدي استتم ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في شحنها»[٣٨]، ويمكننا أن نستنتج من كلام البلاذري أن خلفاء بني العباس قاموا بتعمير الحصون والثغور والأربطة والمحارس، ودعموها بالأسلحة والمؤن وشحنوها بالمقاتلة والمجاهدين المسلمين متبعين نفس نهج بني أمية.

ويشير البلاذري إلى حنكة سياسية كبيرة للخليفة هارون الرشيد ودراية واسعة وعميقة بأهمية المجتمعات البحرية أو التجمعات السكانية البحرية وبناء دور صناعة السفن والمراكب وضرورة دعمها مادياً ومعنوياً وتطويرها لضمان استمرار السيطرة على البحر واستخدامه، حيث يقول البلاذري: «قال معاوية بن عمرو وقد رأينا من اجتهاد أمير المؤمنين هارون في الغزو نفاذ بصيرته في الجهاد أمراً عظيماً؛ أقام من الصناعة ما لم يقم قبله وقسم الأموال في الثغور والسواحل وأشجى الروم وقمعهم»[٣٩].

وقد أثمر بناء دُورِ صناعةِ السفن ونشرها في جميع السواحل والثغور والمرابط والمحارس، وأن تشحن بالمقاتلة[٤٠] من المجاهدين العرب المسلمين الذين[٤١] كانوا يرابطون في ثغور المسلمين البحرية شوقاً للجهاد في سبيل الله. أن لعبت دوراً كبيراً وفعالاً في إسناد فعاليات وعمليات الأسطول البحري الإسلامي ليقوم بواجبات التصدي لخطر الأسطول الروماني وإسناد العمليات الحربية الإسلامية باتجاه العمق البيزنطي وفي الأندلس والمغرب وباقي جزر البحر المتوسط[٤٢]. ودليلنا على ذلك أنه في سنة (١٩٠هـ-٨٠٦م) على عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد قام الأسطول الإسلامي. بمشاغلة الأسطول البيزنطي باتجاه قبرص بقيادة حميد بن معيوف فهدم وحرق وسبى من أهلها ستة عشر ألفاً. وفي نفس السنه فتح الرشيد هرقله وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم وكان دخلها -فيما قيل- في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق سوى الأتباع وسوى المطوعة وسوى من لا ديوان له[٤٣].

الأهمية الاستراتيجية لدُور صناعة السفن في فتح الأندلس وجزر البحر المتوسط

لقد أولى العباسيون اهتماماً كبيراً لبناء المراسي ودور الصناعة في الثغور البحرية فعمروها وأقاموا أعـداداً كبيرة منها على سواحل الشام وشمال إفريقيا وقد تطرق إليها ووصفها البلاذري في كتابه فتوح البلدان[٤٤]. وكانت سواحل إفريقية أكثر سواحل الغرب تعرضاً للغارات البحرية البيزنطية وعلى هذا النحو أنشأ مجتمعاً بحرياً إسلاميا في الأربطة والمحارس على طول ساحل إفريقية وبرقه فأقيمت في طرابلس الغرب وما يليها غرباً وفي سفاقس وسوسه والمنسيتر[٤٥]. حتى أصبحت دور صناعة السفن البحرية قواعد أنطلق منها المسلمون إلى البحر للجهاد في سبيل الله عز وجل.

دُوْرُ صناعة السفن في البحر المتوسط

إن طول وامتداد السواحل الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط التي سيطر علها المسلمون وكذلك سواحل الأندلس وامتدادها وتنوع تضاريسها ساعدت على بناء دور صناعة السفن، وكذلك المراسي والقواعد البحرية لرسو وإيواء السفن في الخلجان والاجوان التي تتكسر فيها السواحل نحو الداخل فتساعد السفن على الإرسـاء بعيداً عن تيارات البحر وأنـوائـه[٤٦]. **وقد انتشرت صناعة السفن في أنحاء العالم الإسلامي في ثغور متفرقة، ففي الشام اشتهرت عكا وصور وطرابلس ثم بيروت وحيفا، وفي مصر اشتهرت في الإسكندرية ودمياط وعيذاب على ساحل البحر الأحمر، كما كانت القاهرة تصنع المراكب[٤٧] النيلية، وفي المغرب كانت هناك طرابلس وتونس[٤٨] وسوسة وطنجة ووهران والرباط، وفي الأندلس اشتهرت إشبيلية ومالقة.**

دُوْرُ الصناعة في شرق البحر المتوسط

من أشهر دُورِ صناعة السفن وقواعد البحرية الإسلامية في شرق البحر المتوسط (طرابلس) وهـي مدينة على البحر المتوسط تابعة لكورة دمشق، وهي من أهم الثغور البحرية بالشام، وتبعد عن بيروت مسيرة يومين، **وكذلك مدينة صور وبها دار الصناعة ومنها تخرج المراكب لغزو الروم**[٤٩] وكذلك عسقلان التي فتحها معاوية بن أبي سفيان واسكنها الروابط ووكل بها الحفظة[٥٠] وكانت تصنع في دار صناعة السفن فيها الشواني والشلنديات: (الشلنديات والمفرد شلندي والشواني والمفرد شيني: أنواع من المركب البحرية)[٥١] وكذلك الأمر في عكا التي كانت أصلاً إحدى دور صناعة سفن الأسطول البيزنطي، وجاء في فتوح البلدان للبلاذري أن صناعة السفن كانت بعكا ثم نقلها هشام بن عبد الملك إلـى صور واتخذ بها فندقاً ومشغلاً[٥٢] وقال نقلاً عن الواقدي: «لم تزل المراكب بعكا حتى ولي بنو مروان فنقلوها إلى صور وهي بصور إلى اليوم، وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله في سنة سبعة وأربعين ومائتين بترتيب المراكب بعكا وجميع السواحل وشحنها بالمقاتلة»[٥٣]. ان جعل (صور) قاعدة بحرية رئيسة يعود إلـى كون صُور تؤمن حماية أكثر للمراكب الحربية من عكا. يقول المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم: «صور مدينة حصينة على البحر بل فيه، يُدْخَلُ إليها من باب واحد على جسر واحد قد أحـاط البحر بها. ونصفها الداخل حيطان ثلاثة بلا أرض تدخل فيه المراكب كل ليلة ثم تجر السلسلة التي ذكرها محمد بن الحسن في كتاب الإكـراه»[٥٤]. وكانت أهم أنواع السفن التي تُصْنَع في دور صناعة السفن الإسلامية: **الشونة والبارجة والقرقور والصندل والطراد والحراقة والغراب**، وهي تختلف من حيث الحجم والوظيفة وخفة الحركة، وأكبرها الشونة التي تحمل الجنود والأسلحة الثقيلة وأصغرها الطريدة أو الطرادة وهي سفينة صغيرة سريعة الجري؛ أما الأسلحة فمنها الكلاليب التي استعملها المسلمون في ذات الصواري لربط سفنهم بسفن الرومان، ومنها

النفاطة وهي مزيج من السوائل الحارقة تطلق من اسطوانة في مقدمة السفينة وتسمى النار اليونانية هذا علاوة على الأسلحة البرية التقليدية(٥٥).

دُوْرُ صناعة السفن في مصر

أما دُوْرُ صناعة السفن والمراكب في مصر(٥٦) فأولها **الإسكندرية** التي ذكرها المقدسي: «هي قصبة نفيسة على بحر الروم عليها حصن منيع، وهو بلد شريف كثير الصالحين والمتعبدين»(٥٧) وأُنْشِئَتْ لأوَّل مَرَّة دارٌ لصناعة السفن في جزيرة الروضة في الفسطاط سنة (٥٤هـ/٦٧٤م)، أُطْلِقَ عليها: (دار الصناعة)، ومن دُوْرُ صناعة السفن الأخرى في مصر دمياط وتنيس والفرما وكان بدمياط دار لصناعة السفن أنشأها والي مصر العباسي (عنبسه بن إسحق) في عهد المتوكل على الله العباسي. وقد كانت قاعدة دمياط البحرية تسند الإمارة الإسلامية في جزيرة أقطريش من الإمدادات والمؤن(٥٨).

أما مدينة تنيس، فهي عبارة عن جزيرة وسط بحيرة المنزلة(٥٩) وقد كان فيها مراسي تتسع لعدد كبير من السفن الحربية والتجارية التي كانت ترابط بها، وكان أهل تنيس يشتغلون بصناعة النسيج(٦٠) وصناعة السفن وهم ذو مهارة كبيرة في قيادة السفن.

دُوْرُ صناعة السفن في إفريقية

أما أهم القواعد البحرية والمراسي في إفريقية فهي **تونس** التي بناها القائد حسان بن النعمان الغساني عام ٨٢هـ، لتكون قاعدة عسكرية بحرية(٦١)، وقد اختطها غربي البحر المتوسط بنحو عشرة أميال، فقام بحفر قناة تصل المدينة بالبحر لتكون ميناء بحريًّا ومركزًا للأسطول الإسلامي بعد أن أنشأ فيها داراً لصناعة المراكب والسفن(٦٢)، بخبراء في هذه الصناعة زوده بها والي مصر عبد العزيز بن مروان بناءً على توجيه الخليفة عبد الملك. حيث أرسل عبد العزيز بن مروان ألفي قبطي من مهرة الصناع لإقامة صناعة مراكب بحرية(٦٣)، وقام هؤلاء بالمهمة الموكلة إليهم خير قيام في دار الصناعة بتونس. وقد تم وضع التنظيم اللازم وطريقة إمداد تلك الدار بالأخشاب من الغابات الإفريقية الداخلية، الأمر الذي جعل منها نقطة جذب سكاني فنشأ حولها مجتمعٌ بحريٌّ زاخر بمختلف الأنشطة الاقتصادية والعلمية (٦٤). كما أن ازدهار تونس بفضل دار صناعة السفن فيها ساهم بشكل فعال ومؤثر في وضع حد لاعتداءات الروم المتمثلة بإغارتهم على الساحل الإفريقي، بفضل وجود قاعدة بحرية، وصناعة بحرية تمكنت من إنشاء أسطول مهمته صد العدوان الرومي بادئ الأمر(٦٥)، ثم الانتقال من مرحلة التصدي إلى الغزو والفتح فيما بعد، لهذا فقد لعبت دار صناعة السفن في تونس دوراً بارزاً في فتح الأندلس والمغرب وجزر البحر المتوسط فضلاً عن تأمين طرق المواصلات البحرية التجارية بين شرق وغرب البحر المتوسط. ولم يكتفِ المسلمون بدار صناعة السفن في تونس بل أنشأوا داراً أخرى لصناعة السفن في سوسة التي تقع على الساحل الجنوبي الشرقي من تونس ومن سوسة انطلق المسلمون لفتح جزيرة صقلية(٦٦).

أما طرابلس الغرب، فكان ساحلها كثير الأربطة(٦٧) وكان لمدينة بون دار صناعة ومرسى حسن تخرج منه الشواتي غازية إلى بلاد الروم وسردانيه وقرشقه (كورسيكا) وما والاها(٦٨) ومن دور صناعة المغرب الأقصى سبته(٦٩) مورد بر العدوة وبر الأندلس ومفتاح المشرقين ومجمع البحرين..

دُوْرُ صناعة السفن في الأندلس

من أهم دور صناعة السفن في الأندلس، **قرطاجنه الخلفاء ومرسيه والمرية ودانية**(٧٠)

الأهمية الاستراتيجية لدُور صناعة السفن في فتح الأندلس وجزر البحر المتوسط

التي كان سورها يمتد من ناحية الشرق في داخل البحر وقد بني بهندسة وحكمة، ومنها كان يخرج الأسطول الأندلسي للغزو[٧١] يقول الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق: «إن رباط المريه الذي أنشئ عند رأس قبطة بني أسود على حاشية البحر قريباً من قرية البجانس الواقعة في نهاية جون المرية»[٧٢]. و كانت دار صناعة السفن في **إشبيلية** قائمة منذ الفتح العربي، ولكنها تعرضت للإهمال طول هذه المدة حتى جاء عبد الرحمن بن الحكم وجددها ولعله أضاف إليها منشآت معمارية جديدة كي تنشط في إنتاج العديد من السفن، واهتم خاصة بصنع السفن الحربية الكبيرة[٧٣] بعد غارة النورمان عليها سنة ٢٣٠هـ، حيث دخلوها قسراً وكانت غير محصنة تحصيناً كافياً، بل كانت بلا سور[٧٤]، وارتكب النورمان الفظائع بالمدينة، وفي اليوم التالي قدِم جيش من قرطبة تمكن من هزيمتهم، وأرغمهم على الانسحاب من المدينة فركبوا مراكبهم وانصرفوا عنها، وبعد انتهاء غارة النورمان على البلاد الأندلسية، وعودتهم إلى بلادهم، رأى الأمير عبد الرحمن بن الحكم ضرورة تحصين إشبيلية فأمر بتسويرها سنة(٢٣٠هـ) بعد خروجهم مباشرة، وبنى حولها سوراً من الحجارة[٧٥]. وأمر بإقامة دار صناعة بإشبيلية، وانشأ المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس فألحقهم، ووسع عليهم، واستعد بالآلات والنفط[٧٦].

وكان الأمير عبد الرحمن بن الحكم قد رأى بعد غارة النورمان سنة(٢٣٠هـ) أن خير وسيلة لحماية السواحل الشرقية للأندلس هو توطين بعض الأسر العربية التي لها باع في مجال البحرية في هذه السواحل، وذلك نظراً لعجز الدولة عن القيام بهذا الدور، فأنزل بني سراج القضاعي من عرب اليمن منطقة بجانة، وجعل إليهم حراسة من البحر، وحفظ السواحل، فكان ما ضمنوا من مرسى إلى مرسى كذا يسمى آرش اليمن أي عطيتهم[٧٧]. واجتذبت مرية **بجانة**، بموقعها الاستراتيجي وما تزخر به من خيرات، أنظار واهتمام جماعات من البحريين الأندلسيين سنة (٢٧١هـ /٨٨٤م) وكانوا يترددون بسفنهم ما بين الساحل الجنوبي الشرقي الأندلس وساحل مدينة تنس الحديثة بالمغرب الأوسط التي أسسوها في سنة(٢٦٤هـ/ ٨٧٥م)، فقام البحريون ببناء سور حولها لحمايتها، وقاموا بإنشاء دار لصناعة السفن فيها وعمارتها على مثال قرطبة، وجعلوا على أحد أبوابها صورة تشاكل الصورة التي على باب القنطرة. وهكذا قامت قاعدة بجانة البحرية على أكتاف الجماعات البحرية، وازدهرت بجانة في عهد زعامة البحريين، وقصدها الناس وسكنوها لتوفر الأمن بها، وقيام الأسطول الراسي بخليج مريتها بحمايتها وتدرجت المدينة في مدارج العظمة والقوة كقاعدة بحرية مهمة حتى نهاية القرن الثالث وشطر من الرابع الهجريين، ثم أخذت تفقد أهميتها أمام مدينة وقاعدة المرية البحرية والتي علت مكانتها بعد إصدار الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ/٩١٢- ٩٦٢م) أوامره بجعلها عاصمة الإقليم المحيط بها، وصارت من أهم قواعد الأسطول الإسلامي في الأندلس[٧٨].

وكانت قاعدة **طركونة**[٧٩] البحرية الواقعة في الشمال الشرقي من الأندلس بين برشلونة وطرطوشة واحدةً من أهم قواعد المسلمين البحرية في القرن الثالث الهجري وكانت الأساطيل تخرج منها لغزو سواحل الفرنجة. كما كانت دار صناعة السفن في مدينة **طرطوشة** تعتمد على أشجار الأرز لعمل الصواري وكانت طرطوشة[٨٠] من قواعد الأندلس البحرية الهامة، وقد خرج منها في سنة(٢١٤هـ/ ٨٢٩م) أسطول

إسلامي إلى جزيرة صقلية لمساعدة المسلمين بها[٨١]. وكانت منطلقاً لكثير من حملات الأسطول الإسلامي على بلاد الفرنجة، وملجأً آمناً لهذه الأساطيل، ولمناعة هذه القواعد البحرية، ووجود السفن الإسلامية الحربية في مياهها تحاشى النورمان عند غزوّهم البلاد الاقتراب منها وكان لقربها كذلك من بلاد الفرنجة أثر في نشاط الحركة البحرية بها[٨٢]. وتُعدُّ دار صناعة السفن في دانية الواقعة على ساحل الأندلس الشرقي من دور صناعة السفن المهمة والكبيرة في الأندلس **وذلك لوجود غابات الصنوبر حولها والتي تلائم أخشابها صناعة السفن، ولذا قامت بالمدينة دار صناعة للسفن وبها مرسى عجيب يسمى السمان، وكانت قاعدة بحرية هامة منذ عهد الأمويين**[٨٣]، ولها بساتين واسعة كثيرة التين والعنب واللوز[٨٤] تمد هذه المدينة بما تحتاج إليه.

كما توجد دار صناعة في **اسكمبرة** أو (اشكميوس) وهي جزيرة في البحر في مدخل خليج قرطاجنة الأندلس في الساحل الجنوبي الشرقي، حيث تعرف المدينة الواقعة عليها باسم «قرطاجنة الخلفاء»[٨٥] ولموقعها الاستراتيجي اتخذها جماعات من مجاهدي البحر المسلمين قاعدة لهم خلال القرن الثالث الهجري قبل الانتقال إلى القاعدة الجديدة التي وقع اختيارهم عليها وهي مرية بجانة سنة(٢٧١هـ / ٨٤٤م) وقد تأثر مركز اسكمبرة - بلا ريب - بانتقال هذه الجماعات منها وهبط مستواها. ومن دور صناعة السفن في الأندلس **لقنت** وهي مدينة صغيرة من بلاد الأندلس على الساحل الشرقي بينها وبين دانية سبعون ميلاً وتصنع بها المراكب **السفرية والحراريق**[٨٦]. ومن مراسي وقاعد الأندلس البحرية **شاطبة**[٨٧] ومرسى **المنكب**[٨٨] ومرسى **شلوبنية**[٨٩] **ومرسية**[٩٠].

المبحث الثالث
الدور الذي لعبته دُوَرُ صناعة السفن في فتح الأندلس وجزر البحر المتوسط

لما كان الأسطول البيزنطي مصدر تهديد خطير ومباشر لأمن المسلمين وأمن المناطق المفتوحة واستقرار الإسلام فيها، فقد أدرك المسلمون أن بناء أسطول إسلامي ضرورة «إستراتيجية» حيوية[٩١]، فكان نواة هذا الأسطول من السفن التي وجدوها في موانئ الشام ومصر[٩٢]، ثم انطلقوا إلى صناعة السفن في دور الصناعة، وهكذا دخل السلاح البحري في «الإستراتيجية» العسكرية الإسلامية لأول مرة في تاريخ المسلمين.لهذا أولى العرب المسلمون اهتماماً كبيراً لبناء المراسي ودور الصناعة في الثغور البحرية فعمروها وأقاموا أعداداً كبيرة منها على سواحل الشام وشمال إفريقيا[٩٣]. وكانت سواحل إفريقية أكثر سواحل الغرب تعرضاً للغارات البحرية البيزنطية وعلى هذا النحو نشأ مجتمعاً بحرياً إسلاميا في الأربطة والمحارس على طول سواحل إفريقية وبرقه فأقيمت دور صناعة السفن البحرية في تونس[٩٤] وطرابلس الغرب وما يليها غرباً وفي سفاقس وسوسة[٩٥] والمنسيتر. فكان لدور صناعة السفن البحرية أهمية استراتيجية كبيرة تمثلت بكونها قواعد انطلق منها المسلمون إلى البحر للجهاد في سبيل الله عز وجل، لفتح الأندلس وكافة جزر البحر المتوسط.

وكان من الطبيعي أن لا تقف بيزنطة مكتوفة الأيدي أمام تلك القوة البحرية التي قامت في البحر الأبيض المتوسط، وأصبح تحت يدها أغلى ما كانت تملك من دور للصناعة وقواعد بحرية في عكا والإسكندرية، مما يشكل تهديداً خطيراً لسيادتها التي امتدت زمناً بلا منافس. وتكاد تجمع

الأهمية الاستراتيجية لدُور صناعة السفن في فتح الأندلس وجزر البحر المتوسط

المصادر والمراجع العربية والأجنبية على أن من أهم أسباب معركة ذات الصواري البحرية (٣٤هـ - ٦٥٤ م) [٩٦] كان سعي الروم البيزنطيين منع العرب المسلمين من الاقتراب من منطقة فونيكس Phoenicus بآسيا الصغرى شمال جزيرة رودس التي جرت قبالة سواحلها معركة ذات الصواري والتي تشتهر بغابات السرو الكثيفة، وهو الشجر المستخدم في صواري السفن، ليحولوا بينهم وبين خشب تلك الغابات اللازم لصناعة السفن ووقوعه في قبضة العرب المسلمين[٩٧]، وإذا صح هذا الزعم فإنه يقوم دليلاً على أهمية صناعة السفن ودور صناعتها في الصراع البحري بين العرب المسلمين وبيزنطة. ولعل ما يعزز هذا الرأي الهجوم البيزنطي الفاشل على الإسكندرية عام (٢٥ هـ/ ٦٤٥ م) [٩٨] والتي كانت تحوي على أكبر دار لصناعة السفن في شمال إفريقية في ذلك الوقت.

دُوْرُ صناعة السفن ودورها في فتح الأندلس

نشطت حركة الفتوح خلال عصر الدولة الأموية، وبدأ المسلمون يتطلعون لفتح شبه جزيرة أيبيريا (الأندلس لاحقاً)[٩٩] فقاموا ببناء مدينة تونس التي اختطها أمير إفريقية حسان بن النعمان الغساني عام ٨٢هـ[١٠٠]، لتكون قاعدة عسكرية بحرية، تنطلق منها أساطيل المسلمين البحرية باتجاه غرب البحر المتوسط[١٠١]. واختط حسان تونس غربي البحر المتوسط بنحو عشرة أميال، فقام بحفر قناة تصل المدينة بالبحر لتكون ميناء بحريًّا ومركزًا للأسطول الإسلامي بعد أن أنشأ فيها داراً لصناعة السفن و المراكب، بخبراء في هذه الصناعة زوده بها والي مصر عبد العزيز بن مروان بناءً على توجيه الخليفة عبد الملك[١٠٢] كما ذكرنا سابقاً. وقد بنيت مدينة تونس طبقًا لأهداف سياسية استراتيجية، وأهداف اقتصادية اجتماعية كان من أهمها:

- **وضع حد لاعتداءات الروم والمتمثلة بإغارتهم على الساحل الإفريقي[١٠٣].**

- **إيجاد قاعدة بحرية، وصناعة بحرية قادرة على إنشاء أسطول بحري مهمته صد العدوان الرومي بادئ الأمر، ثم الانتقال من مرحلة التصدي إلى الغزو والفتح فيما بعد[١٠٤].**

- **إيجاد مجتمع بحري، ومركز استيطان وإدارة لدعم الفتوحات الإسلامية براً وبحراً فأصبحت دور صناعة السفن الحربية مناطق تجمع وجذب سكاني[١٠٥].**

ولقد كان من الواضح أن أمير أفريقيه بعد حسان بن النعمان الغساني وهو موسى بن نصير[١٠٦] قد طور دور الصناعة في تونس وغيرها من دور صناعة السفن الإسلامية، وانطلق منها باستخدام الأسطول البحري الإسلامي، لإسناد تقدم القوات البرية الإسلامية العاملة بمحاذاة السواحل الجنوبية للبحر المتوسط للسيطرة على المغرب والأندلس[١٠٧]، فضلاً عن توظيف فعاليات ونشاط الأسطول البحري الإسلامي في غرب البحر المتوسط للمشاغلة والضغط على الأسطول البحري والنفوذ البيزنطي في تلك المنطقة، وبالتالي إضعاف مقاومة القسطنطينية لمحاولات فتحها التي دأب عليها الأمويين في تلك الحقبة من (٩٥-١٠٠هـ)[١٠٨].

وكانت قد تولدت قناعة لدى موسى ابن نصير أن تأمين الدولة الإسلامية في المغرب يتطلب منه ضرورة حمايتها من الشمال بالاستيلاء على شبه جزيرة أيبيريا وحتى حائط الفرنجة (جبال البرانس). وفي سنة ٨٩ هـ قاد موسى ابن نصير الأسطول البحري الإسلامي من قاعدته في تونس وأغار على جزيرتي ميورقة ومنورقة[١٠٩]. ثم جهز موسى بن نصير، جيشاً من سبعة آلاف جندي من المسلمين واختار طارق بن زياد، والي طنجة قائداً

مقالات

لهذه الحملة، حيث عبر طارق بن زياد بجيشه، من سبته إلى الطرف الأسباني، في الخامس من شهر رجب ٩٢ هـ (أبريل ٧١١م). وقد رَدَّدَ بعض المؤرخين، أن السفن التي عبر عليها طارق بن زياد، كانت سفن جوليان، حاكم سبته. **ولكن الراجح هو أن المسلمين كانت لهم سفنهم التي أنتجتها دور صناعة السفن في تونس وسوسة والتي عبروا عليها لفتح الأندلس**[١١٠]، ويستند هذا الترجيح على الأدلة الآتية:

أ. كان المسلمون مهتمين بصناعة السفن مبكراً، لإدراكهم شدة حاجتهم إليها، حيث أقاموا عدة دور لصناعة السفن، مثل دار الصناعة في تونس[١١١]**، التي أقامها حسان بن النعمان الغساني والي الشمال الأفريقي (٧٦ - ٨٦هـ).**

ب. استخدم المسلمون السفن في معارك بحرية عديدة أشهرها عام ٣٤هـ، وهي المعركة التي تسمى «ذات الصواري»، وكان عدد سفن المسلمين فيها يبلغ مائتي سفينة[١١٢]**. كما سبق أن استخدم المسلمون السفن في الإغارة على صقلية ورودس كما ذكر ذلك البلاذري في فتوح البلدان**[١١٣]**.**

ج. كان للمسلمين نشاط بحري حربي في الشمال الأفريقي[١١٤]**، حيث استخدم المسلمون الأسطول البحري في مهاجمة بعض المعاقل البيزنطية في شمال إفريقيا والإغارة على جزر صقلية والبليار و قوصرة**[١١٥]**.**

كل ما سبق، يؤكد أن المسلمين كانت لهم دُورهم التي أقاموها لصناعة السفن، وينفي مقولة أن السفن كانت لجوليان، حاكم سبته.

دُوْرُ صناعة السفن ودورها في فتح جزر البحر المتوسط

كان لِدُوْرِ صناعة السفن دوراً استراتيجياً مهماً في بسط سيطرة الأساطيل الإسلامية على معظم جزر البحر المتوسط[١١٦] وبالأخص تلك الجزر ذات الأهمية الاستراتيجية مثل جزيرة أقطريش (كريت) وصقلية وجزر البليار. وقد أشار البلاذري إلى أهمية الدور الذي لعبته دور صناعة السفن على عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي اهتم ببناء دور الصناعة[١١٧] والموانئ والقواعد البحرية بهدف السيطرة على الجزر المهمة والغنية بالثروات الاقتصادية مثل صقلية وأقطريش وغيرها والتي تتحكم بخطوط المواصلات التجارية البيزنطية في البحر المتوسط.

وتشير الدلائل إلى أن فتح جزيرة أقطريش سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م) تم على يد مجاهدي بحر أندلسيين صناعتهم الجهاد في سبيل الله في البحر، كانوا يتخذون من الإسكندرية قاعدة تموين وإسناد لهم[١١٨] وكما ذكرنا أن الإسكندرية ودار صناعة السفن فيها تعدُّ من أهم وأولى دور صناعة السفن في مصر[١١٩]. كما يذكر الكندي في كتابه ولاة مصر (وأقبلت سفن ابن طاهر من الشام، فَجُعِلَ عليها علي بن الجروي لمعرفته بالحرب في البحر)[١٢٠] وهذا يدل على أن الأسطول الشامي كان يتحشد في مصر لا لقمع الفتن والاضطرابات التي كانت فيها آنذاك بل لحملة بحرية كبيرة، مستدلين على ذلك من اختيار عبد الله بن طاهر، لعلي بن الجروي لخبرته الحربية في البحر. إلا أنه لم يردنا ما يشير إلى أن يكون أسطول الشام قد ساهم فعليا في فتح أقطريش، وأن تحشده في مصر قد يكون لأغراض إسناد عمليات أسطول مجاهدي البحر الأندلسيين وتغطية عملية الإنزال في أقطريش لاحقاً[١٢١]. وكان في الجزيرة تسعاً وعشرين[١٢٢] مدينة استولى عليها العرب المسلمين، ناشرين الإسلام فيها. وبعد أن فتح العرب المسلمون أقطريش سنة (٢١٢ هـ/٨٢٧م) قاموا بمهاجمة الجزر المجاورة لها في بحر إيجة[١٢٣]. فأدركت الدولة البيزنطية مدى التهديد الذي ستلحقه

أساطيل العرب المسلمين بأمن الدولة البيزنطية وسلامة تجارتها البحرية عبر بحر إيجه مما دفعها إلى بذل المحاولات لاستعادة جزيرة أقطريش من يد فاتحيها المسلمين حيث قام الأسطول البحري البيزنطي سنة (٢١٢-٢١٣هـ / ٨٢٧- ٨٢٨م) بثلاث محاولات إنزال على جزيرة أقطريش لاستعادتها من أيدي المسلمين؛ باءت جميعها بالفشل ودمرت السفن البيزنطية بعد معارك بحرية عنيفة مع أسطول أقطريش الإسلامي(١٢٤) وهذا يدل على مدى تطور صناعة السفن والأسلحة البحرية الإسلامية التي كانت تنتجها دور صناعة السفن الإسلامية في البحر المتوسط(١٢٥).

وفي الوقت الذي كانت تجري فيه عمليات فتح جزيرة أقطريش(كريت) كان الأغالبة في تونس يعدون العدة لفتح جزيرة صقلية وكانت أهم استعداداتهم تتمثل بإقامة دوراً لصناعة السفن في مدينتي تونس وسوسه(١٢٦) ودعموها بمهرة الصناع وقد كان لتطور صناعة السفن في دور الصناعة في كل من تونس وسوسة أثره الكبير في فتح صقلية، باعتباره جزءاً مهماً من خطة إعداد مسرح العمليات، وبهذا أصبح لديهم أسطولاً قوياً مؤهلاً لمواجهة الأسطول البيزنطي والقوات البيزنطية المتمركزة في صقلية وفتحها بالتالي(١٢٧). الأمر الذي دل أيضا على أن اتجاه العرب المسلمين لبناء دور صناعة السفن كانوا قد خططوا مسبقا لفتح جزر البحر المتوسط معتمدين على أنفسهم وإمكانياتهم باذلين الجهود العظيمة للوصول إلى هدفهم الاستراتيجي وهو فتح أقطريش وصقلية(١٢٨). أقلع أسطول إفريقية الإسلامي من قاعدة سوسه البحرية بقيادة القاضي **أسد بن الفرات**(١٢٩) يوم السبت النصف من شهر ربيع الأول سنة(٢١٢هـ/ ١٤ يونيو ٨٢٧م) ووصل إلى مرسى مازر (Mazara) في صقلية في اليوم الرابع من إقلاعه أي يوم الثلاثاء ١٨ ربيع الأول سنة(٢١٢هـ/١٧ يونيو ٨٢٧م)(١٣٠). تألف الأسطول من مائة مركب تحمل ما بين سبعمائة وألف فارس عدا عشرة آلاف راجل من الجند العرب والبربر ومن الفرس الخراسانية ومجاهدي البحرالأندلسيين(١٣١)، واعتقد أن عدد السفن كان أكثر مما ذكر ليتناسب مع عديد المقاتلين الذين أرسلوا ضمن الحملة وهذا يدل على الحجم الكبير والتنوع في إنتاج وصناعة السفن بتونس وسوسة وغيرها من دور صناعة السفن الإسلامية.

فأسرعت القسطنطينية إلى إرسال أسطولها إلى سرقوسة كما استنجدت بأسطول البندقية وأسطول تسكانيا الإيطالي لمهاجمة ثغر بونه (عنابه) بساحل شمال إفريقيا، ووصلت إلى مشارف القيروان سنة(٢١٣هـ/٨٢٨م)(١٣٢) من أجل مشاغلة الأسطول الإسلامي لتخفيف الحصار عن سرقوسة وكذلك لمنع وصول الإمدادات إلى القوات الإسلامية في الجزيرة. إن خوف القسطنطينية من تكرار ما حصل في أقطريش دفعها إلى إلقاء كل ثقلها البحري حيث وقف أسطول بيزنطي كبير على باب ميناء سرقوسة لمنع سقوطها بيد القوات العربية الإسلامية ولكن محاولاتها باءت بالفشل؛ حيث حدثت معارك بحرية وبرية طاحنة كان النصر فيها من نصيب المسلمين؛ فاحكموا سيطرتهم على صقلية(١٣٣). حيث يقول أرشيبالد لويس في كتابه القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط: «ومما يستحق أن نسجله أن أسطول إفريقية اشتمل أثناء الاشتباك الأول على حراقات – وهي سفن تقذف بلهب النفط ـ الأمر الذي مكّن الإفريقيين من مقاومة النار الإغريقية التي يستخدمها أعداؤهم البيزنطيون. وهذا هو أول ذكر لاستخدام المسلمين لمثل هذا النوع من السفن، ولعله كان سلاحهم السري الجديد»(١٣٤).

ولعب هذا الأسطول أيضاً دوراً مهماً في تأمين خطوط مواصلات العرب المسلمين البحرية بين

صقلية وشمال إفريقيا حيث نجحت حراقاته في مطاردة حراقات البيزنطيين[١٣٥] واستولى على قسم منها بعد معركة بحرية فاصلة[١٣٦]. ويتضح أن الأغالبة أرسلوا هذا الأسطول ليستقر في صقلية وتكون مهمته تأمين خطوط المواصلات البحرية الإسلامية ودفع خطر تدخل الأسطول البيزنطي والدليل على ذلك استيلاء وحدات من هذا الأسطول على جزيرة قوصرة (Pantellaria)[١٣٧] حيث استولى على حراقة بيزنطية بعد معركة بحرية هناك. وبذلك تم إعادة تنظيم الأسطول الإسلامي في شمال إفريقية ليفرز منه أسطول آخر هو أسطول صقلية الذي فتح **أرخبيل مالطة** سنة (٢٥٦هـ/٨٦٩م)[١٣٨] وقد أنشأ المسلمون في مالطة داراً **لصناعة السفن من أشجار الصنوبر** التي تكثر بها. وأصبحت على هذا النحو قاعدة بحرية هامة دخل منها المسلمون إلى البحر المتوسط وبوابةً التي خرجوا منها[١٣٩]. وقد استخدمها المسلمون لتأكيد سيادتهم على البحر المتوسط، وتأمين سلامة القواعد البحرية ودور الصناعة في صقلية وشمال إفريقيا[١٤٠]، وطال مقامهم في مالطة أكثر من صقلية بدليل كون اللغة المالطية عربية تشابه في لهجتها لهجات العرب الشرقيين والمغاربة. أما **جزيرة قوصرة (بونتالاريا)**: فقد سبق للمسلمين فتحها سنة (١٣٠هـ/٧٤٧م) على يد القائد العربي عبد الرحمن بن حبيب الفهري[١٤١]. وكان لسيطرة المسلمين على قوصرة (بونتالاريا) أثرٌ كبير في تأمين الدفاع عن سواحل إفريقيا الإسلامية واتخاذها - أي قوصرة - نقطة وثوب باتجاه صقلية وسردانيا والسواحل الإيطالية[١٤٢]. أما جزر **البليار** فقد كان الفتح الإسلامي الأول لها سنة (٨٩هـ/ ٧٠٨م) على يد **عبد الله بن موسى ابن نصير**[١٤٣] ولكن لم تستقر أقدام المسلمين في هذه الجزر، ونازعهم السيادة على هذه الجزر الفرنجة، فكانت السيادة الإسلامية تمتد على هذه الجزر أحياناً ثم تنحسر عنها أحياناً أخرى حتى قرب نهاية القرن الثاني الهجري. حتى فتحت سنة(٢٩٠هـ/٩٠١م) على يد **عصام الخولاني** في عهد الأمير عبد الله بن محمد(٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م). وقد اختط **عصام الخولاني** مدينة جديدة جعلها عاصمة للجزر وكان تخطيطها يماثل إلى حد كبير تخطيط **بغداد** وقد دعيت باسم مدينة **ميورقة** واهتم عصام ببناء المساجد والفنادق والحمامات[١٤٤].

أدت جزر البليار دوراً جليلاً للمسلمين وللبحرية الإسلامية قبل فتحها النهائي سنة (٢٩٠هـ) وفي الفترات التي خضعت فيها لعهود المسلمين منذ سنة (٨٩هـ)، كما كان دورها أجلّ بعد فتح المسلمين لها، ففي الفترات التي خضعت فيها لعهود المسلمين قبل سنة(٢٩٠هـ) واتخذ رجال الأسطول الإسلامي من الجزيرة ومن موانيها البحرية قواعد الهجوم على أهدافهم البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وملاجئ يحتمون بها من الأخطار، ويقيمون فيها كما يشاؤون بين أهلها المعاهدين دون أن يتعرض لهم أحد بسوء، وقدمت لهم هذه الجزر كافة التسهيلات[١٤٥].

الخاتمة

لقد شكل البحر المتوسط بيئةً حضاريةً مكنت المسلمين من الإسهام الفاعل في إغناء الفكر البشري بمختلف العلوم والفنون ومن أهمها: إسهامهم في بناء الفكر العسكري الاستراتيجي بصورة عامة، وإسهامهم في إغناء الاستراتيجية الحربية البحرية بصورة خاصة في منطقة البحر المتوسط، فأوجدوا مجتمعاً بحرياً مسلماً على معظم سواحل البحر المتوسط خصوصاً الشرقية منها والجنوبية. لقد أولى العباسيون اهتماماً كبيراً لبناء المراسي ودور الصناعة في الثغور البحرية فعمروها وأقاموا أعداداً كبيرة منها على

سواحل الشام وشمال إفريقيا، وقد تطرق إليها ووصفها العديد من المؤرخين المسلمين. وكانت سواحل إفريقية أكثر سواحل العرب تعرضاً للغارات البحرية البيزنطية وعلى هذا النحو نشأ مجتمعاً بحرياً إسلامياً في الأربطة والمحارس على طول ساحل إفريقية وبرقه فأقيمت في طرابلس الغرب وما يليها غرباً وفي سفاقس وسوسه والمنسيتر. حتى أصبحت دور صناعة السفن البحرية قواعداً انطلق منها المسلمون إلى البحر للجهاد في سبيل الله عز وجل. وكانت أهم أنواع السفن التي تصنع في دور صناعة السفن الإسلامية: الشونة والبارجة والقرقور والصندل والطراد والحراقة والغراب، وهي تختلف من حيث الحجم والوظيفة وخفة الحركة، وأكبرها الشونة التي تحمل الجنود والأسلحة الثقيلة وأصغرها الطريدة وهي سفينة صغيرة سريعة الجري؛ أما الأسلحة فمنها الكلاليب التي استعملها المسلمون في ذات الصواري لربط سفنهم بسفن الرومان، ومنها النفاطة وهي مزيج من السوائل الحارقة تطلق من اسطوانة في مقدمة السفينة وتسمى النار اليونانية. وقد تبين لنا الدور الاستراتيجي المهم لدور صناعة السفن في فتح الأندلس و بسط سيطرة الأساطيل الإسلامية على معظم جزر البحر المتوسط وبالأخص تلك الجزر ذات الأهمية الإستراتيجية مثل جزيرة أقطريش (كريت) وصقلية وجزر البليار وغيرها من الجزر المهمة والغنية بالثروات الاقتصادية والتي تتحكم بخطوط المواصلات التجارية في البحر المتوسط.

الحواشي

١. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٢٢٦هـ /١٢٢٨ م)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، (بيروت: ١٩٥٥)، ج٣، ص٣٤٥.

٢. بنطس-هو البحر الأسود كما ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان، ٣/ ٢٤٢.

٣. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ٣٤٥ .

٤. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ٣٤٥.

٥. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: يوسف اسعد داغر، ط٣، دار الكتاب اللبناني، (بيروت: ١٩٦٧)، ج١، ص (١١٢-١١٣).

٦. ابن خلدون، المقدمة، ص١١٤؛ لاردة: هي مدينة في ثغر الأندلس الشرقي بنيت على نهر يخرج من ارض جليقية ويعرف بشيقر وهو النهر الذي تلقط منه شذرات الذهب الخالص؛ و ينظر ألحميري، أبو عبد الله محمد ابن عبد المنعم(ت ٧٣٣هـ -١٣٢٣م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: ١٩٣٧)، ترجمة ١٥٧، ص١٦٨.

٧. الحموي، معجم البلدان، ١/ ٤١٦؛ القلقشندى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى (ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، (القاهرة: ١٩١٥)، ج٥، ص٣٧٣.

٨. الحموي، معجم البلدان، ٤١٦/٣.

٩. الدوري، تقي الدين عارف، صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية، ط١، دار الرشيد للنشر (بغداد: ١٩٨٠)، ص ٣٧.

١٠. الربيعي، عماد هادي علو، الإستراتيجية البحرية الإسلامية في البحر المتوسط في القرنين الثالث والرابع الهجريين، ط١، دار حوران للطباعة والنشر، (دمشق: ٢٠٠٩)، ص١٩.

١١. البلاذري، أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية (بيروت:١٩٨٣)، ص٢٣٢.

١٢. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد ألجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص ١٨٧.

١٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ٢٦٨؛ الدوري، صقلية، ص ٦٤.

١٤. طارنت مدينة تارنتو الحالية في جنوب إيطاليا؛ ينظر لويس، أرشيبالد، القوة البحرية والتجارية في البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، نشر مكتبة النهضة المصرية مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (القاهرة:لا:ت)، ص٢١٥.

١٥. ابن خلدون، المقدمة، ص١١٢.

١٦. سالم، عصام سالم سي، جزائر الأندلس المنسية، دار العلم للملايين، (بيروت:١٩٨٩)، ص١٦؛ لويس، القوى البحرية، ص٢٤٨ و٣١٣ و٣٢٢و٣٢٤.

١٧. الحموي، معجم البلدان، ٣/٢٠٩ .

١٨. الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص٢٢.

١٩. ابن خلدون، المقدمة، ص١١٥.

٢٠. الحموي، معجم البلدان، ٤/٤١٧.

٢١. أرسلان، شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، طبعة عيسى ألبابي الحلبي، (القاهرة:١٩٥٢)، ص٢٨٤.

٢٢. ابن عذارى، أبو عبد الله محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب، مكتبة صادر، (بيروت:١٩٥٠)، ج١، ص ٢٤٠؛ أرشيبالد لويس، ص٢١٧.

٢٣. العبادي، أحمد مختار و سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، مؤسسة الجامعة، (الإسكندرية:١٩٩١)، ج٢، ص ١٢١.

٢٤. الكعاك، عثمان، الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية، (القاهرة:١٩٦٥)، ص١٥.

٢٥. شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص٢٨٤.

٢٦. العبادي، أحمد مختار والسيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ٢/٩٨.

٢٧. ابن خلدون، المقدمة، ص٤٤٩.

٢٨. فازليف، العرب والروم، ترجمة: محمد عبد الهادي سفيره، دار الفكر العربي، (بيروت: لا، ت)، ص٢٥.

٢٩. ابن خلدون، المقدمة، ص١١٢.

٣٠. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ١/ ٢٣٦.

٣١. البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣٧.

٣٢. الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص٢٧.

٣٣. ابن خلدون، المقدمة، ص١١٢.

٣٤. البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣٧.

٣٥. الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص٢٧.

٣٦. الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص ٣٩.

٣٧. البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٦٧.

٣٨. البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٦٧؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت٨٤٥هـ -١٤٤١م)، الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة بولاق، (القاهرة:١٩٧٠م)، ج٢، ص١٩١.

٣٩. البلاذري، فتوح البلدان، ص١٦٧.

٤٠. ابن خلدون، المقدمة، ص٤٤٩ -٤٥٠.

٤١. البلاذري، فتوح البلدان، ص١٦٨؛ لويس، القوى البحرية، ص ١١٦.

٤٢. الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص ٣٨ و ٤٢.

٤٣. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ / ٩٢٣م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار المعارف، مصر (القاهرة: ١٩٦٠ -١٩٦٩)، ج٨، ص ٣٢٠.

٤٤. البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٦٨؛ البغدادي، أبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب، ثغور الإسلام، تحقيق: دي غوية بريل (ليدن:١٨٨٩)، ص٢٦٦.

٤٥. الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص ٤١.

٤٦. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ١١٢.

٤٧. لويس، القوى البحرية، ص١١٦ و٣٠٤.

٤٨. لويس، القوى البحرية، ص١٠٠ -١٠١ .

٤٩. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت بعد ٢٩٢هـ)، كتاب البلدان، بريل(ليدن: لا، ت)، ص ٣٢٧-٣٢٨؛ الإدريسي؛ نزهة المشتاق، ج١، ص ٣٤٩.

٥٠. البلاذري فتوح البلدان ص ١٤٨؛ القلقشندى، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشا المطبعة الأميرية، (القاهر: ة ١٩١٨)، ج٣، ص ٥٢٣-٥٢٤.

٥١. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، ط٣ (القاهرة: ١٩٧٠)، ص ١١٣؛ ابن الزبير، القاضي الرشيد أحمد بن علي بن إبراهيم (ت٦٥٤هـ/١١٦٧م)، الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله (الكويت:١٩٥٩)، الفقرتين ٨٥ و٨٦.

٥٢. البلاذري، فتوح البلدان ص ١٢٥؛ ابن الزبير، الذخائر، الفقرتين ٨٥ و٨٦..

٥٣. البلاذري فتوح البلدان، ص ١٢٥؛ المقريزي، الخطط، ١٩٣/٢.

٥٤. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله الشابي (ت٣٨٧هـ) احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، الناشر مكتبة مدبولي، (القاهرة:١٩٩١)، ص ٢٤.

٥٥. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر (بيروت: ١٩٥٦م)، مادة حرق، ج١٠، ص٤١؛ ابن الزبير، الذخائر، الفقرتين ٨٥ و٨٦. اليوزبكي، توفيق سلطان، دراسات في النظم العربية والإسلامية، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل، (الموصل: ١٩٧٧م)، ص١٤٧.

٥٦. لويس، القوى البحرية، ص٤٨ و١١٦.

٥٧. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٩٦.

٥٨. الكندي محمد بن يوسف (ت٣٦٢هـ)، ولاة مصر، دار الصياد، (بيروت: لا، ت)، ص ٢٢٧. لويس، القوى البحرية، ص٢٢٣ و٢٥٠ و٣٨٣.

٥٩. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد(ت٨٤٥هـ-١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط٢، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، (القاهرة: ١٩٩٦)، ص١٠٩ حاشية٢؛ و ألنصيبي، أبو القاسم محمد بن حوقل (ت ٣٦٧هـ)، كتاب صورة الأرض، ط٢، بريل (ليدن:١٩٣٨)، ق١ ص ١٥٦-١٥٧.

٦٠. لويس، القوى البحرية، ص١٢١.

٦١. لويس، القوى البحرية، ص١٠١.

٦٢. الدوري، صقلية علاقتها، ص٢٦.

٦٣. لويس، القوى البحرية، ص١٠١.

٦٤. لويس، القوى البحرية، ص١٠١.

٦٥. لويس، القوى البحرية، ص١٠١.

٦٦. لويس، القوى البحرية، ص١٧٠؛ الدوري، صقلية، ص٣٦.

٦٧. الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص٤٦؛ لويس، القوى البحرية، ص١٥٩؛ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ص٦٦.

٦٨. البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٧٨هـ-١٠٩٤م)، كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، مطابع دار لبنان للطباعة والنشر، (بيروت: ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م)، ص ٨٣.

٦٩. لويس، القوى البحرية، ص١٠٢ و٢٣٦.

٧٠. بشتاوي، عادل سعيد، الأندلسيون المواركة، ط١، الناشر دار انترنشيونال برس، (القاهرة ١٩٨٣)، ص٧٣.

٧١. الحميري، أبو عبد الله محمد ابن عبد المنعم(ت٧٣٣هـ -١٣٢٣م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: ١٩٣٧)، ص٧٦.

٧٢. ينظر الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق ص١٩٨؛ وكذلك ألحميري الروض المعطار في خبر الأقطار ص١٨٤؛ وابن ألدلائي أحمد بن عمر بن انس العذري (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الاهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد:١٩٦٥) ص١٨٢.

٧٣. عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة:٢٠٠١)، ج١، ص٢٦٤.

٧٤. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب ٤٩/١.

٧٥. ابن القوطية. تاريخ افتتاح الأندلس، نشر دون خليان رابيرا (مدريد: ١٩٢٢)، ص٦٥؛ الأندلسي، ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، نشر عبد الرحمن الحجي، (بيروت: ١٩٦٥م)، ص٢٤٤.

٧٦. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٧.

٧٧. الحميري الروض المعطار، ص٣٧؛ الشمشاطي، علي ابن محمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) الأنوار ومحاسن الأشعار، تحقيق: صالح مهدي العزاوي، (بغداد:١٩٧٥)، ص٢٠١و٢١٢؛ أما حسين مؤنس فيرى أن لفظ أرس Urci موضع قديم في إقليم، اليمن، ينظر، مؤنس، حسين، فجر الأندلس، ط١، (القاهرة:١٩٥٩) ص ٥٤١؛ وينقل عن المستشرق توريس بلياس: إن ارش كلمة مصرية من آرسي وهو المركز العمراني القديم لمدينة بجانة، ينظر، سالم و العبادي، البحرية الإسلامية، ١٦٧/٢.

٧٨. الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص ٤٧.

٧٩. ابن خلدون، المقدمة، ص١١٤.

٨٠. ابن خلدون، المقدمة، ص١١٢.

٨١. لويس، القوة البحرية، ص٢٢٩؛ الدوري، صقلية، ص٥٩.

٨٢. لويس، أرشيبالد، القوة البحرية، ص٢٢٩-٢٣١.

٨٣. الحميري، الروض المعطار، ص٧٦ وص١٠٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص١٩٢.

٨٤. الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٤٣٤.

٨٥. العدوي، إبراهيم أحمد، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، مكتبة نهضة مصر، (القاهرة:١٩٥٧م)، ص١٥٨- ١٥٩؛ ألعبادي وسالم، البحرية الإسلامية، ٢/ ١٥٠.

٨٦. الحميري الروض المعطار، ص١٧٠؛ الإدريسي نزهة المشتاق، ص١٩٣.

٨٧. شاطبة: مدينة شرقي الأندلس وشرقي قرطبة.ويجوز أن اشتقاقها من الشطبة وهي السعفة الخضراء الرطبة، وشطبت المرأة الجريدة شطبا إذا شققتها لتعمل حصيرا، والمرأة شاطبة، الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٣٠٩؛ابن خلدون، المقدمة، ص١١٤.

٨٨. مرسى المنكب، بلد على الساحل الشرقي للأندلس بين المرية و مالقة، ينظر الحميري، الروض المعطار، ص ١٧٠.

٨٩. شلوبنية: حصن الأندلس على شاطئ البحر من أعمال كورة الكبيرة، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ٣٦٠.

٩٠. ابن خلدون، المقدمة، ص١١٤.

٩١. لويس، أرشيبالد، القوة البحرية، ص٩٦.

٩٢. لويس، أرشيبالد، القوة البحرية، ص٩٠.

٩٣. الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص ٣٧-٤٢.

٩٤. الدوري، صقلية علاقتها، ص٢٥- ٢٦.

٩٥. الدوري، صقلية علاقتها، ص٣٦.

٩٦. اليوزبكي، دراسات في النظم، ص١٤٦.

٩٧. لويس، القوى البحرية، ص٩١-٩٢.

٩٨. البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٢-٢٢٣؛ لويس، أرشيبالد، القوى البحرية، ص٨٩.

٩٩. أطلق العرب لفظ الأندلس على شبه جزيرة أيبيريا التي تضم اسبانيا والبرتغال معاً وحين يذكر اسم الأندلس فإنه يعني أيضا المنطقة الإسلامية التي شملها الإسلام سلطاناً وسكاناً حتى شمال جبال البرانس حيث المدن الفرنسية (بوردو، ومنتوبات على نهر الجارون، وناربي وخليج بسكاي) وكلها فتحها المسلمون. واستمر اسم الأندلس متداولاً حتى تقلصت دولة الأندلس، وانحصرت في الجنوب في إمارة غرناطة، ينظر الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص ١٢٥.

١٠٠. لويس، القوى البحرية، ص١٠١.

١٠١. ابن خلدون، المقدمة، ص٤٤٩.

١٠٢. لويس، القوى البحرية، ص١٠١.

١٠٣. جوليان، تاريخ إفريقيا، ص٢٤-٢٥ ؛ لويس، القوى البحرية، ص١٠٠.

١٠٤. جوليان، تاريخ إفريقيا، ص٣٢ .

١٠٥. البلاذري، فتوح البلدان، ص١٦٦؛ الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص١٢٥؛ جوليان، تاريخ إفريقيا، ص٦٢.

١٠٦. يعد موسى بن نصير من أكبر الشخصيات العسكرية الإسلامية في المغرب العربي، فقد لعب دوراً مهماً في تاريخ العرب عامة، وتاريخ شمال إفريقيا والأندلس خاصة، ومن المؤكد انه ولد بوادي القرى في شمال الحجاز سنة ١٠ هـ/٦٤٠م وهو ينتسب إلى بكر بن وائل، كما كان أباه ممن سباهم خالد بن الوليد في موقعة عين التمر، وقيل إنه كان ينتسب بطريق الولاء إلى بني لخم، وإن أباه كان على حرس معاوية بن أبي سفيان؛ ينظر ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد إبراهيم البرمكي الاربلي(ت٦٨١هـ/١٢٨٢)، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار الثقافة، (بيروت:١٩٧٢ م) ص٣١٨-٣٣٩؛ وابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، مطبعة الآمة، (مصر١٣٢٨هـ)، ص٥٠-٦٦.

١٠٧. لويس، القوى البحرية، ص١٠٢ وص١١٦.

١٠٨. اليوزبكي، دراسات في النظم، ص١٤٦.

١٠٩. لويس، القوى البحرية، ص١٠١.

١١٠. الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، (دمشق:١٩٨١)، ص٤٧-٤٩.

١١١. لويس، القوى البحرية، ص١٠١.

١١٢. اليوزبكي، دراسات في النظم، ص١٤٦.

١١٣. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣٧.

١١٤. لويس، القوى البحرية، ص١٠١.

١١٥. لويس، القوى البحرية، ص١٠٠- ١٠١.

١١٦. ابن خلدون، المقدمة، ص٤٤٨-٤٤٩.

١١٧. البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٦٧.

١١٨. الكندي، ولاة مصر، ص ١٨٣.

١١٩. لويس، القوى البحرية، ص٤٨ و١١٦.

١٢٠. الكندي، ولاة مصر، ص٢٠٤.

١٢١. الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص٧٣.

١٢٢. فازليف، العرب والروم، ص ٥٨؛ العبادي، أحمد مختار و سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ البحرية الإسلامية، ٢/ ٨٣.

١٢٣. فازليف، العرب والروم، ص٥٨- ٥٩.

١٢٤. فازليف، العرب والروم، ص ٦٠؛ غنيم، أسمت، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، مطبعة جريدة السفير، (الإسكندرية:١٩٨٢)، ص٥٥.

١٢٥. الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص٧٧و٨١.

١٢٦. المقريزي، اتعاض الحنفا، ص٧٧ حاشية ٤.

١٢٧. سرهنك: حقائق الأخبار، ١/ ٢١٩و٣٩٤؛ دياب، صابر محمد، سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط، ط١، دار عالم الكتب، (القاهرة: ١٩٧٣)، ص٧٦.

١٢٨. ابن عذاري، البيان المغرب، بيروت، ١/ ١٢٤.

١٢٩. أسد بن الفرات بن سنان من بني سليح من أهل نيسابور، ولد بحران، ويكنى بأبي عبد الله وكان مولده ١٤٢هـ، ثم قدم مع والده إلى إفريقية بصحبة محمد بن الأشعث الخزاعي الذي قدم إلى إفريقية بعسكره. كان أسد قاضيا عند توليته حملة فتح صقلية سنة ٢١٢هـ ومات سنة ٢١٣هـ وهو على حصار سرقوسة بالجزيرة نفسها وكان عالما فقيها، ينظر ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/٣٨٠؛ كذلك ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، مادة أسد بن الفرات، ص١٨٢.

١٣٠. الدوري، صقلية، ص٤٩.

١٣١. البكري، المسالك والممالك، ص٢١٩-٢٢٠، ألحميري، الروض المعطار، ص١٥٦.

١٣٢. ألحميري، الروض المعطار، ص ٧٩.

١٣٣. الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص ١١١.

١٣٤. لويس، أرشيبالد، القوى البحرية، ص٢١٤؛ وينظر، محمد عبد الله عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط٤، (القاهرة: ١٩٦٢ م)، ص ١٢٤؛ و الديوهجي، سعيد، النار العربية، مجلة الجزيرة، (الموصل حزيران ١٩٤٨م)، ص٧-٩.

١٣٥. ابن عذارى، البيان المغرب، ٣/١٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/١٨٨.

١٣٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/١٨٨؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ٤/٤٣١.

١٣٧. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/١٨٨؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ٤/٤٣١؛ فازليف، العرب والروم، ص١٢١، لويس، القوى البحرية، ص٢١٣.

١٣٨. ابن عذارى، البيان المغرب ١/ ١٢٤؛ أرسلان، غزوات، ص٢٨٤- ٢٨٥

١٣٩. العبادي و سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ٢/ ١٢١.

١٤٠. الكعاك، الحضارة العربية، ص١٥.

١٤١. العبادي و سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ٢/٩٨.

١٤٢. الربيعي، الإستراتيجية البحرية، ص ٢٦.

١٤٣. يذهب ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة، ٢/ ٥٩؛ و ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد المصرية (القاهرة:١٩٧٢)، ج١، ص ٤٥؛ و لويس، القوى البحرية، ص١٠١، إلى أن فاتحها هو موسى بن نصير نفسه.

١٤٤. ابن خلدون، كتاب العبر، ٤/٣٥٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦/٢٤٦.

١٤٥. لويس، القوى البحرية، ص٢٤٨ و٣١٣ و٣٢٢و٣٢٤.

المصادر والمراجع

المصادر

١. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي(ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، الحلة السيراء، تحقيق:حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، (القاهرة:١٩٨٥).

٢. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري(ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٧٨).

٣. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت٥٦٠هـ /١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق أماري وسكياباريللي، (روما ١٨٨٣م).

٤. الأندلسي، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان

القرطبي(ت٤٦٩هـ/١٠٧٩م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، نشر وتحقيق: عبد الرحمن ألحجي، (بيروت: ١٩٦٥م).

٥. البغدادي أبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب، ثغور الإسلام، تحقيق: دي غوية (ليدن:١٨٨٩).

٦. البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٧٨هـ /١٠٩٤م)، المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن على ألحجي، مطابع دار لبنان للطباعة والنشر، (بيروت: ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م).

٧. البلاذري، أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق:رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، (بيروت:١٩٨٣).

٨. ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد المصرية، (القاهرة:١٩٧٢).

٩. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٢٢٦هـ /١٢٢٨ م)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، (بيروت: ١٩٥٥).

١٠. ألحميري، أبو عبد الله محمد ابن عبد المنعم(٧٣٣هـ /١٣٢٣م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: ١٩٣٧).

١١. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: يوسف اسعد داغر، دار الكتاب اللبناني، (بيروت: ١٩٦٨).

١٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) المقدمة من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار العودة، (بيروت:١٩٨١).

١٣. ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد إبراهيم البرمكي الاربلي(ت٦٨١هـ/١٢٨٢)، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار الثقافة، (بيروت:١٩٧٢ م).

١٤. ابن ألدلائي، أحمد بن عمر بن انس العذري (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الاهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد: ١٩٦٥).

١٥. ابن الزبير، القاضي الرشيد أحمد بن علي بن إبراهيم (ت٦٥٤هـ/١١٦٧م)، الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد عبد الله، (الكويت: ١٩٥٩ م).

١٦. الشمشاطي، علي بن محمد الشمشاطي (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، الأنوار ومحاسن الأشعار، تحقيق صالح مهدي العزاوي، مطبعة المثنى، (بغداد:١٩٧٥).

١٧. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ / ٩٢٣م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار المعارف، مصر (القاهرة: ١٩٦٠ -١٩٦٩).

١٨. ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشي (ت٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار المغرب، مكتبة صادر، (بيروت:١٩٥٠).

١٩. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، مطبعة الآمة، (مصر١٣٢٨هـ).

٢٠. القلقشندى، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى (ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، (القاهرة: ١٩١٥).

٢١. ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز(ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، تاريخ افتتاح الأندلس، نشر دون خليان رابيرا (مدريد: ١٩٢٢).

٢٢. الكندي، محمد بن يوسف (ت٣٦٢هـ)، ولاة مصر، دار الصياد، (بيروت:١٩٦٩).

٢٣. المغربي، ابن سعيد (ت٦٨٥ هـ/١٢٨٦م)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف، (الإسكندرية: ١٩٩٤).

٢٤. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله ألشابي (ت٣٨٧هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الناشر مكتبة مدبولي، (القاهرة: ١٩٦٧).

٢٥. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد(ت٨٤٥هـ-١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط٢، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، (القاهرة: ١٩٩٦).

٢٦. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة بولاق (القاهرة:١٩٧٠م).

٢٧. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن

محمد (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، ط٣، مطبعة بولاق، (القاهرة:١٩٧٠).

٢٨. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر (بيروت: ١٩٥٦م).

٢٩. النصيبي، أبو القاسم محمد بن حوقل (ت ٣٦٧هـ) -كتاب صورة الأرض ط بريل ليدن ١٩٣٨.

٣٠. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ)، كتاب البلدان، بريل، (ليدن:١٩٦٨).

المراجع

٣١. أرسلان، شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، طبعة عيسى ألبابي الحلبي، (القاهرة:١٩٥٢).

٣٢. بشتاوي، عادل سعيد، الأندلسيون الموراكة، ط١، الناشر دار انترنشيونال برس، (القاهرة ١٩٨٣).

٣٣. ألحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، (دمشق:١٩٨١).

٣٤. جوليان، شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، (تونس:١٩٨٥).

٣٥. الدوري، تقي الدين عارف، صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية، دار الرشيد للنشر، (بغداد:١٩٩٨).

٣٦. دياب، صابر محمد، سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط، دار عالم الكتب، ط١ (القاهرة: ١٩٧٣).

٣٧. الديوهجي، سعيد، النار العربية، مجلة الجزيرة، (الموصل حزيران ١٩٤٨م).

٣٨. الربيعي، عماد هادي علو، الإستراتيجية البحرية الإسلامية في البحر المتوسط في القرنين الثالث والرابع الهجريين، ط١، دار حوران للطباعة والنشر، (دمشق: ٢٠٠٩).

٣٩. سالم، عصام سالم سي. جزائر الأندلس المنسية. دار العلم للملايين، (بيروت:١٩٨٩).

٤٠. سرهنك، إسماعيل، حقائق الأخبار عن دول البحار، ط١، المطبعة الأميرية ببولاق، (مصر، ١٣١٢ هـ).

٤١. العبادي، أحمد مختار و السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ج٢، مؤسسة الجامعة، (الإسكندرية:١٩٧٨).

٤٢. العبادي، أحمد مختار و السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية:١٩٨٢).

٤٣. العدوي، إبراهيم أحمد، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، مكتبة نهضة مصر، (القاهرة:١٩٥٧م).

٤٤. عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة:٢٠٠١م).

٤٥. عنان، محمد عبد الله، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط٤، (القاهرة ١٩٦٢ م).

٤٦. غنيم، أسمت، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، مطبعة جريدة السفير الإسكندرية، دار المعارف، (الإسكندرية:١٩٨٢).

٤٧. فازليف، العرب والروم، ترجمة: محمد عبد الهادي سفيره، دار الفكر العربي (بيروت:لا، ت).

٤٨. الكعاك، عثمان، الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط، معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية، (القاهرة:١٩٦٥).

٤٩. لويس، أرشيبالد، القوة البحرية والتجارية في البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، نشر مكتبة النهضة المصرية مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (القاهرة:لا، ت).

٥٠. مؤنس، حسين، فجر الأندلس، ط١، دار الرشاد، (القاهرة ١٩٥٩)..

٥١. اليوزبكي، توفيق سلطان، دراسات في النظم العربية والإسلامية، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل، (الموصل: ١٩٧٧م).

هل البابليون القدماء أول من ابتكر الكهرباء؟

الأستاذ المشارك الدكتور يعرب قحطان عبد الرحمن الدوري
جامعة برليس - ماليزيا

هل البابليون القدماء أول من ابتكر الكهرباء؟

تأصيل كلمة «كهرباء»

إنَّ أصل كلمة «كهرباء» في العربية (كهربا): (وهو صمغ شجرة إذا حك صار يجذب التبن نحوه). فالكهرباء الستاتيكية (السكونية) هي أول ما عرف من أشكال الكهرباء. ويمكن بالفعل أن تتولد الكهرباء إذا ما حكت قطعة راتنج (مادة صمغية تنتجها بعض النباتات) شبيهة بالعنبر. جمع الإنكليزي ستيفن غراي[(١)] (١٦٧٠م-١٧٣٦م) لائحة تتضمن أسماء العناصر الموصلة والعازلة للكهرباء .وفي ١٧٣٣م، اكتشف الفرنسي شارل دو فاي[(٢)] (١٦٩٨م-١٧٣٣م) وجود شحنة كهربائية موجبة وأخرى سالبة وأن الشحنتين من طبيعة واحدة تتنافران، وشحنتين متعارضتين تتجاذبان[(٣)]. الكهرباء ظاهرة ناتجة عن وجود شحنة كهربائية وتدفقها والشكل (١) يبين إحدى هذه الظواهر. وتحتوي على مفاهيم أقل شيوعاً مثل المجال الكهرومغناطيسي والحث الكهرومغناطيسي.

أما في الاستخدام العام، فمن المناسب استخدام كلمة «كهرباء» للإشارة إلى عدد من التأثيرات الفيزيائية. ولكن في الاستخدام العلمي، يعد المصطلح غامضاً. خضعت الظواهر الكهربائية للدراسة منذ القِدم، إلا أن علم الكهرباء لم يشهد أي تقدم حتى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي. وعلى الرغم من ذلك، فقد ظلت التطبيقات العملية المتعلقة بالكهرباء قليلة العدد، ولم يتمكن المهندسون من تطبيق علم الكهرباء في الحقل الصناعي والاستخدامات السكنية، إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. وقد أدى التقدم السريع في تكنولوجيا الكهرباء في ذلك الوقت إلى إحداث تغييرات في المجال الصناعي وفي المجتمع أيضاً. كما أن الاستعمالات المتعددة والمذهلة للكهرباء كمصدر من مصادر الطاقة أظهر إمكانية استخدامها في عدد لانهائي من التطبيقات مثل المواصلات والتدفئة والإضاءة والاتصالات والحساب. أساس المجتمع الصناعي الحديث يعتمد على استخدام الطاقة الكهربائية،

ويمكن التكهن بأن الاعتماد على الطاقة الكهربائية سيستمر في المستقبل.



الشكل (١): الكهرباء الناتجة عن ظاهرة البرق الطبيعية.

ما هي الكهرباء؟

حسب النظرية المكروسكوبية (المجهرية) التي قدمها في العام ١٨٩٥م هندريك أنتون لورنتز[٤] (١٨٥٣م-١٩٢٨م) فإن الكهرباء هي الطاقة التي تولدها حركة الإلكترونات في جسم موصل.

ومن هذه الحركة يتولد التيار الكهربائي. ويمكن أن يتولد تيار كهربائي أيضاً نتيجة فصل إلكترونات عن ذرتها عن طريق الاحتكاك أو الحرارة أو المفعول الكيماوي («قصف» تلك الإلكترونات بإلكترونات أخرى). وهنالك عناصر «تخلي سبيل» ذراتها دون أن يتطلب ذلك جهداً كبيراً: وهي الموصلات كالنحاس والفضة والألومنيوم. أما الهواء وبعض المواد مثل الزجاج والمطاط، فهي مواد عازلة[٥]. تتولد الكهرباء عن الداينموات (مولدات). والدينامو عبارة عن وشيعة (ملف) يلتف حولها سلك موصل، وتدور بين قطبين مغناطيسيين.

وقد قام مايكل فارادي[٦] بتجربة، في هذا المضمار سنة ١٨٣١م وقد قدم وشيعة (من الصنف المذكور) من حقل مغناطيسي، ثم يبعدها عنه بالتناوب. والتوربينة البخارية هي الأداة المستعملة غالباً لجعل الداينموات تدور. والتوربينات الهيدروليكية هي التي تشغل المحطات الموجودة قرب الشلالات أو السدود كما أن عدد المحطات النووية المعتمدة بدورها لنفس الهدف، في تزايد مستمر. ويستعمل الفحم والمازوت عادة لتسخين ماء التربينات البخارية. ولكن الجانب السلبي في هذا يتمثل في كونهما يلوثان الهواء. إضافة إلى أن معدل ما يستهلك منهما الآن يجعلنا نستخلص أنهما سيستنفدان بعد حوالي قرنين. فما هو الحل الذي سيتم اللجوء إليه آنذاك؟

لا شك إن المشروع الذي أشرنا إليه سينجز، ولكن ذلك لن يتم في وقت قريب وبالتالي فلن تتوافر ٢٠٠٠٠ مليار من الكيلوواطات (ضعف القدر الضروري الآن) في السنوات القليلة القادمة، بهذه الطريقة التي ما تزال تنتمي إلى مجال التصور الذهني. وبالنظر إلى كل هذا، صيغت مشاريع أخرى، وهي الآن قيد الدراسة، من بينها يقتضي استعمال الطاقة الناتجة عن المد. بل إن هناك مصنعا يشتغل بهذه الطاقة في فرنسا (يشرف على مصب «الرانس» ببريطانيا) وينتج حوالي ٣٠٠٠٠ كيلوواط.

الطاقة الكهربائيّة

كانت أول بطارية كهربائية هي «قنينة ليد» (و«ليد» هو اسم المدينة الهولندية التي اخترعت فيها). تلك كانت قنينة مليئة بالماء سدادتها الزجاجية يخترقها مسمار يطال السائل. وعن طريق المسمار، تبث شحنة في الماء المعزول داخل الزجاج. فإذا أحدث تماس بين المسمار وموصل آخر تنتج عن ذلك شرارة.

وفي عام ١٧٥٢م، تمكن الأمريكي بنجامين فرانكلين[٧] (١٧٠٦م-١٧٩٠م)، في وقت كانت خلاله السماء تبرق وترعد، من توجيه البرق في

لحظة ما إلى قنينة ليد، باستعمال طيارة ورقية، مبرهنا بذلك على كون العواصف الرعدية من طبيعة كهربائية. وتوالت التجارب والاكتشافات بسرعة. فصنع ألسنادرو فولتا[٨] أول بطارية كيميائية حوالي عام ١٨٠٠م)، إذا وُضِعَتْ اسطوانات من فضة وأخرى من توتياء، تفصل بينهما حلقات من ورق مقوى مشرب بالماء المالح.

أكد أندري ماري أمبير[٩] على علاقات وثيقة بين الكهرباء والمغناطيسية. وذلك ما، إذ أوضح أن للقضيب الفولاذي الممغنط نفس خصائص الوشيعة المكهربة. وقد اخترع هذا الأخير، «المقياس الكلفاني» لقياس قوة التيار. وفي ١٨٢٦م، فسّر جورج سيمون أوم[١٠] (١٧٨٩م-١٨٥٤م) ظاهرة إيصال أجسام صلبة للكهرباء، ووضع تعريفا للجهد الكهربائي (قوة دافعة كهربائية)، ومفعوله على الموصلات.

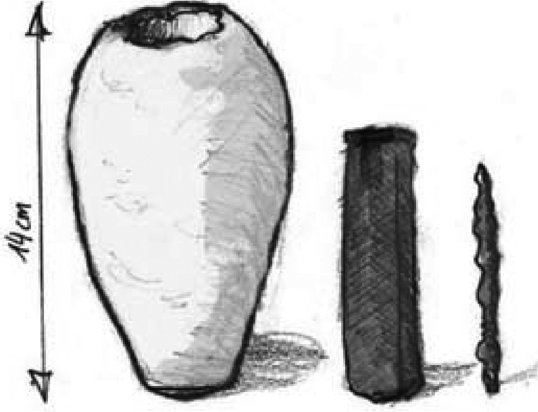
وفي عام ١٨٦٤م، قدم جيمس ماكسويل ١٨٣١[١١]م-١٨٧٩م، في نظريته الكهرومغناطيسية، تركيبا لكل المعارف المتعلقة بالكهرباء. وأخيراً، قدم البرت انشتاين[١٢] تفسيراً لمجمل الظواهر الكهرطيسية في إطار نظريته النسبية[١٣].

الكهرباء عند البابليين

إذا كنت تعتقد أن المصابيح الكهربائية والبطاريات هي اختراعات أوروبية حديثة، فهنا لا بد من وضع تلك الحقيقة على المحك. حيث كشفت حفريات ١٩٣٦م من بعض أطلال ٢٠٠٠ عاماً من العمر في قرية بغداد القديمة إناءً صغيراً من الطين الأصفر بطول ٦ بوصات. وكان بداخله إسطوانة نحاسية بأبعاد ٥ × ١,٥ بوصة.

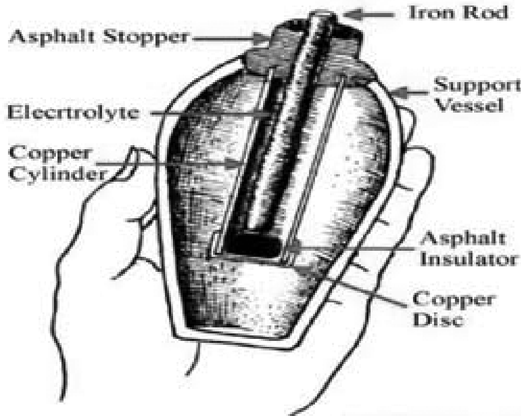
تم استخدام مواد لحام (من الرصاص والقصدير على الأرجح) في الحافة العلوية من هذه الاسطوانة، مع تقارب ملحوظ لسبيكة اللحام الحديثة. كما أن قرص النحاس في قاعدة هذه الإسطوانة كان مختوماً بالأسفلت أو القار.

طبقة الاسفلت مماثلة وجدت أيضاً في النهاية العليا للقضيب الحديدي، واضعة علامات التآكل الحمضي آثارها داخل الاسطوانة كما في الشكل (٢)[١٤].



الشكل (٢): إناء صغير من الطين وبجانبه إسطوانة نحاسية.

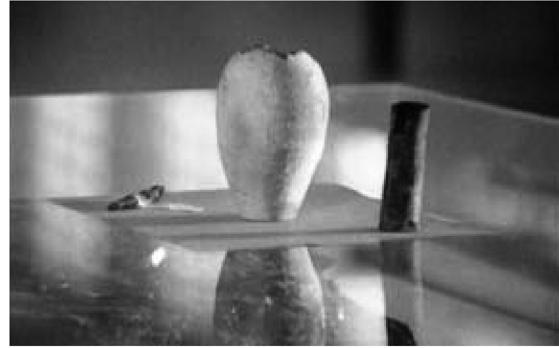
ومنذ ذلك الحين اقترحت عدة احتمالات من قبل الخبراء. حيث جلب العالم الألماني ويلهيلم كونيغ[١٥]، فكرة مذهلة بأن وعاءً من الطين يمكن أن يكون شكلاً من أشكال البطارية الكهربائية. وفيما يلي نظريته، صُنِّعُ المهندس ويلارد ف. م. غراي[١٦] نموذجاً لهذه البطارية في عام ١٩٤٠م، وملأها بكبريتات النحاس، وأثبتت أنه يمكن أن تنتج الكهرباء كما في الشكل (٣).



الشكل (٣): نموذج البطارية التي اقترحها ويلارد ف. م. غراي.

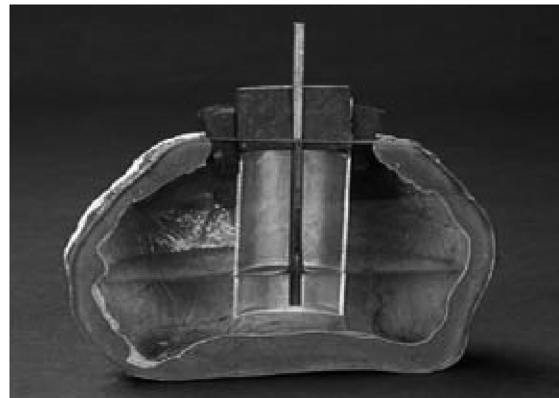
هل البابليون القدماء أول من ابتكر الكهرباء؟

في عام ١٩٧٠م، تبع عالم الآثاريات الألماني آرني إيغبرخت[١٧] خطى غراي وهو إستبدال النحاس بمحلول الكبريتات مع عصير العنب الطازج لتوليد الكهرباء بمقدار ٠,٨٧ فولت لتمثال فضي مصفح بالذهب كما يوضحه الشكل (٤). ثبت أن هذه التجارب لا شك فيها أنها بعمر أكثر من ٢٠٠٠ سنة مضت وعرفت كيفية إنتاج واستخدام الطاقة الكهربائية عن طريق وسائط حمضية.



الشكل (٤): نموذج البطارية التي اقترحها آرني إيغبرخت.

كسرت هذه الخطى استنتاجات العالم الألماني كونيغ لأهميتها في معمعة الحرب العالمية الثانية. وكان شريكه الأوربي قد أثار اعتراضاً على نظرياته بوجود البطاريات في العهود الماضية في الغالب حيث يبدو احتمالاً مستبعداً. اكتشف، ومع ذلك، «البطاريات القديمة» قريباً من هم في نفس المواقع في العراق، والملهمة لكثير من المقترحات المحيرة.



الشكل (٥): البطارية التي عثر عليها كونيغ.

في حين أن البعض تكهن بأن الهدف من إقامة منظومة كهروكيميائية هو لإنتاج الكهرباء، بينما دحض البعض هذا الادعاء. أما العالم الألماني كونيغ فقد عثر على سلسلة من الأهداف المطلية كهربائيا ورأى أن هذه هي أساس الوقود. وقد برهنت التجارب أنه على الرغم من هذه البطارية بدائية للغاية، فإنه يمكن استخدام لوح صغير مع الذهب بسمك ميكرومتر لأكثر من ساعتين. ومع ذلك، لم تكن نظرية اللوح الكهربائي مقبولة للجميع واقترحت استخدامات أخرى ممكنة لهذه البطاريات المبينة في الشكل (٥). كما ألمح بول كيسير[١٨] إلى استخدام الصعقة الكهربائية من قضيب حديدي مغمور في الخل من قبل معالجي الوخز بالإبر الكهربائية. ويمكن أيضاً خلق شعور من الرعب بين المتعبدين من كهربة التمثال المعدني الذهبي للآلهة كما حدث في معابد الآلهة[١٩].

ورغم أن هذه التطبيقات المخادعة والدينية للبطاريات في بغداد القديمة فقد كانت ذات مصداقية، فقد أعرب بعض علماء الآثار عن شكوكهم حول هذه النظرية الكهربائية. وأثاروا تساؤلات بشأن غياب الأسلاك والعوازل لاسطوانة نحاسية كما تشير المشاكل لما يسمى الخلايا الكلفانية.

وأشاروا في ختم القار باعتباره دليلاً على الأواني الفخارية المستخدمة لأغراض الخزن، كما أشاروا إلى أنها وسيلة التخزين الآمن للحفاظ على اللفائف التي يتعبدون بها، والمخطوطات أو وثائق البردي داخل غرفة محكمة الإغلاق من الاسطوانة.



الشكل (٦): طريقة الإنارة التي استخدمها المصريون القدماء في معبد درندرا.

ومع ذلك، هناك في معبد دندرا في مصر حجر لتخفيف إضاءة مصباح كهربائي. يبين الشكل (٦) المتعبدون في المعابد حيث لا يوجد أثر للسخام في أي من أعمدة الهرم أو مقابر تحت الأرض من مصر، والذي يجب أن يكون العمال قد استخدموا النار كمصدر للوقود أو إنارة المنحوتات والزينة داخل الغرف فلا بد من مصدر بديل للضوء والنار وهذا يدل على دعم نظرية البطارية.

تحفظ بطاريات بغداد حالياً (قبل الغزو الغاشم على العراق عام ٢٠٠٣م)، ذات القطع القيّمة في المتحف العراقي بوسط بغداد. وعلى الرغم من أن هذه الآثاريات تعود في معظمها إلى عهد الاحتلال البارثيني ما بين ٢٤٨ قبل الميلاد و٢٢٦ ميلادية. كان البارثيون بطبيعتهم الاحتلالية لا يعطون حقائق علمية. فيما نسب الدكتور القديس جون سمبسون[٢٠] من المتحف البريطاني بطاريات بغداد إلى العهد الساساني[٢١].

الكهرباء بشكلها الحالي

أشار الإغريق والرومان وعلماء الطبيعة والأطباء المسلمون[٢٢] إلى معرفتهم بالكهرباء[٢٣]. ولقد أكد الكتّاب القدامى، مثل بليني الأكبر[٢٤] على الإحساس بالتنميل الناتج عن الصدمات الكهربائية التي يحدثها سمك السلّور الصاعق. ما اكتشف هؤلاء الكتّاب أن هذه الصدمات يمكن أن تنتقل عبر الأجسام الموصلة[٢٥]. وبجميع الأحوال، ينسب أقدم وأقرب أسلوب لاكتشاف ماهية البرق والكهرباء الصادرة عن أي مصدر آخر إلى العرب الذين أطلقوا كلمة «رعد» العربية على الشعاع الكهربائي قبل القرن الخامس عشر الميلادي. وقد كان معروفًا في الثقافات القديمة للدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط أن هناك أجساماً معينة مثل قضبان الكهرمان، يمكن حَكّها بفرو قطة فتجذب الأجسام الخفيفة مثل الريش. وقد قام العالم والفيلسوف الإغريقي، طاليس الملطي[٢٦]، حوالي عام ٦٠٠ قبل الميلاد بتسجيل مجموعة من الملاحظات تتعلق بالكهرباء الساكنة. وتوصل إلى أن الاحتكاك يحول الكهرمان إلى مادة مغناطيسية. وعلى عكس ذلك، لا تحتاج المعادن، مثل المغناطيس المعروف باسم أكسيد الحديد الأسود، إلى عملية الاحتكاك حتى تكتسب صفة المغناطيسية[٢٧]. إلا أن طاليس كان مخطئاً في اعتقاده بأن سبب الانجذاب هو التأثير المغناطيسي، فقد أثبتت الأبحاث العلمية فيما بعد وجود علاقة بين المغناطيسية والكهرباء.

ظلت الكهرباء لا تعني أكثر من مجرد فضول فكري لآلاف السنين حتى عام ١٦٠٠م حتى أجريت دراسة دقيقة حول الكهرباء والمغناطيسية والفرق بين تأثير حجر المغناطيس والكهرباء الساكنة التي تنتج عن احتكاك مادة الكهرمان[٢٨]. وابتكر كلمة «electricus» وهي باللغة اللاتينية الجديدة «من «الكهرمان» أو «شبيه الكهرمان» ، ومأخوذة من «ήλεκτρον» أي» إلكترون» ، وهي المرادف اليوناني لكلمة «كهرمان» للإشارة إلى خاصية جذب الأجسام الصغيرة بعد حكها[٢٩]. أدى هذا الارتباط إلى إبراز الكلمتين «Electric» و«Electricity» اللتين ظهرتا لأول مرة في كتاب توماس براون» الأخطاء

هل البابليون القدماء أول من ابتكر الكهرباء؟

الشائعة» المعروف باللاتينية Pseudodoxia Epidemica الذي صدر عام ١٦٤٦م[٣٠].

وقد قدم أوتوفون جوريك[٣١] وروبرت بويل[٣٢] وستيفن جراي[٣٣]وشارل دو فاي المزيد من الأعمال. وأجرى بنجامين فرانكلين في القرن الثامن عشر أبحاثًا شاملة بشأن الكهرباء، حتى أنه اضطر إلى بيع ممتلكاته لتمويل أبحاثه. وقيل أنه في شهر حزيران/يونيو من سنة ١٧٥٢م، قام بربط مفتاح معدني أسفل خيط رطب لطائرة ورقية وأطلق الطائرة في سماء تنذر بهبوب عاصفة. ثم لاحظ مجموعة متلاحقة من الشرارات تخرج من المفتاح إلى ظهر يده، الأمر الذي برهن على أن البرق ذو طبيعة كهربائية بالفعل[٣٤]. نشر لودجي جالفاني[٣٥] عام ١٧٩١م اكتشافه الخاص بالكهرباء الحيوية الذي أظهر أن الكهرباء هي الوسيط الذي تقوم من خلاله الخلايا العصبية بنقل الإشارات إلى العضلات.

وفي عام ١٨٠٠م أخترع أليساندرو فولتا أول بطارية كهربائية وأطلق عليها اسم «البطارية الفولتية» . وكانت مصنوعة من طبقات متوالية من الزنك والنحاس. ولقد مَدّت هذه البطارية العلماء بمصدر للطاقة الكهربائية يمكن الاعتماد عليه أكثر من الماكينات الإلكتروستاتية[٣٦] التي كانت تُستخدم من قبل. وعلى الرغم من أن أوائل القرن التاسع عشر شهدت تقدمًا سريعًا في علم الكهرباء، فإن أواخر القرن نفسه شهدت أعظم تقدم في مجال الهندسة الكهربائية. وتحولت الكهرباء من مجرد فضول علمي مُحير إلى أداة رئيسية لا غنى عنها في الحياة العصرية وأصبحت القوة الدافعة للثورة الصناعية الثانية. وكل ذلك تحقق بفضل جهود الكثير، منهم: نيكولا تسلا[٣٧] وتوماس إديسون[٣٨] وإرنست فيرنر فون سيمنز[٣٩] وألكسندر جراهام بيل[٤٠] واللورد ويليام تومسون[٤١].

مقالات علمية

الحواشي

١. أجرى ستيفن غراي سلسلة من التجارب التي أثبتت وجود فرق بين الموصلات وغير الموصلات (عوازل)، وتبين خلالها أن السلك المعدني أو الحزمة منها هي من الموصلات للكهرباء، ففي إحدى تجاربه ارسل تيار كهرباء لمسافة ٨٠٠ قدم خلال ربطة من حبل القنب (الخيش) ولكنها تتوقف عند حلقات خيوط الحرير، فعندما أعاد التجربة وغير من الحرير بأسلاك نحاسية، وجد أن التيار الكهربي لم يعد محمولا في أنحاء حبل القنب ولكنه تلاشي في أسلاك النحاس. فاستنتج من تلك التجربة أن المواد تصنف إلى صنفين: «كهربائية» مثل الزجاج والراتنج والحرير، و» غير كهربائية» مثل المعدن والماء. فالكهربائية هي التي توصل الشحنة بينما غير الكهربائية هي التي توقف الشحنة.

٢. كيميائي فرنسي اكتشف في عام ١٧٣٣م وجود نمطين من الشحنات الكهربائية السكونية ولاحظ الفرق بين الموصلات والمواد العازلة، واصفا إياها ʼالكهرباءʻ وʻغير الكهربائيةʼ لقدرتها على إنتاج الكهرباء والاتصال. كما اكتشف أن الأجسام المشحونة تتجاذب أو تتنافر كما دحض بعض المفاهيم الخاطئة فيما يتعلق بالشحنة الكهربائية، مثل أن الدكتور ستيفن غراي الذي يعتقد أن الخصائص الكهربائية للهيئة يتوقف على اللون. وأبلغ ملاحظاته على الكهرباء في ورقة مكتوبة في كانون الأول / ديسمبر ١٧٣٣م وطبع في المجلد ٣٨ من المعاملات الفلسفية للجمعية الملكية في ١٧٣٤م.

٣. بنك المعلومات.

٤. عالم فيزياء، ولد في ١٨ يوليو ١٨٥٣م بأرنهايم، هولندا وتوفي في ٤ فبراير ١٩٢٨م بهارلم، هولندا. حصل على جائزة نوبل للفيزياء سنة ١٩٠٢ وعلى وسام رمفورد بعدها بست سنوات. في سنة ١٩١٧ فاز بوسام فرنكلن بفضل أبحاثه في طبيعة وبنية المادة وكانت آخر جوائزه وسام كوبلاي سنة ١٩١٨م. أشتهر بأبحاثه في الكهرومغناطيسية وترك بصمته فيها حتى أعطي اسمه لتحويلات لورينتس وهي أساس النظرية النسبية الخاصة. يجب التنبيه إلى ضرورة التمييز بين هندريك لورنتس مدار بحثنا، وبين الفيزيائي الدانمركي لدويج لورنتس الذي كان أيضاً باحثا بارزا في مجال الكهرومغناطيسية، ناهيك عن أن العلاقة بين العالمين كانت متوترة للغاية.

٥. بنك المعلومات.

٦. عالم كيمائي وفيزيائي إنجليزي. وهو من المشاركين في علم المجال الكهرومغناطيسي والكهروكيميائي. لقد درس فرداي المجال المغناطيسي على موصل يحمل تيار كهربائي مستمر وبذلك وضع أسس الكهرومغناطيسية. وهو مكتشف نظرية المحاثة والنفاذية المغناطيسية وقوانين التحليل الكهربائي. وهو القائل بأن المغناطيسية تؤثر على الأشعة الضوئية ووضع أسس الربط بين هذين الظاهرتين. يعد اختراعه للأجهزة الكهرومغناطيسية بداية لتكنولوجيا المحركات الكهربائية. وبذلك يصير أول من جعل الكهرباء شيء عملي لاستخدام تكنولوجي.

٧. ولد في ١٧ يناير١٧٠٦ م وتوفي ١٧ أبريل ١٧٩٠م واحد من أهم وأبرز مؤسسي الولايات المتحدة الأمريكية ومجددي الماسونية. كان مؤلفا صاحب هجاء سياسي؛ عالم ومخترع ورجل الدولة ودبلوماسي. كان شخصية رئيسة في التنوير وتاريخ الفيزياء، كان صاحب تجارب ونظريات واكتشافات متعلقة بالفيزياء. اخترع مانع الصواعق والنظارة ثنائية البؤرة وعداد المسافة وموقد فرانكلين كما أنه هو أول من أوجد كلمة electricity التي تعني كهرباء بالعربية وأول من درس الكهرباء علميا من بعد طالس في حقبة الثورة الصناعية كما أثبت أن البرق عبارة عن كهرباء عندما قام بتجربة خطرة كادت تودي بحياته عرّض فيها طائرة هوائية للصواعق فانجذبت نحوها فلما اندلعت بها الصاعقة احترقت من فورها.

٨. ولد ألساندرو فولتا في كومو بإيطاليا. تعلم في المدارس العامة هناك. وفي عام ١٧٧٤م أصبح أستاذا في الفيزياء بالمدرسة الملكية في كومو. تزوج فولتا من تريزا ابنة لودوفيكو بيرجريني وأنجب ثلاث أبناء وهو جوفاني وزانينو وفلامينيو.

قام باختراع جهاز يولد كهرباء ساكنة ويسمى باللاتينية Electrophorus ورغم أن هذا الاختراع يعد ترقية كبيرة جداً إلا أن الأستاذ السويدي جون كارل ويلكي قد سبقه إلى شيء من هذا في ماكينة اخترعها عام ١٧٦٢م بين عام ١٧٧٦م و١٧٧٧م درس فولتا كيمياء الغازات واكتشف غاز الميثان يسمى باللاتينية Methane عن طريق جمع بعض الغازات من المستنقعات. وقام ببعض التجارب على إشعال غاز الميثان عن طريق الصعق الكهربائي داخل إناء مغلق. كما قام فولتا بدراسة ما يسمى عندنا اليوم بالمكثف حيث درس العلاقة ما بين الجهد الكهربي V والشحنة Q وأثبت أن قيمهم تتناسب تناسباً مباشراً. وهذا هو قانون فولتا لتكثيف الشحنات. وقد وضع وحدة قياس الجهد بعد تلك التجارب وهي الفولت Volt وفي عام ١٧٧٩م تولى فولتا منصب أستاذ الفيزياء التجريبية بجامعة بافيا.

٩. هو عالم ورياضي فرنسي (١٧٧٥م-١٨٣٦م) أجرى عدة تجارب على الظواهر الكهرومغناطيسية بعد أن سمع باكتشاف أورستد لتأثير التيار الكهربي في سلك على إبرة مغناطيسية بقربه. وقد بين أمبير هذا التأثير بين سلكين يحملان تيارين بفعل المجالين المغناطيسيين حولهما. وقد سميت وحدة قياس شدة التيار أمبير باسمه.

١٠. عالم ومكتشف ألماني تخصص في العلوم عامة وفي الفيزياء قام بالتدريس في عدة معاهد آخرها في ميونخ München حيث توفي عام ١٨٥٤ م. من أهم أعماله: (١) اكتشف قانونًا في الكهرباء عرف باسمه وهو:

a. U =IxR حيث U هي فرق الجهد (الفولتية)، I شدة التيار، وR هي المقاومة. (٢) اكتشف الخصائص الكمية للتيارات الكهربائية. (٣) وضع وحدة قياس المقاومة باسمه ورمز لها بالرمز اليوناني أوميغا Ω. من مؤلفاته: النظرية الرياضية للتيارات الكهربائية. عناصر الهندسة التحليلية. نال ميدالية كوبلي سنة ١٨٤١م من الجمعية الملكية في لندن.

١١. عالم فيزياء بريطاني شهير لما أسهم به من معادلات هامة التي تفسر ظهور الموجات الكهرومغناطيسية.

١٢. ولد ألبرت أينشتاين في ١٤ آذار/مارس ١٨٧٩م وتوفي في ١٨ نيسان/أبريل ١٩٥٥م، عالم في الفيزياء النظرية. ولد في ألمانيا، لأبوين يهوديين، وحصل على الجنسيتين السويسرية والأمريكية. يشتهر أينشتاين بأنه واضع النظرية النسبية الخاصة والنظرية النسبية العامة الشهيرتين اللتان حققتا له شهرة إعلامية منقطعة النظير بين جميع الفيزيائيين، حاز في العام ١٩٢١م على جائزة نوبل في الفيزياء.

١٣. بنك المعلومات.

١٤. هل كان لدينا الكهرباء قبل ٢٠٠٠ عام؟

١٥. كانت وظيفته الرسم، واهتم بالعلوم الطبيعية. انتخب عام ١٩٣١م مساعداً للمدير الألماني لدائرة آثار بغداد كرئيس مختبر. صنع العام ١٩٣٨م الفحص الأول لوعاء الطين في المتحف الوطني العراقي (عندما كان مديراً له) والتي تعرف اليوم باسم بطارية بغداد. عاد سنة

هل البابليون القدماء أول من ابتكر الكهرباء؟

١٩٤٠م إلى برلين بسبب المرض، ونشر بحث تخمين عن الخلايا الكلفانية التي ربما استعملت مواداً مطلية بالفضة والذهب. كما أكتشف الأواني النحاسية من حضارة سومر القديمة المطلية بالفضة.

١٦. مهندس كهرباء عمل في معهد ماساسوشتس للتكنولوجيا، صنع نموذجاً للبطارية ليحاكي البطارية الحقيقة المنتجة للكهرباء.

١٧. عالم ألماني (١٩٣٥م-٢٠٠٤م) مختص بالآثار المصرية.

١٨. تتلمذ في مدارس ليتشوورث ولندن، بعدها درس الدراما في جامعة هل، ثم تركها مبكراً للعمل في أحدى أندية لندن. كانت وظيفته الرئيسية هو قراءة المخطوطات للمنتج المستقل فيرتي لامبرت ثم أصبح محرراً وعمل على درامات شعبية مثل «فعل الصف» . انتقل عام ١٩٦٦م إلى تلفزيون كارلتون ومعه الدراما. ألتحق عام ١٩٩٧م بمحطة بي بي سي الشهيرة وأصبح المحرر الأكثر شهرة ليكون المنتج في عام ١٩٩٨م. ثم أصبح المنتج المنفذ عام ٢٠٠٠م حيث ابتدأ السلسلة الأولى لـ «إيقاظ الموت» وفاز كأحسن سلسلة دراما في العام ٢٠٠٣م.

١٩. هل كان لدينا الكهرباء قبل ٢٠٠٠ عام؟

٢٠. أحد الباحثين البريطانيين في المتحف البريطاني بقسم الدراسات الشرقية.

٢١. يرجع تسمية الساسانيين إلى الكاهن الزرادشتي ساسان الذي كان جد أول ملوك الساسانيين أردشير الأول. الإمبراطورية الساسانية الاسمُ استعملَ للإمبراطورية الفارسية الثانية (٢٢٦م-٦٥١م). السلالة الساسانية أُسّستْ مِن قِبل الملك أردشير الأول بعد هَزيمة ملكِ ألبارثيين / ألفرثيين الاشكانيين الأخير أرتبانوس الرابع، وإنتهتْ تحت حكم ملك الدولة الساسانية الأخير يزدجرد الثالث (٦٣٢م-٦٥١م) مع الفتوحات الإسلامية عام ١٤ للهجرة.

٢٢. P. Moller

٢٣. موسوعة وكيبيديا العربية.

٢٤. گايوس پلينيوس سكوندوس Gaius Plinius Secundus المتوفى في ٢٥ آب/أغسطس ٧٩م. اشتهر باسم پليني الأكبر، كتب الكثير من الأعمال التاريخية والفنية التي لم يتبق منها سوى ٣٧ مجلدًا من التاريخ الطبيعي. علمًا بأن هذا العمل كان يُستخدم في العصور الوسطى، وقيمته الوحيدة الآن هي أنه يكشف عن المعرفة العلمية خلال فترة بليني. وُلد بليني في نوڤوم كوموم (كومو الآن) في شمالي إيطاليا. وعمل محاميًا، تولى مناصب حكومية مهمة. كان أدميرالاً على الأسطول الذي كان بالقرب من پومپي عندما انفجر بركان جبل ڤيزوڤ في عام ٧٩م ومات هناك وهو يحاول إنقاذ اللاجئين.

٢٥. T. H. Bullock & S. Morris

٢٦. يعرف أيضاً بتالس المليسي، أحد فلاسفة الإغريق قبل سقراط وواحد من حكماء الإغريق السبعة، ويعتبره الكثيرون الفيلسوف الأول في الثقافة اليونانية وأبو العلوم. عاش طاليس في مدينة مليتوس في أيونيا، بغرب تركيا.

٢٧. J. Stewart

٢٨. J. Stewar

٢٩. B. Baigrie

٣٠. G. Chalmers

٣١. فيزيائي ألماني، اشتهر بدراسته ضغط الهواء، حيث صنع أول مضخة هوائية في أثناء محاولاته للحصول علي تفريغ و صمم نصفي كرة ماجدبورج لتوضيح تأثير ضغط الهواء وهما نصفا كرة من المعدن مثبتتان سويا ليكونا كرة وعندما يُفرغ الهواء من داخلها يقال إنها تحتاج إلى ١٦ حصاناً لتنفصل نصفي الكرة. اخترع أيضاً ماكينة لتوليد الكهرباء.

٣٢. عالم إيرلندي يعد من أبرز الذين عملوا في مجال الغازات وخواصها، وهو الابن الرابع عشر لإيرل كورك الأول في إيرلندا وفي عام ١٦٥٧م قام بتطوير مضخة هوائية وبدأ بدراسة العلاقة بين الضغوط والحجوم للغازات المختلفة، ووضع بذلك قانوناً يعرف الآن باسمه قانون بويل. كما أنه يعد أول من قام بفصل الميثانول من بين المنتجات الناتجة عن التقطير الاتلافي للخشب وذلك عام ١٦٦١م. وهو أول من وضع تعريف للعنصر، وقال بأنه مادة نقية بسيطة لا يمكن تحليلها إلى ما هو أبسط منها بالطرق الكيميائية المعروفة.

٣٣. عالم بريطاني أجرى سلسلة من التجارب التي أثبتت بوجود فرق بين الموصلات وغير الموصلات (عوازل)،

وتبين خلالها أن السلك المعدني أو الحزمة منها هي من الموصلات للكهرباء، ففي إحدى تجاربه أرسل تيار كهرباء لمسافة ٨٠٠ قدم خلال ربطة من حبل القنب (الخيش) ولكنها تتوقف عند حلقات خيوط الحرير، فعندما أعاد التجربة وغير من الحرير بأسلاك نحاسية، وجد أن التيار الكهربي لم يعد محمولا في أنحاء حبل القنب ولكنه تلاشي في أسلاك النحاس. فاستنتج من تلك التجربة أن المواد تصنف إلى صنفين: «كهربائية» مثل الزجاج والراتنج والحرير، و» غير كهربائية» مثل المعدن والماء. فالكهربائية هي التي توصل الشحنة بينما غير الكهربائية هي التي توقف الشحنة.

٣٤. M. Uman

٣٥. طبيب وعالم تشريح إيطالي توفي في بولونيا. في عام ١٧٧١م اكتشف أن أرجل الضفدعة تتحرك نتيجة للصعق الكهربائي. وكانت هذه التجربة من أوائل التجارب في علم الكهرباء (وهو علم ما زال يدرس إلى اليوم يختص بالشحنات الكهربية في الجهاز العصبي. ويعد جالفاني مكتشف ظاهرة وجود كهرباء في العضلات والجهاز العصبي. كما أنه رائد علم الولادة الحديث.

٣٦. R. Kibby

٣٧. مخترع وفيزيائي ومهندس ميكانيكي ومهندس كهربائي. ولد في سميلجان، كرواتيا (في عهد الامبراطورية النمساوية) في ١٠ يوليو ١٨٥٦م وتوفي في ٧ يناير ١٩٤٣م. نال الجنسية الأمريكية فيما بعد. عُرِفَ بسبب مساهماته الثورية في مجال الطاقه الكهرومغناطيسية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

٣٨. مخترع أمريكي من أصل هولندي ولد في قرية ميلان بولاية أوهايو الأمريكية عام ١٨٧٤م، ولم يتعلم في مدارس الدولة إلا ثلاثة أشهر فقط، فقد وجده ناظر المدرسة طفلا بليدا متخلفا عقليا. وظهرت عبقريته في الاختراع وإقامة مشغله الخاص حيث أظهر سيرته المدهشة كمخترع، ومن اختراعاته مسجلات الاقتراع والبارق الطابع والهاتف الناقل الفحمي والميكرفون والفونوغراف وأعظم اختراعاته المصباح الكهربائي، وأنتج في السنوات الأخيرة من حياته الصور المتحركة الناطقة، وعمل خلال الحرب العالمية الأولى لصالح الحكومة الأمريكية، وقد سجل أديسون باسمه أكثر من ألف اختراع، وتزوج أديسون مرتين وقد ماتت زوجته وهي صغيرة، وكان له ثلاثة أولاد من كل زوجة، أما هو فقد مات في نيوجرسي سنة ١٩٣١م.

٣٩. عالم و مخترع و رجل أعمال ألماني. تم إطلاق اسمه سيمنز (وحدة) سنة ١٩٧١م على الموصلة الكهربائية تكريما لاسمه وجهوده في ذا المجال، كان له دور كبير كذلك في تطور صناعة البرقية عبر تأسيس شركة الاتصالات المعروفة سيمنز في برلين سنة ١٨٤٧م قام بتصنيع أول مؤشر يعكس أداء المولد الكهربائي و جهاز البرقية.

٤٠. كان أحد العلماء البارزين، مخترع، مهندس والمبتكر الذي يرجع إليه الفضل في اختراع أول هاتف عملي. لقد ارتبط كل من والد بيل وجده وأخيه بالعمل في مجال التخاطب وتصحيح النطق وتعليم الكلام للصم والبكم، وكانت والدته وزوجته من الصم، الأمر الذي كان له أثر بالغ على حياة بيل وعمله. وعلاوة على ذلك، فقد دفعه بحثه في مجال السمع والكلام إلى إجراء تجارب عديدة على أجهزة السمع، الأمر الذي مكنه في النهاية من اختراع أول جهاز تليفون والحصول على أول براءة اختراع مسجلة في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٨٧٦م وبالنظر إلى حياته العلمية، نجد أن «جراهام بيل» اعتبر أن أبرز اختراعاته وأشهرها؛ هو اختراع التليفون، يعد بمثابة تدخل على عمله الأصلي كعالم في مجال الصوت، كما أنه رفض أن يكون لديه تليفون في حجرة مكتبه. والعديد من الاختراعات الأخرى كانت ملحوظة في حياة بيل اللاحقة، بما في ذلك العمل الرائد في الاتصالات البصرية، القارب المحلق وعلم الطيران. أصبح ألكسندر جراهام بيل في عام ١٨٨٨م أحد الأعضاء المؤسسين للجمعية الجغرافية الوطنية في واشنطن.

٤١. فيزيائي ومهندس اسكتلندي ولد في إيرلندا الشمالية وهو مؤسس الفيزياء الحديثة. ولقد أطلق اسمه على وحدة قياس درجة الحرارة المعادلة لدرجة (١) مئوي وهي الكلفن. ولقد حسب كلفن أخفض درجة يمكن أن تصل إليها المادة وسميت هذه الدرجة بالصفر المطلق وهي تعادل ٢٧٣,١٥- درجة مئوية، وقد وسمي المقياس بالمقياس المطلق أو مقياس كلفن.

هل البابليون القدماء أول من ابتكر الكهرباء؟

المصادر العربية

- بنك المعلومات

http://www.yabeyrouth.com/pages/index3137.htm

- موسوعة وكيبيديا العربية

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%87%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D8%A1#cite_ref-Van_Riper_71_66-1

- هل كان لدينا الكهرباء قبل ٢٠٠٠ عام؟

http://www.funzug.com/index.php/informative-zone/we-already-have-electricity-2000-years-ago.html

المصادر الأجنبية

- Baigrie, Brian, Electricity and Magnetism: A Historical Perspective, Greenwood Press, page 7–8, year 2006.
- Bullock, Theodore H., Electroreception, Springer, page 5–7, year 2005.
- Chalmers, Gordon, «The Lodestone and the Understanding of Matter in Seventeenth Century England» , Philosophy of Science, vol. 4, page 75–95, year 1937.
- Kirby, Richard S., Engineering in History, Courier Dover Publications, page 331–333, year 1990.
- Moller, Peter, «Review: Electric Fish», BioScience vol. 41, page 794–796, year 1991.
- Morris, Simon C., Life's Solution: Inevitable Humans in a Lonely Universe, Cambridge University Press, page 182–185, year 2003.
- Stewart, Joseph, Intermediate Electromagnetic Theory, World Scientific, page 50, year 2001.
- Uman, Martin, All about lightning (PDF), Dover Publications, year 1987.

بيانُ الأصْلِ في لَفظ (بافْضل)

للسَّيد الشَّريف الشَّيخ أحمد بن محمَّد بن السَّيد رمضان بن منصور بن السَّيد محمَّد المرزوقي الحسَني المالكي الأشعري المصري، ثمَّ المكيِّ، أبو الفوز، شيخ قُرَّاء مكَّة، ومسند أهل الشَّام في القراءة المتوفى سنة (١٢٦٢ هـ)

بيانُ الأصْلِ في لَفظ (بافَضْل)

دراسة وتحقيق

الدكتور عبد الله عبد القادر الطَّويل

جامعة بنغازي - كليَّة التربية (المرج)

قسم اللغة العربية - ليبيا

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل :

لا شكَّ أنَّ تاريخ اللَّهجات العاميَّة العربيَّة يرجع إلى عصر ما قبل الإسلام بمخالطة الأعاجم وتصرف الألسنة من لثغات، وتحريف، وتبديل، وصدمات قاتلة فثبتت جهدها في ميدان العراك تقاوم تلك العوامل القويَّة بصبر وجلد، وحسن دفاع، ولكن ألفاظها كانت هدفًا للتَّقلبات ومرمى لسهام التَّصرف، فتركتها مُتَجدِّلةً تتنازعها مُؤثِّرات النَّحت، والقَلب، واللَّحن، والإبدال، والزِّيادة، والاختزال، والتَّصحيف، والتَّحريف، والدَّخيل، والتَّلاعب بحسب العصور الَّتي مرَّت عليها[1].

ومَن خالط إخواننا الجنوبيين من أهل اليمن، وعرف لهجاتهم وجد منها ما كان ذا أصل فصيح لا نجده في "العربيَّة المُعاصرة"، وشيئًا آخر نجد أصوله في اليمنيَّة القديمة "السَّبئيَّة"، علمًا أنَّ اللُّغويين العَرب لم يَعرِفُوها، إذ لم يرد في آثارهم اللُّغوية منها شيئًا، غير أنَّنا وجدنا "الحِميَريَّة" الَّتي رفضها بعضُهم، فقد قال أبو عمرو بن العلاء: (ما لُغة حِميَر بلغتنا، ولا لسانهم بلساننا). ومن غير شكٍّ أنَّ "الحِميَريَّة "الَّتي أدركها العربُ هي من بقايا السَّبئيَّة، وهذا يعني أنَّها وغيرها ممَّا يتَّصل باللَّهجات الخاصَّة لا بُدَّ أن يندرج في "العربيَّة الجنوبيَّة"، فيُكوِّن ذلك كله عربيَّة في شمال بلاد العرب، بما فيها من لهجات خاصَّة، وعربيَّة في جنوب بلاد العرب، بما فيها من لهجات خاصَّة. ولهجة الحضرميين واحدة من تلك اللَّهجات[2].

وبهذا الصَّدد نقول: إنَّ اللَّهجة الحَضرميَّة العاميَّة من أقرب اللَّهجات إلى الفُصحى في وقتنا الحاضر، بل هي أفضل من لهجة الشَّاميِّين والعِراقيِّين والمصريِّين من هذه النَّاحية ؛ لِمَا تميَّزت به من كَثرة الكلمات الفصيحة الَّتي تتخلَّلها، فتجدهم يقولون على سبيل المِثال: كتابك، "كتابش". وفي ثوبك: "ثوبش"، إلى غير ذلك ....، كما يلزمون الكُنية الألف على لُغة القَصْر، فيقولون: "بَافَضْل"، و"بَاقَيْس"، و"بَاكَثِير"، و"بَاوَزِير"، إلى غير ذلك ......، وكلُّ ذلك له أصلٌ في لُغة العَرَب، تناولها المرزوقي (ت بعد١٢٨١هـ) في رسالته الموسومة بـ: (بَيانُ الأَصْلِ في لَفْظِ بَافَضْل)، إذ أَصَّل وفَسَّر إشكاليَّة هذه الألفاظ المتداولة عند إخواننا الحَضَارمة، وذلك بالرُّجوع إلى قواعد اللُّغة، ومصادر الاستشهاد، من آيات قرآنيَّة وقِراءات، وأحاديث نبويَّة شريفة، وأقوال للعُلماء والفُضلاء، فهي على صِغر حجمها، وبساطة أسلوبها فسَّرت ظاهرة لغويَّة مُهمَّة شائعة تستحقُّ البحث والدِّراسة، كانت وما زالت غامضة عند كثيرٍ من أهل التَّخصص وغيرهم ؛ ممَّا دفعنا إلى تحقيق هذه الرِّسالة وإخراجها إلى النُّور .

(١) ينظر في هذا الموضوع: اللَّهجة العاميَّة في لبنان وسورية ، بحث للأستاذ عيسى إسكندر المعلوف ، منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جـ ٤، ص ٢٩٤ – ٣١٥ . وفي اللهجات العربية إبراهيم أنيس: ١٥٨وما بعدها . مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة، ط (٨) ١٩٩٠م.

(٢) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٦/٣٦٢، وألفاظ يمنية ، بحث للدكتور إبراهيم السامرائي ، منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جـ ٧٨ ص٥٧ . و العاميَّة، والدخيل، واللهجات في قلب الجزيرة العربية ، بحث للأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس، منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جـ ٦٢ص ٤٧٤- ٤٩١.

أوَّلاً: التَّعريف بالمرزوقي .

أ - اسمه، ونسبه :

هو السَّيد الشَّريف الشَّيخ أحمد بن محمَّد بن السَّيد رمضان بن منصور بن السَّيد محمَّد المرزوقي الحسَني المالكي الأشعري المصري، ثمَّ المكيِّ، أبو الفَوز، شيخ قُرَّاء مكَّة، ومسند أهل الشَّام في القراءة . يتَّصل نسبه بالحَسَن السِّبط بن الإمام علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه. وقد أثبت رحمه الله هذا النَّسب الشَّريف في منظومته المسمَّاة : (عَقيد العَوام)، إذ يقول[٣] :

وهـــَـذه عَـقـــيـدةٌ مُـخـتـصــرَةٌ   ولـلــــعَـوام سَـهــــلــةٌ مُـيــسَّـرة

نَـاظـم تـلـك (أحـمـد الـمـرزوقـي)   مَــن يـنـتَـمـي لـلـصَّـادق الـمَـصـدُوقِ

ولد بسنباط في مصر عام ١٢٠٥ هـ، وقرأ القرآن وحفظه منذ صغره، ثمَّ قرأ القراءات العَشْر على كِبار شيوخ زمانه، ونَهل من مختلف العلوم، فأصاب حظًا وافرًا من علوم القرآن، واللُّغة، والشَّريعة، وكان عالمًا بأصولها وفروعها، له فيها مؤلَّفات حِسَان، مُتضلِّعًا في القراءات بصيرًا بها. عُيِّن مُفتيًا للمالكيَّة بمكَّة المُكرَّمة، وقام بتدريس العلوم في المسجد الحرام بجوار مقام المالكيَّة، وكان يقرأ في تفسير البيضاوي في أواخر أيَّام حياته[٤].

ب - شيوخه :

لقد أهمل أَهلُ السِّير والتَّراجم من أهل مصر ذِكر المرزوقي، فلم يشيروا إليه في تصانيفهم، فكأنَّما رحيله عنهم إلى مكَّة قد قَطَع الصِّلة بينهم فعدُّوه غريبًا عنهم . فلم نجد فيما وقفنا عليه من أخبار الرَّجل ذِكرًا لأساتذته الأُول وأشياخه الَّذين تتلمذ عليهم في بلاده، إلاَّ شيخًا واحدًا، وهو الشَّيخ الكبير السَّيد: إبراهيم بن بدوي العُبيدي بن أحمد الحَسَني المُقرئ، المالكي، الأزهري الأحمدي، الأشعري، شيخ القرَّاء بالدِّيار المصريَّة في زَمانِه، قرأ عليه القراءات العَشْر من طريقي الشَّاطبية والدُّرة، ومن طريق طِيبة النَّشر في القراءات العشر الكبرى. كان حيًّا سنة ١٢٣٧هـ[٥].

ت - تلاميذه :

كانت مجالس المرزوقي وحلقاته الدِّراسية عامرة بطلبة العِلْم، فتخرَّج على يده كثير منهم، فكانت لهم فيما بعد حلقات دراسيَّة في مختلف العلوم، ومن أشهر تلاميذه :

١- محمَّد بن ناصر الحازمي الحَسَني التِّهامي، (ت ١٢٨٣هـ) [٦].

٢- أحمد بن محمَّد بن الطَّاهر الأزدي، (ت ١٢٨٧هـ) [٧].

---

(٣) عقيدة العوام (بهامش نور الظلام على منظومة عقيدة العوام) ٤٥ .

(٤) ينظر: الأعلام ٢٤٧/١، ومعجم المطبوعات ١١٣٢/٢، ونشر النُّور والزَّهر ١ / ٧٩-٨٠.، وإمتاع الفضلاء بتراجم القراء ٢٤/٢، ومعجم المُؤلِّفين ١٠٢/٢.

(٥) ينظر: مجموعة الرسائل والمسائل النَّجدية ٢/ ٢٣، وإمتاع الفضلاء بتراجم القُرَّاء ٧٢/٢، ومعجم المُؤلِّفين ٤١/١.

(٦) ينظر: نشر النُّور والزَّهر ٨٠/١ ، وفهرس الفهارس والإثبات ١٠٧٢/٢، و١٠٧٩/٢، والأعلام ١٢٢/٧.

(٧) ينظر: نشر النُّور والزَّهر ٨٠/١ ، وفهرس الفهارس والإثبات ١٢٣/١، والأعلام ٢٤٧/١.

٣- أحمد بن زَيني دَحلان المكِّي، (ت١٣٠٤هـ) [٨] .

٤- أحمد بن علي بن محمَّد بن علي بن محمَّد الحلواني، الشَّهير بالرِّفاعي، شيخ القرَّاء في دمشق الشَّام، (ت١٣٠٧هـ)[٩].

٥- أحمد بن خالد بن مصطفى دهمان، (ت ١٣٤٥هـ) [١٠].

٦- طاهر التَّكروري (ت ؟) [١١].

ث - مؤلفاته :

من أشهر كتب المرزوقي الَّتي وقفنا عليها الَّتي تتميَّز بالقِيمة الجامعة بين الموضوعيَّة والدِّقة، والأناقة والرِّقة، والعُمق والرِّفعة :

١- بلوغ المرام لبيان ألفاظ مولد سيد الأنام، في شرح مولد أحمد البخاري[١٢].

٢- بيانُ الأصْلِ في لَفظ بافَضْل[١٣]. (موضوع تحقيقنا)

٣- تحصيل نيل المرام لبيان منظومة عقيدة العوام. [١٤]

٤- تسهيل الأذهان على متن تقويم اللِّسان في النَّحو، للخوارزمي البقالي[١٥].

٥- عِصمَةُ الأنبياء[١٦] . منظومة .

٦- الفوائد المرزوقيَّة شرح الآجروميَّة [١٧].

٧- متن عقيدة العوام[١٨]

٨- متن نظم في علم الفَلَك[١٩].

بيانُ الأصْلِ في لَفظ (بافَضْل)

(٨)ينظر: نشر النُّور والزَّهر ١/٨٠، وفهرس الفهارس والإثبات ١/٣٩٠، والأعلام ١/١٢٩، ومعجم المُؤلِّفين ١/٢٢٩.

(٩) ينظر: حلية البشر ١/٣٤٧، ونشر النُّور والزَّهر ١/٨٠، والأعلام ٢/١٣٤، ومعجم المُؤلِّفين ٢/١٣٤.

(١٠) ينظر: نشر النُّور والزَّهر ١/٨٠، الأعلام ١/١/١٢١، ومعجم المُؤلِّفين ١/٢١٤، وتاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري ١/٤٠٨.

(١١) ينظر: نشر النُّور والزَّهر ١/ ٨٠. ولم أقف على وفاته فيما توافر لي من مصادر .

(١٢) إيضاح المكنون ٣/١٩٧، وفيه: (فرغ منها سنة ١٢٨١هـ) ، الأعلام ١/٢٤٧، ومعجم المطبوعات ٢/١٧٢٣، ومعجم المُؤلِّفين ٢/١٠٢.

(١٣) المصدر نفسه .

(١٤) ينظر: إيضاح المكنون ٣/٢٣٦، ونشر النُّور والزَّهر ١ /٧٩، والأعلام ١/٢٤٧، ومعجم المطبوعات ٢/١٩٧١، ومعجم المُؤلِّفين ٢/١٠٢.

(١٥) نشر النُّور والزَّهر ١ /٨٠.

(١٦) إيضاح المكنون ٣/٢٣٦، و٤/١١٦، ونشر النُّور والزَّهر ١ /٨٠، والأعلام ١/٢٤٧، ومعجم المطبوعات ٢/١٩٧١.

(١٧) المصدر نفسه .

(١٨) ينظر: نشر النُّور والزَّهر ١/٧٩، إمتاع الفضلاء بتراجم القراء ٢/٢٤، والأعلام ١/٢٤٧، ومعجم المطبوعات ٢/١٢٣٢، ومعجم المُؤلِّفين ٢/١٠٢.

(١٩) إمتاع الفضلاء بتراجم القراء٢/٢٤.

٩- منظومة في قواعد الصَّرف والنَّحو[٢٠].

جـ - وفاته:

ذكرت مَظانٌّ عِدَّة ترجمت للشَّيخ المرزوقي أنَّه توفِّي في سنة (١٢٦٢هـ)[٢١] ودُفن بالمُعلاة، ولم يعقب إلاَّ ابنة واحدة[٢٢]. ورواية وفاته هذه تخالف الواقع في أمورٍ ثلاثة:

الأوَّل: أنَّه تولَّى الإفتاء في مكَّة بدلاً من أخيه (محمد المرزوقي) سنة (١٢٦١هـ)[٢٣]، ولعلَّ تقارب الأسماء ومسؤوليَّة الإفتاء بين الأخوين قد أوهم من ترجموا للشَّيخ، ومن الضَّروري ممَّن يتصدَّر للإفتاء أن يكون في صحَّة جيدة وقوة تأهِّله لهذا المنصب المُتعب.

الثَّاني: أنَّ الشَّيخ المرزوقي ذكر أنَّه انتهى من تأليف كتابه: (بلوغ المرام لبيان ألفاظ سيد الأنام ...) سنة ١٢٨١هـ[٢٤]، وعليه اعتمد الزِركلي في الأعلام، وسركيس في معجم المطبوعات، وكحالة في معجم المؤلِّفين[٢٥].

الثالث: أنَّ ولادة تلميذه (أحمد بن خالد بن مصطفى دهمان) كانت سنة ١٢٦٠هـ[٢٦].

وعليه يكون الرَّاجح ممَّا سَبق أنَّ وفاة المرزوقي كانت ما بعد ١٢٨١هـ، واللَّه تعالى أعلم.

ثانيًا: وصف المخطوط:

(بيان الأصل في لفظ بافضل) للشَّيخ أحمد بن محمَّد بن رمضان المرزوقي، من مُقتنيات جامعة الرِّياض/ قسم المخطوطات، تحت رقم: (٤١٤/ب. م)[٢٧]. وتقع في: (١٤ صفحة)، وقياسها: (٢٥×١٧سم)، في كلِّ صفحة: (٢١ سطر)، في كلِّ سطر: (١٠ كلمات) تزيد قليلاً أو تنقص. وقد كُتبت بخطٍ مشرقيٍّ مُعتادٍ خالٍ من الضَّبط، وهو بحالةٍ جيدة، لا يظهر فيها أثر للنَّقص أو للعيب، إلاَّ ما كان من بعض الأخطاء الَّتي وقع فيها النَّاسخ، أشرنا إليها في الهامش.

وقد انتهى المرزوقي رسالته هذه في: (الصَّفحة ١١)، ثمَّ ألحقها بمُتمِّمة تحتوي على تأصيل ألفاظٍ مُشابهةٍ للفظة (بافضل) تكلَّم بها الحضرميُّون، والمَصريُّون، والنَّجديُّون، وهي بلا شك خارجة عن مضمون رسالته الأصلية. ولإتمام الفائدة قمنا بضمِّ هذه الألفاظ إلى هذه الرِّسالة من غير تبديل ولا تغير كما أثبتها المؤلِّف نفسه.

أمَّا صِحَّة نسبة هذه الرِّسالة، فهي بلا أدنى شكٍّ تعود للشَّيخ المرزوقي؛ وذلك لِمَا أثبته في صفحة عنوان الرِّسالة وخاتمتها.

---

(٢٠) نشر النُّور والزَّهر ٨٠/١.

(٢١) نشر النُّور والزَّهر ٨٠/١، وإمتاع الفُضلاء بتراجم القُرَّاء ٢٤/٢.

(٢٢) نشر النُّور والزَّهر ٨٠/١، وإمتاع الفُضلاء بتراجم القُرَّاء ٢٤/٢، وأخبار مكة ٢٦٤/٢.

(٢٣) ينظر: نشر النُّور والزَّهر ٧٩/١، والأعلام ٣/١٠.

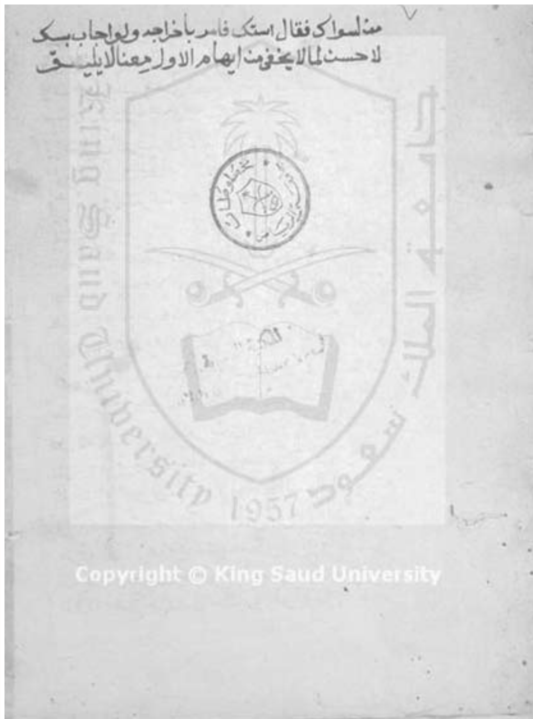
(٢٤) إيضاح المكنون ١٩٧/٣.

(٢٥) ينظر: الأعلام ٢٤٧/١، ومعجم المطبوعات ١٧٣٢/٢، ومعجم المُؤلِّفين ١٠٢/٢.

(٢٦) الأعلام ١٢١/١، ومعجم المُؤلِّفين ٢١٤/١، وتاريخ علماء دمشق في القرن الرَّابع عشر الهجري ٤٠٨/١.

(٢٧) نسبها مُفهرِس المكتبة إلى أحمد بن محمد المرزوقي المتوفى ٤٢١هـ، صاحب: (الأزمنة والأمكنة، وشرح ديوان الحماسة لأبي تمام)، وهذا الخطأ مردُّه إلى تشابه الأسمين بين الرَّجلين.


(صفحة العنوان)


(الصَّفحة الأخيرة)


(الورقة الأُولى)


(ورقة نهاية رسالة بافضل)

[١/ظ] بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمد لله الَّذي خَصَّ العَرب بأفصح اللُّغات، وسهَّل فَهْم المُراد مِنَ المعاني من غير فَوات، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمَّد الَّذي أُوتِيَ جوامع الكَلِم، ومُنح باختصار الكلمات، وعلى آله وأصحابه ذوي الفصاحة والبلاغة، وعُمدَة القاصدين في بيان المُشكلات، أمَّا بَعد:

فهذه نُبذةٌ لطيفةٌ تشمل على إعراب (بَافَضْل) وبيانه بوجه مَرضيٍّ في لُغة العَرب، الَّذين[١] هُم أفضل الأُمم وأفصحهم في سائر الحالات. أقول وبالله المُستعان، وعليه الاعتماد في جميع المُهمَّات:

اعلم أنَّه شَاعَ في لُغة إخواننا الحَضَارِمَة[٢] (بَافُلان)، ومن ذلك قولهم: (بَافَضْل)، وهذا فصِيحٌ عَربيٌّ، وله في لُغة العَرب أساسٌ وأصلٌ.

فاعلم أنَّ أَصلَ (بَافَضْل): أَبَا فَضْل، في لُغةِ حِمْيَر[٣]، فحُذِفَ الهَمز من أوَّله تخفيفًا، ولَزِمه الأَلفُ في آخره على لُغة من يلزم الأسماء الخَمسة، الأَلف في الرَّفع، والنَّصب، والجَرِّ[٤]. وهم بنُو حِمْيَر، وغيرهم من العَرب. وتُسمَّى هذه اللُّغة بلُغة القَصْرِ[٥]. قال ابن مالك في (الخُلاصَةِ)[٦]:

---

(١) في الأصل: الَّذي.

(٢) الحَضْرَمِيُّونَ :قومٌ ينتسبون إلى حَضْرَمَوْتَ بن سَبَأ الأَصْغَر، وإليه نُسِبَت (حَضْرَمَوْت) المَدينة الَّتي بأَقْصَى اليَمَن، ويقالُ للعَرَب الَّذين يَسْكُنون حَضْرَمَوْتَ من أهل اليَمَن: (الحَضارِمَة)، هكذا يُنْسَبُون، كما يَقُولون: المَهالِبَة والصَّقالِبَة. والحضارمة لهم أثر كبير ومكانة عظيمة في التَّاريخ العربي والإسلامي، وفيهم يقول الشَّاعر:

لقد وَلِي القَضَاء بكلِّ أرض ... مِنَ الغُرِّ الحَضَارِمة الكِرامُ
رجالٌ ليس مثلهمُ رِجَالٌ ... من الصِّيدِ الجَحَاجِحَة الضِّخَامُ

وقال آخر:

يا حَضْرموت هنيئًا ما خُصِصت به ... من الحُكُومَةِ بين العُجْم والعَرَبِ
في الجاهليَّة والإسلام يَعرِفُهُ ... أهلُ الرَّويَّة والتَّفتيشِ والطَّلبِ

ينظر: تاريخ دمشق ٦٤/ ١٣٣، وتاج العروس (حَضْرَمَ) ٤٩٧/٣١.

حِمْيَر هو: ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان: جَدٌّ جاهليٌّ قديمٌ، كان ملك اليمن، وإليه نسبة الحميريين (ملوك اليمن وأقياله)، وكان شُجاعًا مُظفَّرًا، يقول مؤرخو العرب: إنَّه حكم بعد أبيه سبأ، وعاصمة مُلكه صنعاء، وإنَّه غزا وافتتح حتَّى بلغ بعض غزواته الصِّين..... ينظر في تاريخهم ولغتهم: صبح الأعشى ٣٦٧/١، ونهاية الأرب ٢٢٦/١٥، والمفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٦/٢.

(٤) ينظر: الكِتاب ٣٥٩/٣، و٣٦٠، و٤١٢، والمُقتضب ١٥٤/٢، و١٥٥، والمُرتَجل ٥٤، والإنصاف، المسألة الثَّانية، ١٧/١، والتَّبيين، المسألة العشرون، ١٩٣.

(٥) القَصْر: هو التزام الألف مُطلَقًا، وجعل الإعراب بالحركات المقدَّرة على الألف؛ نحو: (هذا أَبَاهُ)، و(رَأيتُ أباهُ)، و (مَررتُ بِأَبَاهُ). يُنظر: توضيح المقاصد ٧٥/١، وابن عقيل ٥٢/١، والتَّصريح ٦٥/١، والأشموني ٧٠/١.

(٦) ابن مالك هو: جمال الدِّين، مُحمَّد بن عبد الله الطَّائيّ الجيانيّ النَّحويّ: إمامُ النُّحاة، وحافِظُ اللُّغة؛ كان إمامًا في القراءات وعِلَلِها، والغريب، والنَّحو، والتَّصريف، والشِّعر؛ ومن مصنَّفاته: الكافية الشَّافية، وشرحها، وتسهيل الفوائد، وشرحه؛ وُلد سنة (٦٠٠هـ)، وتوفِّي بدمشق سنة (٦٧٢هـ). يُنظر: إشارة التَّعيين ٣٢٠، ٣٢١، والبُلغة ٢٠١، وبُغية الوعاة ١٣٠/١ - ١٣٧. وكتابه "الخلاصة" الذي اشتهر بين النَّاس باسم "الألفية"، وتسمية "الألفية» مأخوذة من قوله في أوَّلها:

وَأَسْتَعِينُ اللهَ فِي أَلْفِيَّهْ ... مَقَاصِدُ النَّحْوِ بِهَا مَحْوِيَّهْ

وتسمية "الخلاصة" مأخوذة من قوله في آخرها:

أَحْصَى مِنَ الكَافِيَةِ الخُلاصَهْ ... كَمَا اقْتَضَى غِنىً لا خَصَاصَهْ

وَفِـي أَبٍ وَتَـالِـيَـيْـهِ يَـنْـدُرُ وَقَـصْـرُهَـا مِـنْ نَـقْـصِـهِـنّ أَشْـهَـرُ

يعني: أنَّ لُغةَ القَصْرِ أَشْهَرُ مِنْ لُغةِ النَّقْص(٧) .

والحَاصِل: أنَّ في الأسماء الخَمسة ثلاثُ لُغاتٍ:

لُغَةُ (الإتمَام)، بالواو رَفعًا، وبالأَلِفِ نَصْبًا، وبالياء جَرًّا . وهذه أفصَحُهَا وأَشهَرُهَا(٨) .

ثُمَّ لُغة (القَصْرِ)، بالأَلِفِ بالأحوال الثَّلاث . وهي فَصيحةٌ [٢/و] مشهورةٌ دُونَ ما قبلها، وأعلا ممَّا بعدها.

ثُمَّ لُغة (النَّقص)، بحذف الواو والأَلفِ والياءِ . فتظهر الحركات الثَّلاث .

فمِن شَواهد (الإتمام)، قوله تعالى: ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ ﴾ [القَصَص:٢٣]، و﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف: ١٦]، و﴿ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ [يوسف: ٥٩].

و[مِنْ](٩) شواهد (القَصْر)، قَول الشَّاعر(١٠):

إنَّ أَبَـاهَـا وَأَبَـا أَبَـاهَـا قَـدْ بَـلَـغَـا فِـي الْـمَـجْـدِ غَـايَـتَـاهَـا

ومِنْ شواهد (النَّقص) قول الرَّاجز(١١):

بِـأَبِـهِ اقْـتَـدَى عَـدِيٌّ فِـي الْـكَـرَمْ وَمَـنْ يُـشَـابِـهْ أَبَـهُ فَـمَـا ظَـلَـمْ

بيانُ الأصْلِ في لَفظ (بافَضْل)

والَّذي جمع فيه خلاصة عِلْمي النَّحو والتَّصريف، في أرجوزة ظريفة، مع الإشارة إلى مذاهب العلماء، وبيان ما يختاره من الآراء، أحيانًا. وقد كَثُر إقبال العلماء على هذا الكتاب ، حتَّى طُويت مُصنَّفات أئمَّة النَّحو من قبله، ولم ينتفع من جاء بعده بأن يحاكوه أو يدَّعوا أنهم يزيدون عليه وينتصفون منه. يُنظر: ابن عقيل ٥/١، و١١، و٢٥٤/٤، وتوضيح المقاصد ٢٦٤/١، و١٦٥٢/٣.

(٧) النَّقْصُ: أن تُحذف لامه، ويُعرب بالحركات الظَّاهرة على العين، وهي النُّون. يُنظر: شرح قطر النَّدى ٥٤، وابن عقيل ٥١/١، وهمع الهوامع ١٢٣/١، والأشموني ٦٩/١.

(٨) ولقلَّة الإتمام في (هَن) أنكر الفرَّاء جوازه؛ وهو محجوجٌ بحكاية سيبويه عن العَرب، ومَن حَفظَ حُجَّةٌ على من لم يحفظ. وقد جرت عادة أكثر النّحويّين أن يذكروا (الهَن) مع هذه الأسماء؛ فيوهم ذلك مساواته لهُنَّ في الاستعمال، وليس كذلك، فقد قال ابن مالك في شرح التَّسهيل ٤٤/١: "ومن العرب من يقول: (هَذا هَنُوكَ) و (رَأيتُ هَنَاكَ) و (مَرَرْتُ بِهنِيْكَ)، وهو قليلٌ؛ فمن لم ينبّه على قلَّته فليس بمصيب، وإنّ حظي من الفضائل بأوفر نصيب». ويُنظر: توضيح المقاصد ٧٢/١، ٧٣، وشرح قَطر النَّدى ٥٤، وابن عقيل ٥١/١، وهمع الهوامع ١٢٣/١.

(٩) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السِّياق .

(١٠) هذان بيتان من الرَّجز المشطور، ويُنسبان لرُؤْبَة، وهما في مُلحقات ديوانه ١٦٨، كما يُنسبان إلى أبي النَّجم العجليّ، وهما في ديوانه ٢٢٧، كما يُنسبان إلى رَجُلٍ من بني الحارث، أو لرَجُل من اليمن. والشَّاهد فيهما: (أَبَاهَا) الثَّانية؛ لأنَّها في موضع الجرِّ بإضافة ما قبلها إليها، ومع ذلك فقد جاء بها بالألف على لُغة القَصْرِ. يُنظر هذان البيتان في: سرِّ صناعة الإعراب ٧٠٥/٢، والإنصاف ١٨/١، وشرح المُفصَّل ٥٣/١، وتوضيح المقاصد ٧٥/١، وأوضح المسالك ٣٣/١، والمقاصد النَّحويَّة ١٣٣/١، والتَّصريح ٦٥/١، وخزانة الأدب ٤٥٥/٧.

(١١) هذان البيتان يُنسبان لرُؤْبة بن العجَّاج. وهما في مُلحقات ديوانه ١٨٢. والشَّاهد فيهما: (بَأَبِهِ، وَمَنْ يُشَابِه أَبَهُ) ، إذ أعرب الشَّاعر هاتين الكلمتين بالحركات الظَّاهرة؛ فجَرَّ الأُولى بالكسرة الظَّاهرة، ونصب الثَّانية بالفتحة الظَّاهرة؛ وهذا يجري على لُغة النَّقص. يُنظر هذا البيت في: شرح الكافية الشَّافية ١٨٤/١، وابن النَّاظم ٣٨، وتوضيح المقاصد ٧٤/١، وأوضح المسالك ٣٢/١، وابن عقيل ٥٢/١، والمقاصد النَّحويَّة ١٢٩/١، والتَّصريح ٦٤/١، وهمع الهوامع ١٢٨/١ .

فعلمتَ من هذا أنَّ (بَافُلان) أصلُه: أَبَا فُلان، على لُغة القَصْر، فغاية الأمر أنَّ الهمزَ حُذِفَ مِنْ أَوَّله تخفيفًا . ولا بِدع في ذلك، فإنَّ الحذف ثابتٌ في الفصيح نَثْرًا ونَظْمًا .

فمِنَ النَّثر قولهم: مُنِ اللَّهِ، أو ومُنُ اللَّهِ [١٢] لأَفْعَلَنَّ كَذَا، وأصلُه: أَيْمُنُ[١٣] .

ومِنَ النَّظم قول الشَّاعر[١٤]:

لَاهِ ابـنُ عَـمِّـكَ لاَ أَفْـضَـلْـتَ فـي حَـسَبٍ ... عَـنِّـي وَلا أنــتَ دَيَّــانــي فَـتَـخْـزُونـي

والأصل: للّه دَرُّ ابن عمِّكَ، فحُذفَتِ اللاَّم الجارَّة، واللاَّم الَّتي هي أوَّل لفظ الجلالة فصار (لاَهِ)، بلامٍ ممدودةٍ وهاءٍ . وأَبلَغُ في الحذف منه قول الشَّاعر[١٥]:

وتَـضْـحَـكُ مِـنـي شَـيْـخَـةٌ عَـبْـشَـمِـيَّـةٌ ... كَــأَنْ لَـمْ تَــرَى قَـبْـلِـي أَسِــيـراً يَـمـانِـيَـا

يعني بقوله: (شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ)، امرأةٌ عجوزٌ منسوبة لعَبدِ شَمس[١٦] .

ومن ذلك الحذف الاقتصار على حُروفٍ مُقطَّعة من كلمات الجُمل، ويُسمَّى بـ (النَّحْتِ) [١٧]، وهو شائعٌ بين فُصحاء العَرب، ومن ذلك: (البَسْمَلَةُ)، و(الهَيْلَلَةُ)، و(الحَيْعَلَةُ)، و(الحَوْقَلَةُ)[١٨].

ويُحكَى عن سيدنا عليٍّ[١٩] كرَّم اللّهُ وجهَهُ [٢/ظ] أنَّه كان يقول: (مَا تَعَمَّقْدَدْتُ قَطُّ، وَلاَ تَسَرْوَلَقْمْتُ قَطُّ، وَلاَ تَسَبَّسَمَكْتُ قَطُّ، وَلاَ تَرَبَّعْلَبَنْتُ قَطُّ)[٢٠]. يعني: ما تعمَّمتُ قَاعِدًا، ولاَ لَبستُ السُّروالَ قَائمًا، ولاَ أَكلتُ السَّمكَ يومَ السَّبت، ولاَ شَرِبتُ اللَّبنَ[٢١] يومَ الأربعاء قَط.

ومِنَ الحذف المُحرَّم في الشَّرع الشَّريف قول بعض المُبتدعة بالتَّحريف (صَلْعَم)، يعنون: (صلى اللّه عليه وسلم) . وهذا التَّحريف عيبٌ يُرَدُّ به الكِتابُ المَبيع ؛ لِمَا فيه من الإساءة وسُوءِ الأَدب على ذي

---

(١٢) في الأصل: (منوالله ، أو مؤالله) . وما أثبتناه من تاج العروس (يمن) ٣٠٦/٣٦. وهو الصَّحيح.

(١٣) ايْمُنُ اللّه: اسمٌ وُضِعَ للقَسَم، وهو بضمِّ الميم والنُّونِ، وأَلِفُهُ أَلِفُ وَصْلٍ، واشتِقَاقُه مِنَ اليُمْنِ والبَرَكة كما يقول سيبويه، ولم يَجئْ في الأسماء أَلِفُ وَصْلٍ مفتوحةٌ غيرها . وفي هذه المسألة تفصيل مهمٌ ، يُنظر: الكتاب ٥٠٣/٣، والمُقتضب ٢٢٨/١، والأزهيَّة ٢١، وتحصيل عين الذَّهب ٥١٥ ، والإنصاف ٤٠٧/١، وشرح المفصَّل ٣٥/٨، و٩٢/٩، وشرح ألفيّة ابن معطٍ ٤٢٧/١، وتاج العروس (يمن) ٣٠٦/٣٦.

(١٤) البيت من البسيط ، لذي الأصبع العدواني من أبيات وردت في الأَغاني ٣/ ١٠٤، المفضَّليات ٢٦٦، الحماسة الشَّجريَّة ١/ ٢٦٩، الاقتضاب ٢٨٧، أمالي القالي ١/ ٩٣، وشرح الكافية الشَّافية ٨٠٩/٢.

(١٥) البيت من الطَّويل ، لعبد يغوث بن وقاص الحارثي ، في الأغاني ٢٥٨/١٦، وسر صناعة الإعراب ٧٦/١، واللِّسان (هذذ) ٥١٧/٣.

(١٦) ينظر: العين ٦١/١، وتاج العروس (شمس) ١٧٣/١٦.

(١٧) النَّحْتُ: هو أن يُختصَر مِن كَلِمتَين فَأكثَرَ كَلِمَة واحِدة، ولا يُشترَط فيه حِفظُ الكَلِمَة الأُولى بتمامِها بالاستِقراء (خلافًا لبعضهم)، ولا الأخذُ من كلِّ الكلماتِ ولا مُوافَقةُ الحركاتِ والسَكَنَات، ولكن يُعتبرُ تَرتيبُ الحُروف . ينظر: العَين ٦١/١، ومقاييس اللُّغة ٣٠٤/١، والمُزهر ٣٧٢/١.

(١٨) (البَسْمَلَةُ) ، حِكَايَةُ قَوْلِ : بِسْمِ اللّه . و(الهَيْلَلَةُ) ، حِكَايَةُ قَوْلِ : لا إلَه إلا اللّه . و(الحَيْعَلَةُ) ، حِكَايَةُ قَوْلِ المُؤَذِّنِ : حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ حَيَّ عَلَى الفَلاحِ . و(الحَوْقَلَةُ حِكَايَةُ) : لاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللّه . ينظر: الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس ١٢/١، والمُزهر ٣٧٢/١.

(١٩) هو عليُّ بن أبي طالب ـ كرَّم اللّه وجهه ـ ، ابن عمِّ رسول اللّه ﷺ.

(٢٠) لم أقف على هذا القول فيما توافر لي من مصادر .

(٢١) في الأصل: (البن) .

المقام الرَّفيع، ويجب على من رآه إصلاحه، إن كان مالكًا له أو مأذونًا له، وإلاَّ فالواجب النَّصيحة بحسب الإمكان[٢٢].

ومِمَّا ورد عن (حِمْيَرٍ) ممَّا يُناسِب المَبحث قول شَاعِرِهم[٢٣]:

بام حَارث أَم عَبسي قَد حُزتَ ام عُلا بمَجد وام شرفٍ امتَّأصل في امَّلا أي: يا أبا[٢٤] الحارث المنسُوب لعَبد قيس قد جَمعتَ خِصالَ العُلوِّ، والرِّفعة العظيمة، والشَّرف المُتأصِّل في أجدادك بين الجماعة من عَشيرتِكَ . فدخل فيه حذف الهمزة المُتقدِّم، وأبدل لام (الـ) ميمًا في لغتهم. كما ورد في الحديث، أنَّه صلى الله عليه وسلم قال مُجيبًا للسَّائل منهم: (ليسَ مِنَ امْبِرِّ امْصِيامُ في امْسفرِ)[٢٥].

إذا عرفتَ هذا، فقولهم: (بَافَضْل) من ذلك المذكور، وهو كُنية، فهو من المعارف بالعَلَميَّة . والكُنية في اصطلاح أهل العَربيَّة ما صُدِّرت بـ (أَب)، أو (ابن) في الرِّجال، وبـ (أُم)، أو (بِنت) في النِّساء ؛ لأنَّ العَلَم على ثلاثة أقسامٍ[٢٦]:

اسمٌ: كـ (زَيدٍ) . وكُنيةٌ: كـ (أَبي عبد الله، وابنِ حَجَّة) . ولَقبٌ: كـ (زَين العَابدين) . قال ابنُ مالك: [٣/و] في (خُلاصته) في مَبحث العَلَم[٢٧]:

وَاسْـمًـا أَتَـى وَكُـنْـيَـةً وَلـقَـبَـا ... وَأَخِّـرَنْ ذَا إنْ سِـوَاهُ صَحِبَا

وحاصل بيان ما نَحن فيه: أنَّ (بَافَضْل) عَلَمٌ مُركَّبٌ تَركيب إضافةٍ ؛ لأنَّه كُنية كما عَرفتَ، فليس بنَكرةٍ.

ولا يُقال: إنَّ أصله (ابن) ؛ لِمَا يلزم عليه من كَثرةِ الحذف وإثبات ألف زائدة، فإنَّه حينئذٍ يُحذف مِن أوَّله الهمزُ، ومن آخره النُّونُ، وتُفتح الباء ويُؤتى أثرها بألفٍ ليِّنَة، وهذا تصرُّف كثير في الكلمة من غير حاجةٍ

بيانُ الأصْلِ في لَفظ (بافَضْل)

---

(٢٢) ينظر: الفتاوى الحديثيَّة لابن حجر ١٦٤.

(٢٣) لم أقف على هذا البيت ولا على قائله فيما توافر لي من مصادر . ومثله قول الشَّاعر:

ذاكَ خَـلِـيـلـي وذُو يُـعـاتِـبُـنـي ... يَـرْمـي ورائـي بـامْـسَـهْـمِ وامْـسَـلِـمَـهْ

أي: بالسَّهم والسَلِمَة .اللِّسان (ذو) ١٥/ ٣٦٤. وقد سمع ابن دُريد هذه اللَّهجة في عصره باليمن ، فقال: « وسمعت رجلاً يقول: أم شيخ أم كبَّارُ ضرب رأسه بالعَصَوّ» . يعني : الشَّيخ الكُبَّار ضَرَبَ رأسه بالعَصَا. جمهرة اللغة ١/ ٢٧٤. والتَّفسير الصَّوتي لهذه الظَّاهرة، هو: أنَّ (اللاَّم والميم) من فصيلة واحدة، هي فصيلة الأصوات المتوسطة أو المائعة(lequida) وهي مجموعة «اللاَّم والميم والنُّون والرَّاء» . وهذه الأصوات يبدل بعضها من بعض كثيرًا في اللُّغات السَّامية . ولا تزال هذه الظَّاهرة شائعة في العصر الحاضر في بعض جهات اليمن، كما أنَّ منها كلمة في اللهجة الشَّاميَّة، وهي كلمة: « البارحة» التي ينطقها أهل الشَّام: «امبارح».

(٢٤) في الأصل: (أبي) .

(٢٥) روي هذا الحديث عن كعب بن مالك ﷺ ، من أهل السَّقيفة ، وهذا الحديث محمول ـ كما قال السِّيوطي على صوم النَّفل ـ ، فلا مخالفة بينه وبين قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٤]. يُنظر هذا الحديث في: مَجمع الزَّوائد ٣/ ١٦١، والجامع الصَّغير ٢٧٥، وصحيح البخاري -كتاب الصَّوم- من رواية جابر بن عبد الله ، ومسند أحمد ٥/ ٤٢٤. وهذه اللَّهجة تعرف بالطّمْطمَانيَّة، وتُنسب إلى حِمير ونفرٍ من طيئ. ومن المعروف أن أداة التَّعريف (الألف والميم) هي أداة التعريف على الإطلاق عند أهل اليمن وحمير وطيء قديمًا، ولا تزال هذه الظَّاهرة شائعة في اليمن في بعض جهات حاشد ، وأَرحب ، وبني حشيش ، وبعض بلاد هَمدان، وسحار من صَعدة، وفي معظم مناطق تِهامة، وهي بقية من بقايا اللَّهجة الحميرية أو السَّبئية القديمة.

(٢٦) أوضح المسالك ١/ ١٢٦، وابن عقيل ١/ ١١٩، وتوضيح المقاصد ١/ ٣٩١، وهمع الهوامع ١/ ٢٨٢.

(٢٧) ابن عقيل ١/ ١١٩، وتوضيح المقاصد ٣٩١.

داعية إليه . وقد ثبتتْ تلكَ اللُّغة عند كثيرٍ مِن العَرب مع الفصاحة وصِحَّة النَّقل عنهم بالمعوَّل عليه.

والكُنية تأتي على ثلاثة أقسام[٢٨]:

كُنيةٌ مُصدَّرة بـ (أَب) مُضافةٌ إلى اسم ذلك الأب، كقولنا: أَبو عَبد الله محمَّد ﷺ.

وكُنيةٌ مُصدَّرة بـ (أَب) أيضًا مضافةٌ إلى اسم ابنه، كما تقول: أَبو القاسم ﷺ، وأبو الفَضل، وأبو الحَسَن رضي الله عنه.

وكُنيةٌ مضافة لغير (أَب، وابن)، كقوله ﷺ لسيِّدنا عليٍّ رضي الله عنه: (قُمْ أَبَا تُرَاب)[٢٩]، حين كان نائمًا بالمَسجد النَّبوي، والتصق بجَنبه تُرابٌ، فَكنَّاه به . وقوله ﷺ: (يَا أَبَا هُريرة) ؛ لأنَّه كان له هِرَّةٌ يُكرمها، فكُنِّي بذلك[٣٠].

وبالجُملة، فالشَّخص يُكنَّى باسم أبيه، واسم ابنه، وغيرهما. [وكذلك إذا] [٣١] دخل في اسم الأب أحدُ الأجدادِ، كما إذا قلتَ في رَجُلٍ مِنْ بني قيس مُناديًا له: يَا أَبَا قَيس، وفي التَّميميِّ: يَا أبَا تَميم[٣٢].

وقد يُكَنَّى الشَّخص ببعض أقاربه، كما قيل في السَّيدة عائشة: (أُم عبد الله) ؛ لأَنَّ (عبد الله) [٣/ظ] ابنُ أختها أسماء[٣٣].

ويُحكى أنَّ سيدنا إسماعيل الذَّبيح عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصَّلاة والسَّلام كان يُكنَّى (أبا السِّباع)؛ لأنَّه أوَّل مَنْ رَكِبَ الخَيلَ مِنَ[٣٤] العَربِ وذُلِّلَتْ له، بعد أن كانت وحشيَّة شديدة النُّفور في الجبال تَعْدُوا على بني آدم كالسِّباع العادية المفترسة[٣٥]. وكذا الخليل عليه السَّلام كان يُكنَّى (أبا الضِّيفان) ؛ لإكرامه الضَّيف[٣٦].

وعلى كلِّ حالٍ، فالمقصود من الكُنية: تمييزُ المُكنَّى[٣٧] من غيره، وتعيينُهُ للسَّامع، وبيانُهُ بما اشتُهِرَ به.

وليس المقصود من قولك (بافَضْل): إنَّ (فَضْل) ابنٌ للمُكنَّى[٣٨] بذلك، أو أَبٌ، أو العلم به أنَّه كان من أحد أجداده خارج عن اللَّفظ له، بلِ المقصود أنَّه منسوبٌ إلى ذلك، على وجه الملابسة والارتباط والتَّعلق

---

(٢٨) يُنظر: سرُّ صناعة الإعراب ٥٣٠/٢، وشرح الكافية الشَّافية ٢٤٩/١، وابن عقيل ١٢٢/١، وهمع الهوامع ٢٨٢/١.

(٢٩) صحيح البُخاري ١٦٩/١، والرَّوض الأُنف ٣٨/٣، والسِّيرة النَّبوية ، لابن كثير ٣٦٣/٢.

(٣٠) أبو هُريرة هو: عبد الرَّحمن بن صَخر الدُّوسي ، صحابي، كان أكثر الصَّحابة حِفظًا للحديث ورواية له. توفِّي سنة ٥٩ هـ . يُنظر: سنن ابن ماجه ٣٥٠/٥، والإصابة ٣١٦/٤.

(٣١) ما بين معقوفتين زيادة يقتضيها السِّياق .

(٣٢) يُنظر: المُخصَّص ١١٦/٤، واللِّسان (كني) ٢٣٣/١٥.

(٣٣) تهذيب الأسماء ٢٣١/٢. وعائشة: هي أُمُّ المُؤمنين بنت أبي بكر الصِّديق، رضي الله عنهما. وأسماء آخر المهاجرين والمهاجرات وفاةً. وهي أخت عائشة لأبيها، وأُمُّ عبد الله بن الزُّبير. ينظر: تهذيب الأسماء ٢٣١/٢، والطَّبقات الكبرى ٢٤٩/٨.

(٣٤) في الأصل: (في) ، وما أثبتناه مُوافقٌ للسِّياق .

(٣٥) يُنظر: تاريخ الرسل والمُلوك ١٠٨/١، والبداية والنِّهاية ٢٢١/١، والمُفصَّل في تاريخ العَرب قبل الإسلام ٢٧٢/٨.

(٣٦) تاريخ دمشق ١٦٤/٦، والبداية والنِّهاية ١٦١/١، وحلية الأولياء ٢٣٥/٣.

(٣٧) في الأصل: (المكنا) .

(٣٨) في الأصل: (للمكنا) .

السَّاري، والنَّاشئ من نسبة أسماء الآباء أو الأبناء أو غيرهما، كما سَبق إيضاحه . واستعمال هذا الاسم في الكتاب المشهور المُصنَّف المُسمَّى: (بَافَضْل)، (المُختصر في فقه الإمام الشَّافعي)[٣٩]، من قبيل الأعلام المنقولة، فسُمِّي الكتاب بما اشتُهِرَ به مصنِّفُهُ؛ لقصد الاختصار، وتعيين المراد على وجه الاقتصار .

وتقدير الكلام بحسب الأصل في قولك: قَرأتُ بَافَضْلٍ، مثلاً: (قَرَأْتُ بَافَضْلٍ)، فحُذفَ لفظُ (كِتَاب)؛ لقصد التَّخفيف، فهو بحسب الأصل [٤/و] مجازٌ بحذف المضاف، كما في قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى ﴾ [يُوسُف: ٨٢]، أي: أَهْلَهَا، فإنَّ القريةَ اسمٌ للأبنية والأماكن، والقَصد سُؤال ساكنيها، وهُم أهلُها[٤٠]. ومثله قوله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [العلق: ١٧]، أي: أهلَ نَادِيَة، فإنَّ النَّادي اسمٌ لموضع الجُلوس، والغرض دُعاء أَهلِه[٤١].

والعَلَمُ على قِسمين: مُرتجَلٌ ومنقولٌ[٤٢]، كما أشار صاحب (الخُلاصة)[٤٣]:

وَمِنْهُ مَنْقُولٌ كَفَضْلٍ وَأَسَدْ ... وَذُو ارْتِجَالٍ كَسُعَادَ وَأُدَدْ

وينقسم العَلَم المنقول إلى قسمين أيضًا:

أحدهما: أصليٌّ في الاستعمال، كاستعمال (بَافَضْل) في الشَّيخ المُصنِّف .

وثانيهما: فرعيٌّ في التَّسمية على سبيل الغَلَبَة والشِّيوع بعد نقله من الأصل المسموع، ويُسمَّى عَلَمًا بالغَلَبَة، ويكون مُضافًا كالَّذي هنا، ومقرونًا بـ (أَل)، كـ (المَدينَة)[٤٤] على سَاكنها أفضلُ الصَّلاة والسَّلام وإلى هذا أشار ابن مالك في (خُلاصته)، حيث قال[٤٥]:

وَقَدْ يَصِيرُ عَلَمًا بِالْغَلَبَةْ ... مُضَافٌ أَوْ مَصْحُوبُ أَلْ كَالعَقَبَةْ

وهذا القَدْرُ كافٍ في بيان إثبات اللُّغة بالشَّواهد، وإيضاحها بإيراد النَّظير من الأمثلة والقواعد، تمَّ

بيانُ الأصل في لَفظ (بافَضْل)

(٣٩) واسمه: (المُقدِّمة الحَضرميَّة في فروع الفقه الشَّافعي)، لعبد الله بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر بافضل الحضرمي، السَّعدي، المذحجي، المتوفى ٩١٨هـ . طبع بدار المُتَّحدة، دمشق، ١٤١٣هـ، تحقيق: ماجد الحَمَوي. يُنظر: الأعلام ٤/٩٧، ومعجم المُؤلِّفين ٦/٦٨. والشَّافعيُّ هو: محمد بن إدريس بن العبَّاس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطَّلبي، أبو عبد الله: أحد الأئمَّة الأربعة عند أهل السُّنة، وإليه نسبة الشَّافعية كافَّة. توفِّي سنة ٢٠٤ هـ . يُنظر: طبقات الشَّافعية الكبرى ٢/٧١.

(٤٠) الجامع لأحكام القرآن ١/٢٣٩، والمُحرَّر الوجيز ٣/١٥٤، وزاد المسير ٣/٣٧.

(٤١) اللُّباب في علوم الكتاب ١٣/١٢٣، وفتح القدير ٥/٦٦٧.

(٤٢) المُرتَجَلُ: ما وضع مِن أوَّل أمره عَلَمًا، ولم يستعمل قبل ذلك في غير العَلَميَّة. ومثاله: الأَعلام الَّتي اخترعها العرب أوَّل مرَّة لمسمَّياتٍ عندهم؛ ومنها: أُدَد (علم رَجُل)، وسعاد (علم امرأة)، وَفقْعَسَ علم للأب الأوَّل لقبيلة عربيَّة معروفة. ومثل: الأعلام التي يخترعها النَّاس لمسمَّيات خاصة عندهم، من غير أن يكون لها عند العرب الخُلَّص وجود سابق، مثل: «جَيْن»، عَلَم على بلد.

ويريدون بالمنقول - وهو الأكثر - أحد شيئين، أولهما: العَلَم الَّذي لم يستعمل لفظه أوَّل الأمر عَلمًا مُطلقًا؛ وإنَّما استعمل أوَّلاً في شيءٍ غير العَلَميَّة، ثم نُقل بعده إلى العَلَميَّة؛ مثل: حامد، محمود فاضل، أمين...؛ فقد كانت قبل العَلَميَّة تُؤدِّي معنى آخر، ثمَّ انتقلت منه إلى العَلَميَّة. وثانيهما: العَلَم الذي استعمل أوَّل أمره علمًا لفرد في نوع، ثم صار عَلَمًا لفرد في نوع آخر يُخالف الأوَّل؛ مثل: «سُعَاد» علم امرأة؛ ثمَّ صار عَلَم قَريةٍ، لا علم امرأة. ينظر: شرح الكافية الشَّافية ١/٢٤٧، وأوضح المسالك ١/١٢٣، وهمع الهوامع ١/٢٨٥.

(٤٣) ابن عقيل ١/١٢٤.

(٤٤) ينظر: التَّعريفات ١٩٩، وشرح الرَّضي على الكافية ٣/٢٥٥، وابن عقيل ١/١٨٦.

(٤٥) ابن عقيل ١/١٨٥.

المقصود الآن .

ولإتمام الفائدة بإعرابه في الأحوال الثَّلاثة، فيقال في قولك: (بَافَضْلٍ مَقْرُوءٌ)، وإعرابه: (بَا): مُبتدأ مرفوع [٤/ظ] بالابتداء، ورفعُهُ ضمَّةٌ مُقدَّرةٌ على الألِف، مُنع من ظهورها للتَّعذُّر . و(فَضْلٍ): مضافٌ إليه مجرورٌ به، وجرُّه كسرة ظاهرة . (مَقْرُوءٌ): خبرٌ مرفوعٌ بالضَّمَّة الظَّاهرة .

وفي قولك: (قَرَأْتُ بَافَضْلٍ) . (قَرَأْتُ): فِعلٌ، وفَاعِلٌ . و(بَا) : مفعولٌ به منصوبٌ بفتحةٍ مُقدَّرةٍ [مُنع من ظُهورها][٤٦] للتَّعذُّر. و(فَضْلٍ): مجرورٌ بالمُضَاف[٤٧].

وفي قولك: (طَالَعْتُ فِي بَافَضْلٍ) . (طَالَعْتُ): فِعْلٌ وفَاعِلٌ . (فِي): حرفُ جرٍّ . (بَا): مجرورٌ بِهِ، وجرُّه كسرةٌ مُقدَّرةٌ على الألِف [مُنع من ظهورها] [٤٨] للتَّعذُّر . (فَضْلٍ): مَجرورٌ بالمُضاف أيضًا.

خاتمةُ خَيْرٍ، نسألُ اللّه حُسنَهَا:

قد عَلِمتَ أنَّ لفظَ (بَا) شائعٌ عند إخوانِنَا الحَضَارِمَة . ومنهم من يقول: (أَبَهْ)، إذا دعا من هو أكبر منه، وهي صحيحة فصيحة في اللُّغة العربيَّة، فإنَّ هذا اللَّفظ مُنادى حُذِفَ منه حرفُ النِّداء، والهاء تحتمل أن تكون مُبدلة من التَّاء الَّتي أُتِيَ بها عِوضًا عن ياء المُتكلِّم، والأصل: (يَا أَبَتِ)، بالتَّاء، وأصلُه قَبل ذلك (يَا أَبِي)، كما أشار ابنُ مالك في (الخُلاصة)[٤٩]:

وَفِــي الــنِّــدَا أَبَــتِ أُمَّــتِ عَــرَضْ وَاكْسِرْ أَوِ افْتَحْ وَمِنَ اليَا التَّا عِوَضْ[٥٠]

فيُقال في إعرابه على هذا: (أَبَ): مُنادى منصوبٌ بفتحةٍ مُقدَّرةٍ قَبْلَ ياء المُتكلِّم[٥١]، المُعوَّض عنها التَّاء المقلوبة في الوقف هاء، مُنع من ظهورها تلك الفتحة العارضة لمناسبة التَّاء . ويُحتمل أن يكون مُنادى [٥/و] على لُغة النَّقص، فيكون منصوبًا بفتحةٍ ظاهرةٍ على الباء، والباء مضافٌ، و(الهاء): ضميرُ المُفرد المُذكَّر الغائب، في محلِّ جرٍّ بالمضاف، ويكون حينئذٍ من باب (الالتفات)[٥٢] من التَّكلُّم إلى الغِيبة، وهو

(٤٦) ما بين معقوفتين زيادة يقتضيها السِّياق .

(٤٧) حُكم المضاف إليه الجرُّ دائمًا؛ وقد اختُلف في عامل الجرِّ فيه: فذهب سيبويه والجمهور إلى أنَّه مجرورٌ بالمضاف؛ وذهب الزَّجَّاج إلى أنَّه مجرورٌ بحرف جرٍّ مُقدَّر. وقيل: هو مجرورٌ بالإضافة؛ وقيل: هو مجرورٌ بحرف مُقدَّر ناب عنه المضاف. تُنظر هذه المسألة في: الكتاب ٤١٩/١، والبسيط ٨٨٦/٢، وشرح ألفيَّة ابن معطٍ ٧٣١/٢، وأوضح المسالك ١٦٧/٢، والتَّصريح ٢٤/٢، ٢٥، وهمع الهوامع ٢٦٥/٤.

(٤٨) ما بين معقوفتين زيادة يقتضيها السِّياق .

(٤٩) ابن عقيل ٢٧٦/٣، وتوضيح المقاصد ١٠٩٠/٢

(٥٠) فُهم من كلام ابن مالك فوائد، الأُولى: أنَّ تعويض التَّاء من ياء المُتكلِّم في (أَب ، وأُم) لا يكون إلاَّ في النِّداء. الثَّانية: أنَّ ذلك مُختصٌّ بالأب والأُم . الثَّالثة: أنَّ التَّعويض فيهما ليس بلازم ، فيجوز فيهما ما جاز في غيرهما من الأوجه السَّابقة ، فهم ذلك من قوله: (عرض) . الرَّابعة: منع الجمع بين التَّاء والياء ؛ لأنَّها عوض عنها وبين التَّاء والألف ؛ لأنَّ الألف بدل من الياء. وأمَّا قوله:

أَيَــا أَبَــتِــي لاَ زِلْــتَ فِــينَــا فَــإِنَّــمَــا لَــنَــا أَمَــلٌ فِــي الـعَـيْـشِ مَـا دُمْــتَ عَـائِـشَـا

فضرورة . ينظر: توضيح المقاصد ١٠٩٢/٢.

(٥١) في الأصل: (متكلم) . وما أثبتناه موافق للسِّياق .

(٥٢) الالتفات: وهو انتقال المتكلِّم من طريق التَّكلُّم أو طريق الخِطاب أو طريق الغِيبة إلى طريق آخر منها ، انتقالاً غير مُلتزم في الاستعمال. وله نكتٌ تزيده حُسنًا في الكلام ، وله بيانٌ في المطوَّلات. ينظر مثلاً: الصِّناعتين ٣٩٢، والإيضاح ٧٢، والمثل السَّائر ٣/٢.

من المُحَسِّنات البَديعيَّة الفصيحة المَرضيَّة، ومن ذلك قول الشَّاعر[٥٣]:

وَبَاتَ وَباتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ   كَلَيْلَةِ ذِي العَائِرِ الأَرْمَدِ

يعني بذلك نفسه مكان قوله: (وَبِتُّ وَبَاتَتْ لِي لَيْلَةٌ)، فالتفت مِنَ التَّكلُّم إلى الغِيبة؛ لقَصْدِ التَّفنُّن والتَّحسين.

ومِن الالتفات مِن التَّكلُّم إلى الخطاب قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٢٢].

وشاهد الانتقال من الخِطاب إلى الغِيبة وعَكسِه قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[٥٤] [يونس: ٢٢] .

وقوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣] . فإنَّه قُرِئَ بالياء والتَّاء فيهما، وبالياء في الأوَّل، والتَّاء في الثَّاني[٥٥].

ما أَثبتُّ في هذه النُّبذة أنَّه دُفع إلينا سؤالٌ من بعض الفضلاء، كانَ اللَّه لنا ولهم بالعَون والرِّعاية بجَاه سيدنا مُحمَّد صلى الله عليه وسلم وجعلنا وإيَّاهم من أهل الجنَّة الَّذين لا يبغون عنها حولا، وبعد أن يَسَّر اللَّه بما كتبتُهُ عليه، وجدَ بعضُ [٥/ظ] الإخوان بعدَ الكشف التَّام نصًّا عن بعض عُلمائهم يُؤيِّد ما حرَّرتُهُ مِنَ الكلام، فللَّه الحَمدُ والشُّكر، لا أُحصي ثَناءً عليه هو كما أثنَى على نفسه، تباركَ اللَّه ذو الجَلال والإكرام. وصُورة النَّص المذكور: "فائدة: عُرف أهلُ حَضرموت في الكُنية أنَّهم يلزمونها الأَلف بكلِّ حالٍ على لُغةِ القَصْرِ، قُلتُ: وأكثرُ ما تُحذف الهمزة تخفيفًا من (أَبَا)، فيُقال: (بَافُلان) ". انتهى النَّقل مِن (نَفحة

بيانُ الأَصْلِ في لَفظ (بافَضْل)

---

(٥٣) البيت من المُتقارب ، وهو لامرئ القيس بن عانس، وقيل: لامرئ القيس الكِندي، وقيل: لعمرو بن معدي كرب، وقيل: لغيرهم. يُنظر هذا البيت في: تخليص الشَّواهد ٢٤٣، وأوضح المسالك ١٧٨، والمقاصد النَّحويَّة ٢/ ٣٠، والتَّصريح ١/ ١٩١، والأشموني ١/ ٢٣٦، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٣٢، وديوان امرئ القيس ١٨٥، وملحق ديوان عمرو بن معدي كَرب ٢٠٠.

(٥٤) قال ابن الأثير في المثل السَّائر ٢/ ١٠ مُعلقًا على هذه الآية الكريمة : " فإنَّه إنَّما صرف الكلام ـ ههنا ـ من الخِطاب إلى الغيبة لفائدة ، وهي: أنَّه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم ويستدعي منهم الإنكار عليهم ، ولو قال: حتَّى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيِّبة وفرحتم بها ، وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة الَّتي أنتجها خطاب الغيبةِ، وليس ذلك بخافٍ عن نقدة الكلام " . وينظر أيضًا: البحر المحيط ٢/ ٤١١.

(٥٥) قرأ حفص عن عاصم ﴿ يَبْغُونَ ﴾ ، و ﴿ يُرْجَعُونَ ﴾ ، بالياء المنقطة من تحتها ؛ لوجهين:

أحدهما: ردًّا لهذا إلى قوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٢] . والثَّاني: أنَّه تعالى إنَّما ذكر حكاية أخذ الميثاق حتَّى يبين أنَّ اليهود والنَّصارى يلزمهم الإيمان بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلمَّا أصروا على كفرهم قال على جهة الاستنكار: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ .

وقرأ أبو عمرو (تَبْغُونَ) ، بالتَّاء خطابًا لليهود وغيرهم من الكافرين ، و (إليه يَرْجِعُونَ) ، بالياء ليرجع إلى جميع المكلفين المذكورين في قوله: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

وقرأ الباقون فيهما بالتَّاء على الخطاب ؛ لأنَّ ما قبله خطابٌ لقوله: ﴿ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ ﴾ [آل عمران: ٨١]. وأيضًا فلا يبعد أن يُقال للمسلم والكافر ولكلِّ أحدٍ: أفغير دين الله تبغون مع علمكم بأنَّه أسلم له من في السَّماوات والأرض وأن مرجعكم إليه . وهو كقوله: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾[آل عمران: ١٠١]. ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٢٧، والمُفيد في القراءات الثَّمان ٢٩٠ـ ٢٩١، ومفاتيح الغيب ٨/ ١٠٦، واللُّباب في علوم الكتاب ٥/ ٣٦٦.

المَندل في مناقب الأَهدَل)[٥٦].

وهذا آخر ما يسَّره اللهُ المولى[٥٧] الجليل على لسان عَبدِه الفقير الحَقير الذَّليل (أحمد [بن][٥٨] محمد المرزوقي الحَسَنِي)، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين، وصلَّى الله على سيدنا محمَّد الأُمي وعلى آله وصحبه وسلَّم، والحمد لله ربِّ العالمين.

تمَّت النُّبذة المُسمَّاة بـ: **(بَيَانُ الأَصْلِ فِي لَفْظِ بَافَضْل).**

تَمَّتْ

[**مُتمِّمَة**][٥٩]:

هذه مُتَمِّمَةٌ لاستيفاء النَّظير اللاَّحق بما له تعلُّق بالبحث السَّابق.

سأَلني عن ذلك بعضُ أحبابي من إخواننا المكِّيين، يسَّر الله لنا وله ولسائر المسلمين العِلْمَ والعَمل بالقبول والرِّضا وحُسن اليقين، آمين.

فمن ذلك ما سُمع من لُغة إخواننا الحَضَارِمَة استعمال (بَا) في مخاطباتهم ومحاوراتهم، فيُقال[٦٠]: (بَانْسِيْر)، (بَانَخْرُج)، (بَانَدْخُل)، (بَانَاكُل)، ونحوه [٦/و]. ويَعتقدُ مَن لا دراية له بعِلم العربيَّة أنَّ ذلك مِنَ اللَّحن أوالتَّحريف الَّذي ليس له نَظير. وتوجيهُهُ فيما تقدَّم لك في (بَافَضْل)، فيُقال هنا: أصل (بَانْسِيْر): يَا أَبَا، يعنُون به المُخاطَب على سبيل التَّعظيم والتَّوقير، فحُذف منه حرفُ النِّداء والهمزة، وقلب التَّنوين في الوصل ألفًا؛ لإعطائه حُكمَ الوقف، ولذلك في أفصح الكلام أصلٌ ونَظيرٌ، فقد قرأ قُنْبُل[٦١] روايته عن ابن كَثير[٦٢] قولَه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف:٩٠]، بِسُكون راء (يَصْبِرْ) بعد إثبات يَاء (يَتَّقِي) الدَّالة على أنَّ (مَنْ) اسم موصُول، وليس بأداة شرطٍ جَازمٍ، كما هو

(٥٦) لأبي بكر بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد الأهدل الحسيني اليمني التِّهامي: فاضل، من أهل تِهامة اليمن. توفِّي بقرية (المحط) سنة ١٠٣٥هـ، له كتب منها: (نظم التَّحرير) في الفقه، و (الأَحساب العَلِيَّة في الأنساب الأَهدليَّة). وقد اختلف في تسمية الكتاب المذكور اختلافًا يسيرًا، فمنهم من سمَّاه: (نَفحةُ المَندل بذِكر بني الأَهدَل)، ومنهم من سمَّاه: (نَفحة المندل في تَراجم سَادة الأَهدَل)، وهذا الخلاف لا يخرج الكتاب عن مدلوله. ينظر: البدر الطَّالع ٣٧٦/٢، وخُلاصة الأَثر ٤١/١، والأَعلام ٦٨/٢، ومعجم المُؤلِّفين ٦٩/٣.

(٥٧) في الأصل: (المولا).

(٥٨) زيادة يقتضيها السِّياق.

(٥٩) في الأصل: (المولا).

(٦٠) ما بين معقوفتين زيادة يقتضيها السِّياق. رأينا أنَّ من الفائدة ضم هذه المتمِّمة إلى أصل الرِّسالة؛ لِمَا لها من ارتباط وثيق بالموضوع، ولكونها للمؤلِّف نفسه، أثبتها تتميمًا للرِّسالة أصلاً؛ لذلك وجب علينا إلحاقها.

(٦١) قُنْبُل هو: محمَّد بن عبد الرَّحمن بن خالد بن جرجه، أبو عمرو المخزومي مولاهم المكي، (ت٢٩١هـ). ينظر: معرفة القراء١٨٦/١، والعقد الثمين ١٠٩/٢، وغاية النِّهاية ١١٩/١.

(٦٢) ابن كَثير هو: عبد الله بن كثير الداري، أبو مَعْبَد، مقرئ مكة وإمامها في القراءات. (ت١٢٠هـ). ينظر: مشاهير علماء الأمصار ١٤٧، ومعرفة القراء الكبار ٧١/١، وغاية النِّهاية ٤٤٣/١.

في القِراءة الأُخرى مَعقولٌ[٦٣].

ورُبَّما كَسَر أهلُ تلك اللُّغة (الباء)، فيقولون: (بِيّ نَقْرَأ)، و(بِنَقْرَأ) فيظنُّ مَنْ لا معرفة له أنَّها الباء الجارَّة على الفِعل، وإنَّما أصلُهُ كالمُتقدِّم (يَا أَبِي)، فحُذف حرفُ النِّداء والهَمزُ وياءُ المُتكلِّم للتَّخفيف، وبَقِيَت الباء على كَسْرِهَا، الَّذي كان لمناسبة الياء الموجودة أو المحذوفة، ويبدؤون المضارع بالنُّون، وأصلُه يُستعمل في الجماعة المُتكلِّمين، أو المُعظِّم نفسَه للسَّامعين. وصَدَرَ ذلك منهم على وجه الأدب مع المُخاطَبين، حتَّى جعل المُخاطَب وإن كان دَنيًّا صغير السِّنِّ أَبًا، للمُتكلِّم. والمُتكلِّم وإن كان فردًا صار [٦/ظ] من جماعته وحزبه. فعبَّر بالمضارع المَبدُوء بالنُّون لذلك. وأمَّا أهلُ مِصر فيقولون في جواب السَّائل إذا كان المسئول قارئًا: (بَقْرَا)، أو آكلاً: (بَاكُل)، أو مُصلِّيًا: (بَصَلِّي)، إلى غير ذلك من النَّظائر. وأصلُهُ: يَا أَبَا بَقْرَأ، أو آكُل، وأُصَلِّي. حُذِفَ حرفُ النِّداء والهمزُ والألفُ الَّذي بعد الباء المُضارع للتَّخفيف، كما سَبَقَ. وممَّا يُشبه ذلك في الحذف قولُهم في طلب الزِّيادة: (كَمَانْ)، وأصلُهُ: كَمَا أَنَّ، فحذف حينئذ (أَنْ) للتَّخفيف، ومعناه: زِدْنِي زِيادةً حاصِلةً. (كالَّذي): كَمَا الَّذِيَ، أي: كما الَّذي حصل في هذا الأوان[٦٤]. وأصلُ قولِهم: (كَانِيْ مَانِيْ): كَانَ لِيَ[٦٥]، يعنون بذلك الإثبات والنَّفي لسائر الأفعال. وأصل قولهم: (بَسّ)، في الاكتفاء بالمُعطَى مِنَ المُعْطِي: هذا بَسٌّ، أي: مَبْسُوسٌ، فهو من إطلاق المَصدر وإرادة اسم المفعول، فإنَّه مصدر: بَسَّ يَبُسُّ بَسًّا إلى فرق السِّين إلى أجزاء صِغار[٦٦]، فهو بمنزلة قولك حسبي ذلك، أي: أنه بلغ النهاية في المقصود فلا حاجة لطلب شيء آخر. وأصل قولك: (أَحِمّ)، في السُّؤال عن بيت الخَلاء: (أَحَّى)[٦٧]. وأصل (لَيْش): لأَيِّ شَيءٍ[٦٨].

بيانُ الأصلِ في لَفظ (بافَضْل)

---

(٦٣) قرأ قنبل: (يَتَّقِي)، بإثبات الياء وصلاً ووقفًا، والباقون بحذفها فيهما. فأمَّا قراءة الجماعة فواضحةٌ؛ لأنَّه مجزومٌ، وأمَّا قراءة قُنْبُل، فاختلف فيها النَّاس على قولين:

أحدهما: أَنَّ إثبات حرف العلَّة في الجزم لُغة لبعض العرب؛ وأنشدوا:

أَلَمْ يَأتِيكَ والأنْبَاءُ تَنْمِي ... بِمَا لاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ

وقول الآخر:

هَجَوْتَ زبَّاتَ ثُمَّ جِئْتَ مُعْتَذِرًا ... مِنْ هَجْوِ زبَّانَ لَمْ تَهْجُوا ولَمْ تَدع

والثاني: أنَّه مرفوعٌ غير مجزوم و «مَنْ» موصولة، والفعل صِلتها؛ فلذلك لم يُحذف لامُهُ. تُنظر المسألة مُفصَّلة في: السَّبعة في القراءات ٣٥١، والنَّشر في القراءات العَشر ٢/٣٣٤، والمُحرَّر الوجيز ٣/٣/٢٨٤، واللُّباب في علوم الكتاب ١١/٢٠٢.

(٦٤) هذا من صور النَّحت، ومثاله: (أَيْوَه)، من: (إي والله)، و(مِنُو) فلان، أي: (مَنْ هُوَ).

(٦٥) ونظيره في التَّهديد: (ولاكَ)، كأنَّها من: (ويلٌ لَكَ)، أو من: (أَوْلَى لَكَ). وكلتاهما بهذا المعنى.

(٦٦) ينظر: الإتباع للقالي ٨٥، والمزهر ١/٣٢٦. جاء في تاج العروس (بسس) ١٥/٤٥١-٤٥٢: ((البَسُّ: زَجْرٌ للإبل، بِبَسْ بَسْ بكسرهما وبفتحهما، كالإِبْساس. وقد بَسَّ بها يَبُسُّ ويَبِسُّ وأَبَسَّ ...... و(بَسّ)، بمعنى: حَسْبُ، أو هو مُسْتَرْذَلٌ كذا قاله ابن فارس. ووَقَعَ في المُزْهِر أيضًا أنَّه ليس بعربيٍّ، قال شَيْخُنا: وقد صحَّحها بعضُ أئمَّة اللُّغة وفي (الكَشْكول) للبَهاءِ العامِلِيِّ ما نصُّه: ذكرَ بعضُ أئمَّة اللُّغة أنّ لَفْظَةَ (بَسْ) فارسيَّةٌ تقولُها العامَّةُ وتصرَّفوا فيها، فقالوا: بَسَّكَ وبَسِّي إلخ، وليس للفُرْسِ في معناها كلمةٌ سِواها، وللعربِ: حَسْبُ، وبَجَلْ، وقَطْ مُخَفَّفة، وأَمْسِك، واكْفُفْ، وناهِيكَ، ومَه، ومَهْلاً، واقْطَعْ، واكْتَفِ)).

وينظر: الكشكول ١/٨٠.

(٦٧) أَحَّ الرَّجلُ وأَحَّى، إذا تَوجَّعَ أو تَنَحْنَحَ. وقيل: أَحَّ، إذا رَدَّدَ التَّنَحْنُحَ في حَلْقه، وقيل: كأنَّه تَوجُّعٌ مع تَنَحْنُح، وأَصْلُه، أي أَحَّى، أَحَّحَ، كتَظَنَّى، أَصْلُه: تَظنَّنَ، قُلِبت حاؤُه ياءً. تاج العروس (أحح) ٦/١٩٣.

(٦٨) ومثاله: (أَيْش تُرِيد)، والأصل: (أي شيء تريد). وقال أبو الحسن محمد بن المبارك المعروف بابن الخلّ المتوفى سنة ٥٥٢هـ من قصيدة:

ويدق صدرًا ما انطوى إلاّ ... على غل يواريه بكفٍ عظام

وقد يقال فيه (ليْه) بمعنى: لأيٍّ هُوَ[٦٩]. وأصلُ (مَا فِيْشْ): ما فيه [شيء]. وأصل (مَاجَاشِيّ): مَا جَاءَ شَيءٌ[٧٠]. وأصلُ (جَابَ [٧/و] كَذَا): جَاءَ بِكَذَا، ومثله: (جَابُوا)، أي: جَاؤوا بِهِ، وليس مِنْ هذا قوله تعالى: ﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴾ [الفجر: ٩]؛ لأنَّ فعل (جَابَ) بمعنى: قَطَعَ، ومنه سُمِّي المُجِيب لذلك[٧١].

واستعمال (نَدَرَ)، بمعنى: خَرَجَ، عند أهل الحجاز المُولَّدين، له أصلٌ في العربيَّة، فإنَّ النَّادِر: الخارج عن حدِّ الكَثْرةِ إلى حَدِّ القِلَّةِ[٧٢]. فغاية الأمر فيه أنَّه مِنْ استعمال الخاص في العام، وليس بمتنكر عند ذوي الإفهام.

لطيفة: المشهور عند العرب في فِعْلِ المَجِيء: (جَاءَ، يَجِيءُ، مَجِيْئًا)، بالهمز. ورَدَ عندهم: (جَاءَ، يَجِي)، بالقَصْرِ بلا هَمزة. وقُرئ بإسقاطه إذا وقع بعده همز مفتوح، قالون[٧٣] في روايته عن نافع[٧٤]، والبَزِّي[٧٥] من روايته عن ابن كَثير، وأبو عمرو البَصري[٧٦]، فيقرؤون في قوله تعالى: ﴿ جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ [هود: ٤٠]، بألفٍ بعده همز واحد[٧٧].

ومعنى ذلك فينبغي مُراعات الحالات بالتَّكلُّم بتلك اللُّغة، فإنَّه حُكِيَ أنَّ بعض القُضاة[٧٨] جاءت إليه يومًا امرأةٌ في قَضيَّة فسألها عن شهودها، وقال: مَنْ جَا مَعَكُمْ ؟، بِلُغة القَصْرِ، فخَجِلت تلك المرأة ولم

ويقول (أيْشن) أقول من حصر به | لا لازدحام عبارة وكلام

اللَّهجة العاميَّة في لبنان وسورية٢٧٩/٤ . للأستاذ عيسى إسكندر المعلوف ،مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٦٩) وقريب من هذا قول أبي السَّمال سمعان بن هبيرة الأسدي الشَّاعر النصراني في زمن النبي ﷺ ومن أشعاره قوله:

ولَلموت خير لامرئ من حياته | بدارة ذلّ (عالبلايا) يوقَّر

أي: على البلايا، وهذا من لغة عامتنا اليوم ، هي لغة يمنيَّة. المعمرون والوصايا ٢١.

(٧٠) ونظيره: (مَاعَلَيْشْ) ، أي: (مَا عليه شيء) . وما بين معقوفتين زيادة يقتضيها السِّياق .

(٧١) الجَوْبُ : الخَرْقُ والنَّقْبُ كالاجْتِيَاب جَابَ الشيءَ جَوْبًا واجْتَابَه : خَرَقَه وكُلُّ مُجَوَّف قَطَعْتَ وَسَطَه فَقَدْ جُبْتَهُ وجَابَ الصَّخْرَةَ جَوْبًا : نَقَبَها وفي التَّنزيل العزيز : (وثَمُودَ الَّذينَ جَابُوا الصَّخْرَ بالوَادِ) ، قال الفراءُ : جَابُوا : خَرَقُوا الصَّخْرَ فاتَّخَذُوهُ بُيُوتًا. تاج العروس (جوب) ٣٧٤/١.

(٧٢) نَدَرَ الشَّيء نُدُورًا : سقط أو خرج من غيره ، ومنه (نَادِرُ الجَبَلِ) ، وهو ما يخرج منه و يبرز، و نَدَرَ فلانٌ مِنَ قَومِهِ: خَرَج ، ونَدَرَ العَظْمُ مِن موضعه: زَالَ . المصباح المنير ٥٩٧/٢.

(٧٣) هو عيسى بن مينا بن وردان ، مولى بني زهرة ، أبو موسى ، قرأ على نافع المدني ، وروى قراءته . (ت ٢٢٠هـ) . معرفة القرَّاء الكبار ١٢٨/١، وغاية النِّهاية ٦١٥/١.

(٧٤) هو نافع بن عبد الرَّحمن بن أبي نُعَيم المدني ، أبو عبد الرَّحمن ، مُقرئ الحرم المدني ، وإمام القراءة في المدينة النَّبوية. (ت ١٦٩هـ) . معرفة القرَّاء الكبار ٨٩/١، وغاية النِّهاية ٣٣٠/٢.

(٧٥) هو أحمد بن محمد بن عبد الله البَزي ، مقرئ مكَّة ، روى قراءة ابن كثير الداري ، وروى عنه القراءة قُنبل . (ت ٢٥٠هـ) . العقد الثَّمين ١٠٩/٢، وغاية النَّهاية ١١٩/٢.

(٧٦) هو أبو عمرو بن العلاء البصري ، من كبار نحاة البصرة ، وإمام القراءة فيها . (ت ١٥٤هـ). معرفة القرَّاء الكبار ٨٣/١، وغاية النِّهاية ٢٨٨/١.

(٧٧) قرأ (جَا أَمْرُنَا) ، بإسقاط الأُولى: قالون والبَزِّي وأبو عمرو ورويس من طريق أبي الطِّيب ، قرأ ورش وأبو جعفر ورويس من غير طريق أبي الطَّيب ، بتحقيق الأُولى وتسهيل الثَّانية بَيْن بَيْن، وللأزرق وجهٌ ثانٍ ، وهو إبدالها ألفًا فيشبع المَد ، وقرأ قُنْبُل من طريق ابن شنبوذ بإسقاط الأُولى ومن طريق غيره تحقيقها وتسهيل الثانية وبإبدالها كالأزرق ، والباقون بتحقيقهما. ينظر: حُجَّة القراءات ٩١، وإتحاف فُضلاء البشر ٣٢٠.

(٧٨) في الأصل: (قضاة) ، وما أثبتناه موافق للسِّياق .

تُجِبْهُ؛ لإبهامه السُّؤال عن الجِمَاع[٧٩]. ومثله: سُئلت امرأةٌ من العرب وكان في لغتهم كَسر حرف المضارعة، وقِصَّتها مشهورةٌ[٨٠]. واتُّفق أنَّ بعض خُلفاء بني العبَّاس طلب مُؤَدِّبًا لأولاده، فاختبره بقوله: ما الأمرُ [٧/ظ] من السِّواك، فقال: (إِسْتَكِ)، فأمر بإخراجه، ولو أجاب: (بِسِكْ) لأحسن ؛ لِمَا لا يَخفى من إيهام الأوَّل معنىً لا يَلِيق[٨١].

(٧٩) لم أقف على هذه القصة فيما توافر لي من مصادر .

(٨٠) لم أقف على هذه القصة ، على الرَّغم من كثرة البحث والتَّنقير في المصادر .

المعروف أنَّ العربيَّة الفصحى تفتح حرف المضارعة في الثُّلاثي، أمَّا قبيلة (بهراء) فإنَّها كانت تكسره . وقد عرفت هذه الظَّاهرة عند كثيرٍ من اللُّغويين باسم «تلتلة بهراء». غير أنَّ صاحب ابن منظور قد عزاها إلى كثيرٍ من القبائل العربيَّة، فقال: «و(تِعْلَم) بالكسر ، لُغة قيس ، وتميم ، وأسد ، وربيعة ، وعامَّة العَرب . وأمَّا أهلُ الحِجاز ، وقومٌ من أَعجاز هوازن ، وأزد السّراة، وبعض هذيل، فيقولون: (تَعْلم) ، والقُرآن عليها . وزعم الأخفش أنَّ كلَّ من ورد علينا من الأعراب لم يقل إلاَّ (تِعْلم) ، بالكسر». ينظر: اللسان (وقى) ٢٠/ ٢٨٣ .

(٨١) تنظر القصة مفصَّلة في تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٦.

قائمة المصادر والمراجع

- الإتباع، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، (ت ٣٥٦ هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهر، مصر.(د.ت).
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدِّين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدِّمياطي، (ت ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط (١)١٤١٩هـ.
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، دراسة وتحقيق: علي عمر، ط(١) ،١٤٢٤هـ .
- الأزهيّة في علم الحروف، عليّ بن محمّد النّحوي الهرويّ، (ت ٤١٥هـ)، تحقيق: عبد المعين الملّوحيّ، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤١٣هـ.
- إشارة التّعيين في تراجم النُّحاة واللُّغويين، عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، (٧٤٣ هـ)، تحقيق الدّكتور: عبد المجيد دياب، شركة الطباعة العربية السّعودية، الرياض، ط (١) ١٤٠٦هـ.
- الإصابة في تمييز الصّحابة، ابن حجر، (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعليّ معوّض، دار الكتب العلميّة بيروت، ط (١) ١٤١٥هـ.
- الأعلام، الزّرِكْلي، (ت ١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، ط (١١) ١٩٩٥م.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، (ت نحو ٣٦٠هـ)، شرحه وكتب هوامشه عبد مهنًّا، وسمير جابر، دار الكتب العلميّة، بيروت ط (١) ١٤٠٧هـ.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، ابن السيد البطليوسيّ، (ت ٥٢١هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
- الألفاظ يمنية، الدكتور إبراهيم السامرائي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جـ ٧٨ ص٥٧.
- الأمالي، لابن الشّجريّ، (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق الدّكتور: محمود الطّناحيّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط(١) ١٤١٣هـ.
- الأمالي، لأبي عليّ القاليّ، (ت ٣٥٦ هـ)، تحقيق: عبد الجوَّاد الأصمعيّ، دار الحديث، بيروت، ط (٢) ١٤٠٤هـ.
- إمتاع الفضلاء بتراجم القراء، إلياس البرماوي، (١١٠٦ هـ)، طبعة دار النَّدوة العالمية، ط(١) ١٤٢١هـ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين والبصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري،(ت ٥٧٧هـ)، بعناية محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ١٤٠٧هـ.
- أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، ابن هشام، (ت ٧٦١هـ)، بعناية محمّد محييّ الدّين عبد الحميد، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط (٦) ١٩٨٠م.
- إيضاح المكنون في الذّيل على كشف الظّنون، إسماعيل باشا البغداديّ، (ت١٣٣٩هـ)، مكتبة المثنّى، بغداد، (د.ت).
- البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشَّيخ عادل أحمد

عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وآخرين، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط(١) ١٤٢٢هـ.

- البداية والنِّهاية، ابن كثير، (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق الدّكتور: أحمد أبو ملحم وآخرين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط (٤) ١٤٠٨هـ.

- البسيط في شرح الجمل، ابن أبي الرّبيع الإشبيلي، (ت ٦٨٨هـ)، تحقيق الدّكتور: عيّاد بن عيد الثّبيتيّ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (١) ١٤٠٧هـ.

- بغية الوُعاة في طبقات اللّغويين والنُّحاة، السيّوطيّ، (٩١١هـ)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت . (د.ت).

- البلغة في تراجم أئمَّة النّحو واللّغة، للفيروزآبادي، (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمّد المصريّ، مركز المخطوطات والتُّراث، الكويت، ط (١) ١٤٠٧هـ.

- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، (ت ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المُحققين .

- تاريخ الرُّسل والملوك، الطَّبريّ، (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط (٢) ١٩٧١م.

- تاريخ بغداد: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلميَّة، بيروت .

- تاريخ علماء دمشق في القرن الرَّابع عشر الهجري، محمد مطيع الحافظ، ونزار أباضة، دار الفكر، دمشق سوريا ١٤٠٦هـ.

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة اللّه بن عبد اللّه الشَّافعي، (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: مُحب الدِّين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

- التَّبيين عن مذاهب النّحويين البصريين والكوفيين، أبو البقاء العكبري، (ت ٦١٦هـ)، تحقيق الدّكتور: عبد الرَّحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (١) ١٤٠٦هـ.

- تحصيل عين الذّهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، الأعلم الشّنتمريّ،(ت ٤٧٦هـ)، حقّقه وعلّق عليه الدّكتور: زُهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط (٢) ١٤١٥هـ.

- تخليص الشّواهد وتلخيص الفوائد، ابن هشام الأنصاري، (ت ٧٦١هـ)، تحقيق الدّكتور: عبّاس مصطفى الصّالحي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط (١) ١٤٠٦هـ.

- التَّصريح بمضمون التّوضيح، الشيخ خالد الأزهري، (٩٠٥ هـ)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

- التعريفات، الشَّريف الجرجاني، (٨١٦ هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(٢) ١٤١٣هـ.

- تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين بن شرف النووي،(٦٧٦ هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر (ط١)، بيروت ١٩٩٦م.

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك،أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي،

(٧٤٩هـ)، تحقيق الدّكتور: عبد الرحمن عليّ سليمان، مكتبة الكلّيات الأزهرية، القاهرة، ط (١) ١٩٧٥م.

- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ،(ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط(١) ١٤٢٣ هـ .
- حجة القراءات، أبو زرعة، عبد الرَّحمن بن زنجلة، (القرن الرابع الهجري)، تحقيق: سعيد الأفغاني ،ط(٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٩هـ.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثّالث عشر، عبد الرَّزاق البيطار، (١٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دار صادر – بيروت .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي،(ت ١٠٩٣ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، من ١٤٠٣هـ إلى ١٤٠٩هـ.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مصطفى بن أحمد المحبي، (١٠٦١ هـ)، طبعة دار صادر بيروت لبنان.(د.ت).
- ديوان أبي النّجم العجلي،صنعة علاء الدّين أغا، النّادي الأدبي، الرياض، ١٤٠١هـ.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط (٥) ١٩٩٠م.
- ديوان رؤبة (مجموع أشعار العرب)، بعناية: وليم بن الورد، دار ابن قتيبة، الكويت، (د.ت).
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي، (٥٨١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار النصر للطباعة، القاهرة، ١٣٨٧هـ.
- زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت ٥٩٧ هـ) ،المكتب الإسلامي، بيروت، ط(٣) ١٤٠٤هـ .
- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر بن الأنباري- تحقيق الدكتور حاتم الضامن - بيروت ١٩٧٩م.
- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، أبو بكر، أحمد بن موسى، (ت ٣٢٤ هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ١٣٩٢هـ .
- سر صناعة الإعراب، لابن جنّي،(ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق الدّكتور: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط(١) ١٤٠٥هـ.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، (٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، مطبعة إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).
- السيرة النبوية، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كَثير، (ت ٧٤٧هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٣٩٦ هـ.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد، (نحو ٩٠٠هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).

- شرح الألفية، محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ابن النَّاظم، (٦٨٦ هـ)، تحقيق الدّكتور: عبد الحميد السيّد، دار الجيل، بيروت، (د.ت).
- شرح الألفية، ابن عقيل، (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمّد محييّ الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ١٤١١هـ.
- شرح الرَّضي على الكافية، محمد بن الحسن الإستراآبادي،(٦٨٦هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصَّادق، طهران، (د. ت) .
- شرح ألفية ابن معطي، لابن القوّاس، تحقيق الدّكتور: عليّ موسى الشوملي، مكتبة الخريجي، الرياض، ط (١) ١٤٠٥هـ.
- شرح الكافية الشَّافية، ابن مالك،(٦٧٢ هـ)، تحقيق الدكتور: عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط (١) ١٤٠٢هـ. (من مطبوعات مركز البحث العلميّ وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أمّ القرى).
- شرح المفصّل، ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، (ت ٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
- شرح شواهد المغني، السيوطي، تصحيح وتعليق الشيخ: محمد محمود الشنقيطي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
- شرح قطر النَّدى وبلّ الصّدى، ابن هشام، بعناية: محمد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ١٤٠٩هـ.
- شعر عمرو بن معد يكرب الزّبيدي، جمعه ونسّقه: مطاع الطّرابيشي، مكتبة دار البيان، دمشق، ومكتبة المؤيّد، الرياض، ط (٣) ١٤١٤هـ.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي ،(٨٢١ هـ)، دار الفكر – دمشق، د.يوسف علي طويل، ط١، ١٩٨٧.
- صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري، (ت ٢٥٦هـ)، طبعة الأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠١هـ.
- الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، (بعد ٣٩٥ هـ)،تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ .
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي،(٧٧١ هـ)، تحقيق: د.محمود محمد الطناحي، ود.عبد الفتاح محمد الحلو، هَجَر للطباعة والنشر والتوزيع، ط(٢) ١٤١٣هـ.
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع، (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت .(د.ت) .
- العاميَّة، والدَّخيل، واللَّهجات في قلب الجزيرة العربيَّة، الأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس، مجلة مجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة، جـ ٦٢ص ٤٧٤ـ ٤٩١.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدِّين الفاسي، محمد بن أحمد ،(٨٣٢هـ)، تحقيق: فؤاد سيد، القاهرة ١٣٨١هـ .

- عقيدة العوام، أحمد بن محمد المرزوقي، (بعد ١٢٨١هـ)، (بهامش نور الظَّلام على منظومة عقيدة العَوَام)، مطبعة الجماليَّة ١٣٢٩هـ .
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت ١٧٥هـ)، تحقيق الدّكتور: مهدي المخزوميّ، والدّكتور: إبراهيم السّامرّائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط (١) ١٤٠٨هـ.
- غاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: براجستراسر، مكتبة الخانجي مصر، ١٣٥٢هـ.
- الفتاوى الحديثية، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، (٩٧٤ هـ)، دار الفكر، بيروت . (د.ت) .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التَّفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت. (د.ت) .
- فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، (١٣٨٢ هـ). إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط(٢)، ١٩٨٢م.
- كتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: د. عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (٣) ١٤٠٨هـ.
- الكشكول، بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، (ت١٠٣١ هـ)، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(١) ١٤١٨هـ .
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، (ت ٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط(١) ١٤١٩ هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور،(ت٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، ط (١) ١٤١٠هـ.
- اللهجة العاميَّة في لبنان وسورية، عيسى إسكندر المعلوف، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جـ ٤، ص ٢٩٤ – ٣١٥ .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، محمد بن نصر الله بن محمد الشيباني، (ت ٦٢٢هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت ٨٠٧ هـ)، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة ، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- مجموعة الرسائل والمسائل النَّجدية. (فتاوى ورسائل) لعلماء نجد الأعلام، ط(١) ١٣٤٦هـ، القاهرة، مطبعة المنار.
- المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيّة الأندلسي، (ت ٥٤١ هـ)، تحقيق: عبد السّلام عيد الشافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط (١) ١٤١٣هـ.
- المخصّص، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (ت ٤٥٨ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط١) تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ١٤١٧هـ .

- المرتجل في شرح الجمل، عبد الله بن أحمد، ابن الخشاب،(ت٥٦٧ هـ)، تحقيق ودراسة: عليّ حيدر، دمشق، ١٣٩٢هـ.
- المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، السّيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار التراث، القاهرة، ط (١) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحّالة، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- معجم المطبوعات العربية والمعربّة، جمع وترتيب: يوسف إليان سركيس، مكتبة الثّقافة الدّينية، مصر، (د.ت).
- معجم مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني ،(٣٩٥ هـ)، تحقيق: د. عبد السّلام هارون، دار الفكر، ط (١) ١٣٩٩هـ.
- معرفة القراء الكبار على الطّبقات والأعصار،شمس الدين أبي عبد الله الذّهبي، (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: بشّار عوّاد معروف وزملائه، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط (٢) ١٤٠٨هـ.
- المعمرون والوصايا، أبو حاتم السجستاني ،(ت٢٧٥ هـ)، دار إحياء الكتب العربية، ط(١)، ١٩٦١م .
- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي ،(٦٠٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١) ١٤٢١هـ.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور علي جواد الطاهر، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ.
- المفضّليّات، المفضّل الضّبّي،(ت ١٦٨هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، وعبد السّلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط (٦) ١٩٧٩م.
- المفيد في القراءات الثّمان، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي، (ت في حدود ٥٦٠هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور: محمد أحمد الصُّماتي، مكتبة ابن عباس ط(١) ١٤٣١هـ.
- المقاصد النّحويّة في شرح شواهد الألفية، بدر الدين العيني، محمود بن أحمد ،(ت٨٥٥ هـ)، طبع بهامش (خزانة الأدب) طبعة بولاق ١٢٩٩هـ.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمّد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت، (د.ت).
- نشر النُّور والزَّهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، عبد الله مرداد، (ت١٣٤٣هـ)، مطبوعات نادي الطَّائف الأدبي، ١٣٩٨هـ .
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري(ت ٨٣٣هـ)، تصحيح: محمد علي الضَّباع، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ .
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، (٨٢١ هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ت).
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السّيوطي، تحقيق الدّكتور: عبد العال سالم مكرّم، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط (٢) ١٤٠٧هـ.

Did the Babylon invent the electricity?

Assoc. Prof. Dr. Yarub K. A. Al-Douri

This study has showed the influence of the Babylon to the humanitarian civilization within the in deep thought and the scientific advancement to generate the electricity via simple tools of high scientific impact. Additionally, to know the "electricity" linguistically, the electric energy till current form.

Bayan Al Asl Fi Lafdh BaFadhl
to the honorable Mr. Ahmed Ibn Mohammed Al Marzouqi (died 1262)

Study and verification: Dr. Abdullah Abdulkader Al Tawil

This research includes Hadrami dialect which is the closest dialect to classical Arabic nowadays, it is better than the Syrian dialect or Iraqi and Egyptian dialect in this respect; as it is distinguished by many eloquent words, all of which has its origin in the Arabic language, this issue was studied by Mr. Marzouqi as mentioned in this research, so he extracts the origin and explained the problem of these words used by Hadramites in reference to the rules of the language and the sources cited from the Holy Qur'an verses, Hadith, and scholar utterance, even the small size of this manuscript and the simplicity of its style, it interpreted the common important linguistic phenomenon which deserves this study.

Abdul Rahman AL Jilali the historian Leader and the renovator savant

Mohamed Saif Islam Boufalaka

The eminent savant the Algerian Abdul Rahman Al Jilali was born in 1908 and died in 2010, he was a great scholar; he combined between forensic science, history, literature and Islamic thought. In this research the researcher introduces the savant mentioning his life and upbringing, his scientific efforts and activities in all fields, he mentions the books written by this scholar, as well as the published scientific articles namely (the general history of Algeria's), a huge encyclopedia and one of the most important book of the history of Algeria since ancient times till after the Ottoman Empire, he mentions also the approach of the author and the nature of the content of this book as well other books. The scholar has also an important impact on the renaissance of the press in Algeria; he wrote a dozens of articles in various newspapers and magazines.

The strategic importance of the role of shipbuilding industry in the conquest of Andalusia and the Mediterranean islands

Dr. Emad Hadi Aallo

The Mediterranean region constituted a civilized environment that enabled Muslims to actively contribute in the enrichment of human spirit in science and arts. The most important contribution was in the construction of military strategic thought in general, and their contribution to enrich the strategic naval war in particular in the Mediterranean region, so a nautical Muslim society was located on the most coast of the sea especially on the Eastern and northern Mediterranean, and the Abbasids took great attention to the construction of marinas and marine industry, so they built a large number of them on the shores of the Levant and North Africa and they have been described by many of the Muslim historians. The researcher found an important strategic role of the shipbuilding industry in the conquest of Andalusia and the extension of the Islamic control of the armadas of most Mediterranean islands rich in economic especially the trade lines in the Mediterranean.

Study of the Moroccan Minister's Dewan
(370 A.H. – 418A.H.)

Prof. Dr. Abd Al Razeek Heweizy

"The Moroccan minister" is a famous poet during the second Abbasid era, his poetry's Dewan was lost, so the professor Ehsan Abbas collected it, verified it then he published it twenty-three years ago, and during these years some new sources had appeared including new texts, these texts add important scientific benefits rise up this Dewan to the high level to make it under studies depend on scientific bases. These texts and those benefits need to be incorporated to this Dewan, the following research try to do that, you can find additional points for that Dewan and observations to some notes depending on the heritage resources.

Escape methods of Muslim prisoners from the Crusaders
490-690 A.H./ 1097-1291

Prof. Dr. Khader Obaid

This research demonstrates that Zangid and Ayyubids have performed a historical and remarkable role in the escape of Muslim prisoners from their enemies the crusaders using a number of ways according to their circumstances and the conditions of the Crusaders, so they release a thousands prisoners from the miserable prisons to come back free to their families and their country, and contribute to jihad with their fellows. The methods of escape nested somewhat, but each method can release a considerable numbers of prisoners as reported by historical sources, and the fact that Zangid and Ayyubids have supported a historical responsibility in the care of the interests of Muslims and they have accomplished their duty in bright way.

meanings of Al Mod, Al Farq and Al Qest mentioning their uses their origins and their use in the Holly Quran and Arabic poetry. He mentions Al Makkouk and its functions and measurements and its current meaning, as he indicates Al Kourra and its types, and Al Irdib too. The researcher explains the units of double measurement between such as Al Qafeez demonstrating its origins its measurements and its meaning to Arabs and Muslims and its use in proverbs and poetry, as he explains Al Jareeb, Al Wasq, Al Waqr, Al Tasq, Al Falij Al Kaleeja and Al Karra.

The Phenomenon of diminutive between benefit and interestingness (Examples of some selected poems and diversity of creativity)

Dr. Mohamadhen Ben Ahmed Ben Al Mahbouby

The diminutive is exquisite stylistic mechanism, it reveals the side of excellence and high innovation, it is also expressed at the same time the great ability to adjust the poetry rules; and its splendor expressive include its ability to reveal the inner self and the concerns of peoples, thus for young it express encouragement and generosity, for adversary it express challenge and serve as a training for linguistic and literary knowledge. This research came to track the presence of this phenomenon in the literary heritage, by displaying its features indicating that the **Shanqity** poets used the diminutive words in the fields of literature, including a variety of philandering, and praise, creating nice topics related to this phenomenon. The research includes more than ten diminutives scripts in deliberate and spontaneous basis.

Abstracts of Articles

"Al Nukat Al Hissan Aala Maani Al Qur'an" to Abu Hayyan is "Nukat Al Maani Aala Ayat Al Mathani" to Ali Ibn Fadhal Al Qairawani

Dr. Nawal Abdul Razzaq Sultan

During my verification of the manuscript "Nukat Al Maani Aala Ayat Al Mathani" to Ali Ibn Fadhal Al Qairawani, one of my valuable colleague found one copy of manuscript entitled "Al Nukat Al Hissan Aala Maani Al Qur'an" attributed to Abu Hayyan Al Andalusi, my colleague was looking for a manuscript to Abu Hayyan in "Quran analysis" to study it, but after examination of this manuscript he discovered that it was attributed by mistake to Abu Hayyan but in fact it was "Nukat Al Maani Aala Ayat Al Mathani", so he gave me this copy because he was aware of what I'm looking for, after that I took this copy as a third one as I have the original and a copy from Chester Beatty library attributed to Abu Qassim Ibn Mohammed Ismail Al Asbahani (died 535 AH), then I obtained another copy entitled "Al Nukat Al Hissan" from "Noor Ottoman" library, so in total I got four copies for this study. In this research, I introduce Abu Hayyan Al Andalusi who attributed to him the manuscript, then I introduced the two manuscripts attributed by mistake with their assumed introduction, then I introduced the real owner of the manuscript Ali Ibn Fadhal Al Majashii as well, and his original introduction attached with the images of the four copies of the manuscript.

Measurement tools of Arabs: their derivations, sizes and uses

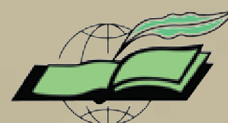
Ahmed Mohamed Jawad Mohsen

The researcher explains the meaning of measure and its terminological terms used in the Arab Islamic heritage as he mentions their types; namely: Al Saa, Al Qafeez, Al Qest, Al Ferq, Al Makkouk ,Al Makhtoum, Al Jareeb, Al Wasq, Al Waqr, Al Kourra, Al Arb...etc., he details in words of Al Saa and its readings, its aspect and uses, its origins and roots, its estimation and its metaphors uses, as he mentions the use of Al Saa in Arabic proverbs. The researcher explains also the

INDEX

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage



Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 19 : No. 76 - Muharram - 1433 A.H. - December 2011

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in the "Ulrich's International Periodicals Directory" under record No. 349378

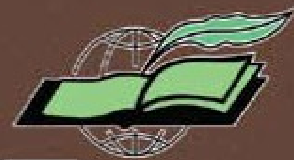
ANNUAL SUBSCRIPTION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

٧٦
آفاق الثقافة والتراث
السنة التاسعة عشرة : العدد السادس والسبعون - محرم ١٤٣٣ هـ - ديسمبر (كانون الأول) ٢٠١١ م
مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

ʾĀfāq Al Thaqāfah Waʾl-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage



Juma Al Majid Center for Culture and Heritage - Dubai

Volume 19 : No. 76 - Muharram - 1433 A.H. - December 2011



الورقة الأولى من كتاب السيف المسلول على من ينكر المنقول
لأبي بكر بن محمد المقري البرسوي (ت ١١٨٧ هـ).
تاريخ النسخ (١١٤٤ هـ)

First page from Al Saif Al Maslul Aala Man Yankur AL Manqul to Abu Bakr Ibn Mohammed AL Maqarri AL Barsawi (died in 1187 A.H). Copied in 1144 A.H.

Published by:
Department of Studies, Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage